شرح
كتاب الشرح والإبانة
على أصول السنة والديانة
ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين

لفضيلة الشيخ **عبد الله الراجحي**

اعتنى به وخرج أحاديثه

محمد إبراهيم الأسيوطي — أحمد عبد الله علي

الجزء الثاني

مكتبة عباد الرحمن
مصر

مكتبة العلوم والحكم
مصر

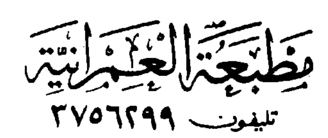


الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الراجحي ، عبدالله.
الشرح و الأبانة علي أصول السنة و الديانة ومجانبة المخالفين ومباينة أهل الأهواء المارقين / عبد الله الراجحي ، أعتني به وخرج أحدايثه محمد إبراهيم الأسيوطي ، أحمد عبد الله علي .
القاهرة : مكتبة عباد الرحمن ، (٢٠٠٦) .
٨٩٦ ص ١٧ * ٢٤ سـم .
المحتويات :
١ - الأسلام – دفع مطاعن
أ – الأسيوطي محمد إبراهيم (مخرج أحاديث). ب – علي أحمد عبد الله. جـ - العنوان
ديوى ٢١٦

رقم الإيـــداع	٢٣٤٥٧ / ٢٠٠٦



مقدمة مسائل التوحيد والاعتقاد

قال المؤلف - رحمه الله - : قد أتينا يا أخي - رحمك الله - ونفعنا وإياك بالعلم، واستعملنا به، ووفقنا للسنة، وأماتنا عليها.

الشرح : آمين، هذا دعاء عظيم، قال: رحمك الله، ونفعنا وإياك بالعلم، واستعملنا به؛ أي: بالعلم، ويعني جعلنا ممن يعمل بالعلم. ووفقنا للسنة: أي: العمل بالسنة، وأماتنا عليها.

وهذا من نصحه - رحمه الله -، حيث إنه يعلمك ويدعو لك بالرحمة، فمن نصحه تعليم ودعاء.

❁ ❁ ❁

قال المؤلف - رحمه الله - : بجمل من أقاويل العلماء، وأخبار المصطفى ﷺ في التحذير والتخويف، والإعداد والإنذار من الوقوع في البدعة، وما أمروا به من التمسك بالسنة، والتحفظ لها، والإقبال عليها، ومجانبة من خالفها، ومباينة من خرج عليها، بما اتجه لنا رسمه، وسهل علينا ذكره، مما في بعضه كفاية وغنى، لمن أحب الله عز وجل خيره، وكان بقلبه أدب وحياء.

الشرح: يبين أنه أتى في القسم الأول بجمل من أقاويل العلماء وأقوال المصطفى ﷺ، وكانت مائتين وثلاثة وثلاثين أثر أو حديث في التحذير والتخويف، والإعداد؛ أي: التهيئة، والإنذار من البدع أي: الوقوع فيها.

والمعنى: إني ذكرت الأدلة والنصوص، من كلام العلماء، وأقوال النبي ﷺ في التحذير والتخويف والإنذار من البدع، وما أمر به العلماء من التمسك بالسنة، والتحفظ والتيقظ لها، والإقبال عليها، ومجانبة من خالف السنة، والبعد عن من خرج عليها، بما اتجه لنا رسمه - يعني كتابته -، وسهل علينا ذكره من هذه الأمور، والتي فيها نصوص أخرى غير هذا مما في بعضه كفاية وغنى، لمن أحب الله عز وجل خيره، وكان بقلبه أدب وحياء، - ولو قال: لمن أراد الله هدايته كان أحسن، لمن أحب الله عز وجل خيره، أي: وفقه للعمل الصالح، وصدر منه الخير، وهو البر والتقوى، وكان في قلبه أدب وحياء.

❁ ❁ ❁

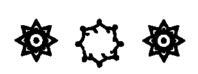
تمهيد

قال المؤلف - رحمه الله - : ونحن الآن ذاكرون شرح السنة ووصفها، وما هي في نفسها، وما الذي إذا تمسك به العبد ودان الله به سمي بها، واستحق الدخول في جملة أهلها، وما إن خالفه أو شيئًا منه، دخل في جملة من عبناه من العيب، وذكرناه وحذرنا منه، من أهل البدع والزيغ، مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة، مذ بعث الله نبيه ﷺ إلى وقتنا هذا.

الشرح : يقول المؤلف - رحمه الله - : إني بعد أن سردت لك الآثار - مائتين وثلاثة وثلاثين أثرًا - في التحذير من البدع، والبعد عن أهلها، سوف أذكر لك الآن شرح السنة، أي: ما أثر عن الرسول ﷺ وصحابته من العقائد والعبادات، وسأذكر لك وصف السنة، وما هي في نفسها، وما الذي إذا تمسك به العبد ودان الله به - أي: عَبَدَ الله، وتدين بذلك - سُمِّيَ بها - أي: سُمِّيَ من أهل السنة واستحق الدخول في جملة أهلها -، وما الذي إذا خالفه أو شيئًا منه دخل في جملة أهل البدع، الذين عبناهم، وذكرنا النصوص بالتحذير منهم، وحذرنا منهم وهم أهل البدع والزيغ.

وهذه السنة التي أذكر لك هي مما أجمع أهل الإسلام على شرحها، وسائر الأمة، منذ بعث الله نبينا محمد ﷺ إلى وقتنا هذا، وهم أهل السنة والجماعة، ولم يعتبر خلاف أهل البدع؛ لأن أهل البدع، إنما حدثوا بعد إجماع الصحابة - رضوان الله عليهم - والتابعين على هذه السنن، وعلى هذه

العقائد المأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قبل مجيء أهل البدع، من الجهمية والمعتزلة والخوارج؛ فلا عبرة بخلاف أهل البدع؛ لأنهم مسبوقون بالإجماع من أهل السنة والجماعة.



الإيمان

معنى الإيمان:

قال المؤلف - رحمه الله - : أول ما نبدأ بذكره من ذلك، ذكر ما افترض الله عز وجل على عباده، وبعث به رسوله ﷺ وأنزل فيه كتابه، وهو الإيمان بالله عز وجل ومعناه التصديق، بما قاله وأمر به، وافترضه ونهى عنه، من كل ما جاءت به الرسل من عنده، ونزلت فيه الكتب، وبذلك أرسل المرسلين فقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[1].

والتصديق على ذلك، قول باللسان وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيده كثرة العمل، والقول بالإحسان، وينقصه العصيان، وله أول وبداية، ثم ارتقاء وزيادة بلا نهاية، قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[2].

وقال عز وجل: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾[3] **وقال تبارك وتعالى:** ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[4] **وقال معاذ بن جبل لرجل: اجلس بنا**

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٧٣ .

(٣) سورة المدثر آية : ٣١ .

(٤) سورة الفتح آية : ٤ .

نؤمن ساعة، يعني نذكر الله فنزداد إيمانا، وكل شيء يزيد فهو ينقص.

الشرح : فهذه المسألة الأولى من مسائل الاعتقاد، وهو الإيمان؛ ولهذا قال المؤلف - رحمه الله - : أول ما نبدأ بذكره من ذلك، ذكر ما افترضه الله عز وجل على عباده، وبعث به رسوله ﷺ وأنزل فيه كتابه، وهو الإيمان بالله، ورسوله.

والإيمان هو فريضة الله على عباده، وبه بعث الله الرسل، وأنزل الكتب، وهو توحيد الله، وإخلاص العبادة له، وبهذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(١) وقال - سبحانه - : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾(٢).

الإيمان والتوحيد:

والإيمان أصله التصديق بالقلب أو بالجنان: وهذا هو الأمر الأول فالإيمان هو التصديق بالقلب، أي: الإقرار والاعتراف بما قاله الله وأمر به وافترضه، ونهى عنه.

وضد التصديق التكذيب، فالذي لا يصدق يكذب؛ فبعض الكفرة كذبوا الأنبياء - عليهم السلام - كذبوا بألسنتهم أو بألسنتهم وقلوبهم ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾(٣)، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾(٤)، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾(٥)،

---

(١) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
(٣) سورة المؤمنون آية : ٤٨ .
(٤) سورة الشعراء آية : ١٠٥ .
(٥) سورة الشعراء آية : ١٢٣ .

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(١)، ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(٢).

والمكذب ضد المصدق، فالمصدق هو الذي يقر ويعترف بقلبه وينطق بلسانه؛ فاللسان ينطق، والجوارح تعمل؛ ولهذا يقول المؤلف: معناه التصديق بما قاله، وأمر به وافترضه ونهى عنه.

والإقرار باللسان - أي: ينطق بلسانه الشهادتين يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله.

والعمل بالجوارح: بأن يصلي ويصوم ويزكي ويحج، والعمل بالقلب: بالانقياد والإخلاص والصدق والمحبة والرغبة والرهبة والتوكل والخشية والإنابة، وهذا الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، فصار مسمَّى الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو: تصديق بالقلب ونطق باللسان، وعمل بالقلب، وعمل بالجوارح.

وإن شئت تقول: قول القلب، وقول اللسان، وعمل القلب، وعمل الجوارح؛ فقول القلب، هو التصديق والإقرار، وقول اللسان هو النطق، وعمل القلب وهو النية والإخلاص والانقياد، وعمل الجوارح، وهي ما يعمله الإنسان بجوارحه.

والسلف لهم عبارات، يقولون: الإيمان تصديق بالقلب، وعمل بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، ويقولون: تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

ويقولون: الإيمان قول وعمل ونية، قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح، ونية؛ فهذا مسمَّى الإيمان عند أهل الحق والسنة والجماعة من الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء وغيرهم.

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٤١ .

(٢) سورة الشعراء آية : ١٧٦ .

الجَنان - بفتح الجيم - : القلب، أما الجِنان - بالكسر - : جمع جنة.

بدأ المؤلف بالإيمان؛ لأن الإيمان هو فريضة الله على العباد، ففرض الله الإيمان على كل الناس، والموحد هو المؤمن، والإيمان هو التوحيد، فمن آمن فهو موحد بالله.

فالتوحيد والإيمان - إذن - فريضة الله على عباده، وكل نبي أرسله الله - تعالى - يبدأ بدعوة التوحيد؛ قال الله - تعالى - عن نوح - عليه الصلاة والسلام - : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ (١).

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ (٢).

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ (٣).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ (٤). ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ (٥).

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ (٦).

إذن التوحيد والإيمان هما فريضة الله على عباده، وهو الأمر الذي لأجله خلقهم ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٧) وهو الغاية المحبوبة لله،

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٩ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٦٥ .

(٣) سورة الأعراف آية : ٧٣ .

(٤) سورة الأعراف آية : ٨٥ .

(٥) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٦) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

(٧) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

المرضية له، وهو الذي لأجله أرسل الله الرسل ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(١) ولأجله أنزل الله الكتب ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٢).

وكل ما جاءت به الرسل من عند الله، ونزلت فيه كتب، من الأوامر والنواهي نصدق بها، لكن لابد لكل أمة أن تعمل بشريعة رسولها، فالرسل دينهم واحد وهو التوحيد، والشرائع مختلفة، كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(٣) وقال - عليه السلام - : «إنا معاشر الأنبياء إخوة علات ديننا واحد وأمهاتنا شتى»(٤).

فكل نبي يأمره الله - تعالى - بالتوحيد، يقول: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾(٥) فالواجب توحيد الله - تعالى - في كل زمان وفي كل مكان، وطاعة كل رسول في زمانه، في الشريعة التي جاء بها، وهذا هو الإسلام بمعناه العام.

والإسلام الخاص بعد بعثة نبينا محمد ﷺ توحيد الله والإيمان بمحمد ﷺ والعمل بشريعته، بشريعة القرآن.

قال المؤلف: وبذلك أرسل المرسلين: يعني أرسل الله المرسلين فقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾(٦).

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
(٢) سورة النحل آية : ٣٦ .
(٣) سورة المائدة آية : ٤٨ .
(٤) البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٤٣)، ومسلم: الفضائل (٢٣٦٥)، وأبو داود: السنة (٤٦٧٥)، وأحمد (٢/٣١٩) .
(٥) سورة الأعراف آية : ٥٩ .
(٦) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .

هذه كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، والإله معناه المعبود، أي: لا معبود بحق إلا الله، هذه كلمة التوحيد، وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك، وهي أصل التوحيد وأساس الملة وأصل الدين، فالشهادة لله تعالى بالوحدانية، وللنبي ﷺ بالرسالة أصل الدين وأسُّه.

ومن لم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فلا إسلام له، ولا إيمان له، ولا دين له، ولا يقبل منه أي عمل، حتى يرتكز هذا العمل على التوحيد.

وهما شهادتان لا تقبل إحداهما إلا بالأخرى، فمن شهد أن لا إله إلا الله، ولم يشهد أن محمدًا رسول الله لم تقبل منه، ومن شهد أن محمدًا رسول الله، ولم يشهد أن لا إله إلا الله، لم تقبل منه.

لا إله إلا الله: لا: نافية للجنس من أخوات إن تنصب الاسم وترفع الخبر، إله: اسمها، والخبر محذوف تقديره حق، أي: لا إله حق إلا الله، يعني لا معبود بحق إلا الله؛ لأن المعبودات كثيرة.

فقد عُبدت الشمس، وعُبِدَ القمر، وعُبِدَ النجم، وَعُبِدَ الأشخاص، وعبدت القبور، وَعُبِدَ الملائكة لكن عبادتهم بالباطل، والعبادة بالحق عبادة الله وحده، كما قال - سبحانه - : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ (١).

يعني هذه الكلمة، كلمة التوحيد، التي من قالها قد برأ من الشرك، إلا إذا عمل ناقضة من نواقض الإسلام، ثم قال: والتصديق بذلك قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان، يزيده كثرة العمل، والقول بالإحسان، وينقصه العصيان.

هذا هو مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة فهو تصديق القول

---

(١) سورة الحج آية : ٦٢ .

باللسان، أي: ينطق الشهادتين بلسانه، فإذا امتنع من النطق بالشهادتين - مع قدرته على ذلك - حكم بكفره ولو كان يدعي أنه مصدق بالقلب، فلا بد أن ينطق الشهادتين؛ فإن لم ينطق قتل، وحكم بكفره، تصديق بالجنان وعمل بالأركان - والأركان الجوارح -، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية؛ ولهذا قال: يزيده كثرة العمل - الأعمال الصالحة -، وهي الواجبات والقول بالإحسان، القول الحسن، وهو ما وافق الشرع.

وينقصه العصيان، ينقص الإيمان بالمعصية؛ فإذا أطاع الإنسان ربه - صلى، وصام، وزكى، وحج، وأدى الواجبات - زاد إيمانه، وإذا عصى - سرق أو زنا، أو شرب الخمر أو عق والديه، أو تعامل بالربا، أو أكل الرشوة، أو أكل مال اليتيم - نقص إيمانه، وضعف الطاعة هذا معتقد أهل السنة والجماعة خلافًا للمرجئة.

والمرجئة طبقات أعظمها الغلاة، وهم الجهمية الذين يقولون: الإيمان معرفة الرب بالقلب، والكفر جهل الرب بالقلب، فإذا عرف الإنسان ربه بقلبه فهو مؤمن، وإذا جهل ربه بقلبه فهو كافر، وعلى هذا كل من عرف ربه بقلبه فهو مؤمن، فألزمهم العلماء بأن إبليس مؤمن؛ لأنه عرف ربه بقلبه، على مذهب الجهمية ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[1].

وفرعون الذي يقول للناس: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾[2] على مذهب الجهم يكون مؤمنًا؛ لأنه يعرف ربه بقلبه، قال تعالى عنها: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[3] واليهود - على مذهب الجهم - مؤمنون، يعرفون ربهم بقلوبهم، ويعرفون صدق النبي ﷺ قال تعالى:

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٤ .
(٢) سورة النازعات آية : ٢٤ .
(٣) سورة النمل آية : ١٤ .

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾(١).

وأبو طالب الذي ثبت في صحيح البخاري أنه مات على ملة عبد المطلب على الشرك، فيكون على مذهب الجهمية مؤمن؛ لأنه يعلم صدق الرسول ﷺ؛ حيث قال:

ولقد علمتُ بأنَّ دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار سبة ... لوجدتني سمحًا بذاك مبينا

فتعريف الجهمية الذي يقول: «الإيمان معرفة الرب بالقلب» هذا أفسد تعريف للإيمان، ويرى الجهمية أن الإنسان لو فعل جميع الكبائر والمنكرات وأنواع الردة ما يكفر ما دام يعرف ربه بقلبه، فلو قتل الأنبياء وهدم المساجد، وداس المصحف بقدميه، وفعل جميع الجرائم، فلا يكفر حتى يجهل ربه بقلبه، وهذا أفسد مذهب في الإيمان.

ثم يليه - أيضًا - مذهب الكرامية، وهم الذين يقولون بأن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط؛ إذا نطق الإنسان بلسانه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فهو مؤمن ولو كان كافرًا بقلبه، ولو كان مكذبًا في الباطن، وعلى هذا فإنهم يسمون المنافقين مؤمنين، فالذي يقر بلسانه، ويكذب بقلبه، فهذا مؤمن كامل الإيمان عند الكرامية، ولكن مع ذلك يكون مخلدًا في النار، فنسميه مؤمنًا كامل الإيمان؛ لأنه نطق بالشهادتين، ومخلد في النار؛ لأنه مكذب بباطنه، فيكون المؤمن كامل الإيمان يخلد في النار على مذهب الكرامية.

المذهب الثالث - من أقسام المرجئة - : وهو مذهب الماتريدية والأشاعرة الذين يرون أن الإيمان تصديق بالقلب فقط؛ فإذا صدَّق الإنسان بقلبه فهو مؤمن.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٤٦ .

المذهب الرابع: مذهب مرجئة الفقهاء - أبو حنيفة وأصحابه - والإيمان عندهم يتمثل في أمرين: قول باللسان، وتصديق بالقلب، وأما أعمال القلوب وأعمال الجوارح فليست من الإيمان، ولكنها مطلوبة، والفرق بينهم وبين المرجئة المحضة الذين هم الجهمية، أن الجهمية يرون أن الأعمال غير مطلوبة، والواجبات ليست واجبات والمحرمات ليست محرمات، أما مرجئة الفقهاء يقولون بأن الواجبات واجبات، والمحرمات محرمات، ومن فعل الواجب أثابه الله، ومن فعل المحرم يؤدب ويقام عليه الحد - إذا كانت من المعاصي الموجبة للحد -، وعليه الوعيد الشديد.

فأبو حنيفة - رحمه الله - له روايتان، في مسمى الإيمان:

الرواية الأولى: وهي المشهورة التي عليها أكثر أصحابه، وهي أن الإيمان شيئان: قول باللسان وتصديق بالقلب، وأما أعمال الجوارح، وأعمال القلب؛ فليست من الإيمان، ولكنها واجبة، وهي لا تسمى إيمانًا وإنما نسميها بِرًّا، أو نسميها تقوى.

والرواية الثانية: أن الإيمان تصديق بالقلب فقط، وهذه الرواية يوافق فيها الأشاعرة والماتريدية الذين يقول بأن الإيمان تصديق بالقلب، والإقرار باللسان مطلوب، لكنه ركن زائد، ليس من الإيمان.

وأول من قال بالإرجاء حماد بن سليمان شيخ الإمام أبي حنيفة.

فطوائف المرجئة أربعة، كلها باطلة، لكن أقربها لأهل السنة والجماعة مذهب مرجئة الفقهاء وهم طائفة من أهل السنة إلا أن لهم آثار تترتب عليها.

والمعتزلة والخوارج متفقون مع أهل السنة في مسمى الإيمان؛ فالإيمان عندهم تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالقلب والجوارح، لكن الفرق بينهم وبين أهل السنة أن أهل السنة يقولون بأن الإنسان إذا فعل المعصية وترك الطاعة نقص الإيمان، ويبقى على إيمانه.

أما الخوارج والمعتزلة فيرون أن الإنسان إذا فعل المعصية، ذهب الإيمان

كله القول والتصديق والعمل، أي: بمجرد ما يفعل الكبيرة؛ انتهى إيمانه ودخل في الكفر عند الخوارج، وعند المعتزلة يخرج من الإيمان ولم يدخل في الكفر، فيكون في منزلة بين المنزلتين؛ فلا يزيد الإيمان ولا ينقص، ويسمونه فاسقًا، وأما في الآخرة، فيتفق الخوارج والمعتزلة على أنه مخلد في النار.

وأما أهل السنة فيقولون بأنه لا يخلد في النار، وإنما هو تحت مشيئة الله، وإذا دخل النار دخلها على أنه عاص، ولا بد أن يخرج منها، إما بشفاعة الشافعين، أو برحمة أرحم الراحمين.

وبهذا يتبين أن جمهور أهل السنة انفصلوا عن جميع الطوائف في مسمى الإيمان، فكل هذه الطوائف لا يرون أن الإيمان يزيد وينقص إلا أهل السنة والجماعة الذين قالوا بأن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

والمؤلف - رحمه الله - قرر مذهب جمهور أهل السنة والجماعة بأن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالقلب والجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

ولهذا قال: يزيد الإيمان كثرة العمل الصالح، والقول بالإحسان؛ فإذا قال الإنسان قولًا حسنًا - أي: أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، أو دعا إلى الله أو قرأ القرآن، أو سبح أو هلل، أو دعا إلى الخير، هذا قول بالإحسان -، وينقص بالعصيان، ينقص الإيمان بالمعصية، إذا عصى الله، إذا قصَّر في الواجبات، وفعل بعض المحرمات.

وله أول وبداية: وأول الإيمان تصديق القلب، إذا صدق بقلبه وآمن، ثم نطق بالشهادتين. ثم ارتقاء وزيادة: يرتقي الإيمان ويزيد بلا نهاية؛ فكلما عمل الإنسان من الصالحات زاد الإيمان - إذا صلى وصام، وزكى وحج، وتهجد في الليل، وتصدق، ودعا إلى الله وأمر بالمعرف ونهى عن المنكر زاد إيمانه -، وكل ما زاد من خير زاد الإيمان.

وأكمل الناس إيمانًا وتقى وخشية لله هم الأنبياء، وأكمل الرسل - عليهم الصلاة والسلام - في الإيمان والتقوى أولو العزم الخمسة، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد - عليهم الصلاة والسلام - .

وأكمل أولي العزم الخمسة الخليلان، إبراهيم ومحمد - عليهما الصلاة والسلام -، وأكمل الخليلين نبينا - عليه الصلاة والسلام -؛ فهو أكمل الناس إيمانًا، وأرجحهم ميزانًا وأخشاهم، وأتقاهم لله، فهو أعبد الناس، وأزهد الناس، وأخشى الناس، وأتقى الناس - عليه الصلاة والسلام - .

قال - عليه الصلاة السلام - : **«إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأتقاكم له»**[1] فهو أخشى الناس - عليه الصلاة والسلام -، ثم يليه في الإيمان والتقوى جده إبراهيم - عليه السلام -، ثم يليه موسى بن عمران ثم بقية أولو العزم، ثم بقية الرسل ثم الأنبياء ثم يليهم الصديقون.

فالصديقون أكمل الناس إيمانًا بعد الأنبياء، ومقدمهم الصديق الأكبر، أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وصدِّيق على وزن فِعِّيل صيغة مبالغة؛ لكثرة تصديقه، فسمِّي صديقًا، قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾[2] .

ثم يليهم الشهداء الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم لله، والصالحون على اختلاف طبقاتهم، فالصالحون طبقات، أعلاهم طبقةً السابقون المقربون الذين أدوا الفرائض والواجبات، وفعلوا المستحبات والنوافل، وتركوا المحرمات، وزادوا عليها، وتركوا المكروهات، وتركوا فضول المباحات، خشية من الوقوع في المكروهات.

ثم يليهم المقتصدون، الذين أدوا الفرائض والواجبات، لكن ما كان عندهم جد لفعل المستحبات والنوافل، فهم اقتصروا على الواجبات، وتركوا

---

(١) البخاري: النكاح (٥٠٦٣) .

(٢) سورة المائدة آية : ١١٩ .

المحرمات، وما كان عندهم جد في ترك المكروهات، ككراهة التنزيه، فقد يفعلونها ويتوسعون في المباحات.

وهؤلاء يقال لهم: المقتصدون، ويقال لهم: أصحاب اليمين، والأولون السابقون المقربون، وهؤلاء الصنفان: السابقون المقربون والمقتصدون أصحاب اليمين يدخلون الجنة من أول وهلة؛ لأنهم أدوا واجبهم.

ثم الطبقة الثالثة: الظالمون لأنفسهم، وهؤلاء موحدون مؤمنون، لم يدخل في عملهم شرك، لكنهم كانوا مقصرين في بعض الواجبات، أو كانوا يقترفون بعض المحرمات، وهؤلاء من أهل الجنة، لكن منهم من يعفى عنه؛ فيغفر الله له بتوحيده وإيمانه وإسلامه، ويدخل الجنة من أول وهلة، ومنهم من يجازى بعمله؛ فيصاب بمصائب في الدنيا، فيمحو الله سيئاته بأمراض ومصائب، وهموم وأحزان، ومنهم من يعذب في قبره، كما في قصة الرجلين، اللذين في حديث ابن عباس: مر النبي ﷺ بقبرين قال: «**إنهما يعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»(١).

ومنهم من تصيبه أهوال وشدائد في مواقف القيامة، ومنهم من يدخل النار ويعذب فيها، لكن في النهاية يخرجون من النار، إما بشفاعة الشافعين أو برحمة أرحم الراحمين، وقد ثبت أن النبي ﷺ يشفع أربع شفاعات، في كل مرة يحد الله لهم حدًا، ويخرجهم من النار، ويشفع الأنبياء ويشفع الشهداء، وتشفع الملائكة الأبرار.

وتبقى بقية لا تعلم الشفاعة، فيأخذهم رب العالمين برحمته، وقد شفع الملائكة وشفع النبيون ولا يبقى إلا رحمة أرحم الراحمين، فيخرج القوم من

---

(١) البخاري: الوضوء (٢١٨)، ومسلم: الطهارة (٢٩٢)، والترمذي: الطهارة (٧٠)، والنسائي: الطهارة (٣١)، وأبو داود: الطهارة (٢٠)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٣٤٧)، وأحمد (١/ ٢٢٥)، والدارمي: الطهارة (٧٣٩) .

النار، ممن لم يعمل خيرًا قط زيادة عن التوحيد والإيمان، فإذا تكامل خروج العصاه الموحدين، ولم يبق إلا الكفرة، أطبقت النار على الكفرة، بجميع أصنافهم؛ اليهود والنصارى والوثنيين والشيوعيين والملاحدة، والمنافقين في الدرك الأسفل من النار، تطبق عليهم فلا يخرجون منها أبد الآبدين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ (١) يعني مطبقة مغلقة، وقال - سبحانه - : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٢) وقال - سبحانه - : ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (٣).

وقال - سبحانه - : ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ (٤).

وقال - سبحانه - : ﴿لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٥) والأحقاب المدد المتطاولة، كلما انتهى حقب، يعقبه حقب إلى ما لا نهاية، نسأل الله السلامة والعافية، هذا هو معتقد أهل السنة في باب الإيمان، له أول وبداية ونقص وزيادة، قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (٦).

فهذا دليل على أن الإيمان يزيد، وفيه الرد على المرجئة الذين يقولون بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وقال عز وجل: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (٧) وهناك آيات ما ذكرها المؤلف، كقوله - سبحانه - : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا

---

(١) سورة الهمزة آية : ٨ .
(٢) سورة المائدة آية : ٣٧ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٦٧ .
(٤) سورة الإسراء آية : ٩٧ .
(٥) سورة النبأ آية : ٢٣ .
(٦) سورة آل عمران آية : ١٧٣ .
(٧) سورة الفتح آية : ٤ .

ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(١).

وقوله - سبحانه - : ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾(٢).

واستدل - أيضًا - بأثر من آثار الصحابة، فقد قال معاذ بن جبل لرجل: اجلس بنا نؤمن ساعة، أي: نذكر الله فنزداد إيمانًا. والآثار عن الصحابة في هذا الباب كثيرة.

وهذه الآثار ذكرها العلماء في كتبهم، فذكرها أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه (الإيمان)، وغيره، والمؤلف اقتصر على أثر معاذ رضي الله عنه.

فمن ذلك ما ذكره البخاري - رحمه الله - معلقًا مجزومًا به، قال: «ثلاث من كن فيه، فقد استكمل الإيمان، الإنصاف من نفسه، والإنفاق مع الإقتار، وبذل السلام للعالم» ومعنى الإنصاف من نفسه أن يقول الحق ولو على نفسه.

والإنفاق مع الإقتار: أي: ينفق ولو كان ماله قليلًا، وبذل السلام للعالم: أي: لجميع الناس؛ فيسلم على كل من لقيه.

فكلما زاد الإنسان في الأعمال الصالحة التي ليس لها نهاية زاد إيمانه.

۞ ۞ ۞

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢ .

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٤ - ١٢٥ .

الاستثناء في الإيمان

قال المؤلف - رحمه الله - : ثم الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول الرجل: «أنا مؤمن إن شاء الله»، كذا كان يقول عبد الله بن مسعود، وبه أخذ العلماء من بعده، مثل: علقمة والأسود وأبي وائل ومسرور ومنصور ومغيرة وإبراهيم النخعي والأعمش وحماد بن زيد ويزيد بن زريع وبشر بن المفضل ومعاذ بن معاذ وسفيان بن حبيب وسفيان الثوري وابن المبارك والفضيل بن عياض

في جماعة سواهم يطول الكتاب بذكرهم، وهذا استثناءٌ على يقين، قال الله عز وجل: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[1] وقال النبي ﷺ: **«إني لأرجو أن أكون أتقاكم لله عز وجل»**[2] وقال وقد اجتاز البقيع: **«وإنا - إن شاء الله - بكم لاحقون»**[3].

فهذا كله استثناء على يقين، ولكن يجب أن يعلم كيف يستثنى، ولأي سبب وقع الاستثناء؛ لئلا يظن المخالف أن استثناءه من قِبل الشك، فقد كان سفيان الثوري وابن المبارك يقولان: الناس عندنا مؤمنون في المواريث والأحكام، ولا ندري كيف هم عند الله عز وجل، ولا ندري على أي دين

---

(١) سورة الفتح آية : ٢٧ .

(٢) مسلم: الصيام (١١١٠)؛ وأبو داود: الصوم (٢٣٨٩)؛ وأحمد (٦/ ٦٧)؛ ومالك: الصيام (٦٤١) .

(٣) مسلم: الطهارة (٢٤٩)؛ والنسائي: الطهارة (١٥٠)؛ وأبو داود: الجنائز (٣٢٣٧)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٦)؛ وأحمد (٢/ ٣٠٠)؛ ومالك: الطهارة (٦٠) .

يموتون؛ لأن الاستثناء واقع على ما يستقبل؛ لأن قول العبد: «أنا مؤمن إن شاء الله» معناه: إن قبل الله إيماني وأماتني عليه، بمنزلة رجل صلى صلاة فقال: قد صليت، وعلى الله القبول.

كذلك الحج، وكذلك إذا صام أو عمل عملًا، فإنما يقع استثناؤه فيه على الخاتمة، وقبول الله إياه، لا أنه قد شك فيما قد قاله وعمله، وقد يرى الرجل يصلي، فيقال له: صليت، فيقول: نعم، إن قُبِلَتْ..

الشرح : وهذه مسألة (الاستثناء في الإيمان)، وهي من ثمرات الخلاف بين جمهور أهل السنة وبين المرجئة، ومعنى الاستثناء: أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

وهذه المسألة فيها ثلاثة أقوال: طرفان ووسط:

الطرف الأول: يقول بوجوب الاستثناء، فيجب أن تقول: أنا مؤمن إن شاء الله. وحجتهم أن الإيمان المعتبر عند الله هو ما مات عليه الإنسان، والإنسان لا يدري ما يموت عليه، ولا يدري ما العاقبة، فالإيمان المعتبر إنما هو بموافاة الإنسان ربه؛ وإذا كان الإنسان لا يدري ما العاقبة، فيجب عليه أن يستثني، ويقول: (أنا مؤمن إن شاء الله).

وقالوا: إن الإيمان الذي يعقبه كفر لا عبرة به، كما أن الكفر الذي يعقبه إيمان فهو المعتبر، فالعبرة بالإيمان الذي يموت عليه الإنسان؛ وإذا آمن الإنسان وارتد عن دينه - نعوذ بالله - فهذا لا يعتبر، الاعتبار المهم عند الله والكافر إذا كان كافرًا ثم ختم له بالإيمان، فهذا.

ومن غلوهم أنهم قالوا: إن الله يحب الإنسان الذي يعلم أنه يموت على الإيمان، ولو كان كافرًا، فقالوا: إن الله يحب الصحابة ولو كانوا في جاهليتهم وهم يعبدون الأصنام قبل أن يسلموا؛ لأن الله يعلم أنهم يموتون على الإيمان. فيحبهم في حال كفرهم! وهذا باطل، وقالوا: إن الله يبغض

إبليس في حال إيمانه قبل أن يكفر؛ لأن الله علم أنه يموت على الكفر، وقالوا: إن الغضب من الله، والسخط قديم.

لكن هذا باطل ليس صحيحًا، فالمؤمن يحبه الله في حال إيمانه، والكافر يبغضه الله في حال كفره، والعاصي يبغضه الله بقدر ما فيه من العصيان، ويحبه بقدر ما فيه من الإيمان؛ فإذا عصى أبغضه الله، وسخط الله عليه، وإذا أطاع وكان مؤمنًا، أحبه الله؛ وإذا ارتد - والعياذ بالله - أبغضه الله، فهذه هي وجهتهم.

أما أهل السنة الذين يوجبون الاستثناء بالإيمان، فلهم وجهة أخرى غيرهم، وهي أن مسمى الإيمان راجع إلى أداء الواجبات وترك المحرمات، هذا هو الإيمان الواجب، والإيمان يدخل في مسماه الأقوال والأعمال؛ وإذا كان الإيمان يشمل جميع الأعمال، وهي: أداء الواجبات، وترك المحرمات، فالإنسان لا يزكي نفسه، ولا يدري ولا يجزم، بأنه أدى ما عليه، بل يتهم نفسه بالتقصير، ويزري على نفسه ويقول: أنا مؤمن إن شاء الله؛ أي: أديت ما علي، لكن ما أجزم بأني أديت ما علي، فالتقصير حاصل في الواجبات، أو في ارتكاب بعض المحرمات. قالوا: ولو جاز للإنسان أن يشهد لنفسه بالإيمان، لجاز أن يشهد لنفسه بالجنة، وهذا لا يجوز؛ لو جاز أن يقول: أنا مؤمن، ويجزم بأنه مؤمن، لجاز أن يشهد لنفسه بالجنة، فإذن يجب الاستثناء في الإيمان.

واستدل الذين يوجبون الاستثناء في الإيمان بنصوص جاء فيها الاستثناء، مع أن الأمر فيه يقين، قال الله - تعالى - عن الصحابة الذين صدهم المشركون في غزوة الحديبية عن المسجد الحرام، وقد جاءوا معتمرين: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ (١).

---

(١) سورة الفتح آية : ٢٧ .

فالله - تعالى - استثنى مع أن الأمر فيه يقين، فهو يعلم بأنهم سيدخلون، فدل على وجوب الاستثناء؛ فما دام الله استثنى في شيء متيقن، فإن هذا يدل على أنه يجب الاستثناء في الإيمان، ولو كان الإنسان متيقنًا أنه مؤمن، وكذلك أيضًا قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح، في زيارته للمقابر: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا - إن شاء الله - بكم لاحقون»**[(١)].

وفي رواية يقول: **«إنا - إن شاء الله - بكم للاحقون»**[(٢)]. فهذا استثناء مع أنه من المجزوم به بأن الإنسان ميت، وأنه سيلحق بالموتى، ومع ذلك صار فيه استثناء، فدل على وجوب الاستثناء في الإيمان، ولو كان الإنسان متيقنًا أنه مؤمن، وكذلك قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **«إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأتقاكم له»**[(٣)]. فالنبي استثنى مع أنه على يقين أنه أخشى الناس وأتقى الناس؛ فدل على وجوب الاستثناء فيما يتيقن فيه.

والطرف الثاني: يقول بتحريم الاستثناء في الإيمان، وهؤلاء هم المرجئة بجميع طوائفهم، ويشاركهم الخوارج والمعتزلة الذين يقولون: إن الإيمان شيء واحد، لا يزيد ولا ينقص.

فالجهمية يقولون بأن الإيمان معرفة الرب بالقلب، والماتريدية والأشاعرة يقولون بأن الإيمان تصديق بالقلب، والكرامية يقولون بأن الإيمان إقرار باللسان، ومرجئة الفقهاء يقولون بأن الإيمان تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، والخوارج يقولون بأن الإيمان الأعمال كلها، ولكن إذا فعل المعصية ذهب الإيمان كله، وكذلك المعتزلة؛ فكل هؤلاء يقولون بمنع الاستثناء في الإيمان؛

---

(١) مسلم: الطهارة (٢٤٩)؛ والنسائي: الطهارة (١٥٠)؛ وأبو داود: الجنائز (٣٢٣٧)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٦)؛ وأحمد (٢/ ٣٠٠)؛ ومالك: الطهارة (٦٠).

(٢) مسلم: الجنائز (٩٧٥)؛ والنسائي: الجنائز (٢٠٤٠)؛ وابن ماجه: ما جاء في الجنائز (١٥٤٧)؛ وأحمد (٥/ ٣٥٩).

(٣) مسلم: الصيام (١١١٠)؛ وأبو داود: الصوم (٢٣٨٩)؛ وأحمد (٦/ ٦٧)؛ ومالك: الصيام (٦٤١).

لأن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص، فالمؤمن يعرف نفسه أنه مؤمن؛ فكيف نستثني؟! فإذا استثنيت، فأنت شاك في إيمانك؛ ولهذا يسمون أهل السنة والجماعة الذين يستثنون في إيمانهم «الشكاكة»، يقولون: أنتم الشكاكة، تشكون في إيمانكم، فهم يمنعون من الاستثناء في الإيمان.

والطرف الثالث يقول بجواز الاستثناء في حالات، ويمنعه في حالات، فيجيز باعتبار، ويمنع باعتبار، وهذا الطرف الثالث هو الصواب، وهو قول أهل السنة والجماعة؛ فلا يجوز الاستثناء في حالات:

الحالة الأولى: إذا قصد الإنسان الشك في أصل إيمانه، فهذا لا يجوز؛ فهذا الاستثناء ممنوع؛ لأن أصل الإيمان التصديق.

أما الحالات التي يجوز فيها الاستثناء، بل يجب فيها فهي أولًا: إذا أراد أن الاستثناء راجع إلى الأعمال؛ فشعب الإيمان متعددة وهي أداء الواجبات، وترك المحرمات، فالإنسان لا يجزم بأنه أدى ما عليه، ولا يزكي نفسه، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

فيكون هذا راجعًا إلى الإيمان الواجب الكامل المطلق الذي يستحق به الإنسان دخول الجنة، والنجاة من النار، الإيمان الذي قال الله في أهله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1] وفي قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[2].

فهنا لا يجزم الإنسان بأنه أدى ما عليه، وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه: «الإيمان بضع وسبعون شعبة»[3].

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٥ .

(٣) البخاري: الإيمان (٩)؛ ومسلم: الإيمان (٣٥)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦١٤)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٥٠٠٥)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٧٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (٥٧)؛ وأحمد (٢/ ٤١٤) .

وفي رواية البخاري: «**الإيمان بضع وستون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(١).

وقد تتبع الإمام البيهقي - رحمه الله - شعب الإيمان، وألف كتابًا سماه (شعب الإيمان)، وأوصلها إلى تسع وسبعين شعبة، فلا يجزم الإنسان بأنه أدى ما عليه، ولا يزكي نفسه، ولا يشهد على نفسه بأنه أدى ما عليه، بل يزري على نفسه؛ ولهذا يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، إذا أراد أن الإيمان والاستثناء راجع إلى الإيمان المطلق.

حيث إن هناك فرقًا بين الإيمان المطلق، ومطلق الإيمان؛ فالإيمان المطلق هو الإيمان الكامل الذي يستحق به دخول الجنة والنجاة من النار؛ أما مطلق الإيمان، فهو أصل الإيمان؛ والإيمان المطلق لا يطلق على العاصي؛ أما مطلق الإيمان، فإنه يطلق على العاصي؛ لأن العاصي مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فهو مؤمن ناقص الإيمان؛ فلا يُنفى عنه الإيمان، فيقال: إنه ليس بمؤمن، وإنما لا بد أن تقيد في النفي وفي الإثبات، فلا ننفي عنه مطلق الإيمان، ولا نثبت له الإيمان المطلق.

فالعاصي مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته؛ لأنك إذا قلت مؤمن، وسكتَّ وافقت المرجئة الذين يقولون: هو مؤمن كامل الإيمان، ولو فعل المعاصي، وكذلك النفي، لا تقل: ليس بمؤمن وتسكت؛ لأنك إذا قلت: ليس بمؤمن وافقت الخوارج والمعتزلة؛ إذن قل: ليس بمؤمن حقًّا، وليس بصادق الإيمان.

الحالة الثانية: إذا استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة، مع عدم الشك في أصل إيمانه، فلا بأس؛ فالعاقبة لا يعلمها إلا الله، تقول: أنا مؤمن إن شاء الله.

---

(١) البخاري: الإيمان (٩)؛ ومسلم: الإيمان (٣٥)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦١٤)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٥٠٠٤)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٧٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (٥٧)؛ وأحمد (٢/ ٤١٤) .

الحالة الثالثة: إذا استثنى وأراد التبرك بذكر اسم الله، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله. فيكون في الثلاث حالات يستثني، وفي حالة لا يستثني، وهذا هو الصواب الذي عليه أهل السنة والجماعة

بعد هذا نعود إلى كلام المؤلف يتمشى مع أي المذاهب؟!!.

يقول المؤلف - رحمه الله - : ثم الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله، هذا هو الاستثناء، كذا كان يقول عبد الله بن مسعود - وهو صحابي جليل - وبه أخذت العلماء من بعده - من بعد ابن مسعود - مثل: علقمة بن قيس النخعي، والأسود بن يزيد النخعي وأبي وائل، شقيق - من أصحاب عبد الله بن مسعود - ومسروق وابن الأجدع ومنصور بن المعتمر والمغيرة وإبراهيم النخعي - كلهم من أهل الكوفة من أتباع عبد الله بن مسعود - والأعمش وحماد بن زيد ويزيد بن زريع وبشر بن المفضل ومعاذ بن معاذ وسفيان بن حبيب وسفيان الثوري وابن المبارك - عبد الله المبارك الإمام المشهور - والفضيل بن عياض في جماعة سواهم يطول الكتاب بذكرهم.

فكل هؤلاء يستثنون، ومُقَدَّمهم في هذا الصحابي عبد الله بن مسعود؛ فكلهم يقول: أنا مؤمن إن شاء الله، فهؤلاء ضد المرجئة؛ إذ المرجئة يمنعون الاستثناء.

يقول المؤلف - رحمه الله - بعد ذلك: وهذا استثناء على يقين: أي أنه على يقين من أصل الإيمان، فالإنسان ما يشكُّ في أصل إيمانه الذي هو التصديق، وإنما الشك في الاستثناء في أداء الواجبات، وترك المحرمات التي هي كمال الإيمان؛ ولهذا قال: وهذا استثناء على يقين.

وقد يقول قائل: كيف يستثني وهو على يقين؟!

قال المؤلف - رحمه الله - : قال الله عز وجل: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [1] فالله عز وجل استثنى، مع أنه يعلم بأنهم سيدخلون،

(١) سورة الفتح آية : ٢٧ .

ومع ذلك استثنى؛ فدل هذا على جواز الاستثناء، وإن كان الإنسان متيقنًا.

- الدليل الثاني: وقال النبي ﷺ: «إني لأرجو أن أكون أتقاكم لله عز وجل»[١]. فالرسول ﷺ يعلم أنه أفضل الناس، وأتقى الناس بدون شك، ومع ذلك استثنى.

الدليل الثالث: وقال - وقد اجتاز البقيع - : «إنا - إن شاء الله - بكم لاحقون»[٢]. أي: بالأموات، وهل الإنسان يشك في أنه ميت؟! لا أحد يشك أنه ميت، ومع ذلك استثنى؛ فهذا كله استثناء على يقين، فدل على جواز الاستثناء، وإن كان الإنسان متيقنًا في أصل إيمانه، لكن يستثني من جهة الكمال؛ أي: من جهة أداء الواجبات وترك المحرمات.

ولكن المرجئة - الذين يمنعون الاستثناء - قالوا بأن الاستثناء في هذه الآية ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[٣] : ما هو باستثناء على يقين - وهو دخول المسجد - وإنما هو استثناء راجع إلى الخوف والأمن، أي: هل يدخلون خائفين، أم يدخلون آمنين؟

والجواب: أن هذا أيضًا ليس بصحيح؛ فإن الله يعلم أنهم يدخلون المسجد الحرام آمنين.

ثم قال المؤلف - رحمه الله - : ولكن يجب أن يعلم الإنسان كيف يستثني، ولأي سبب وقع الاستثناء؛ لئلا يظن المخالف أن استثناءه من قبل الشك.

أي: يجب أن يعلم الإنسان المستثني كيف يستثني، ولأي سبب وقع

---

(١) مسلم: الصيام (١١١٠)؛ وأبو داود: الصوم (٢٣٨٩)؛ وأحمد (٦/ ٦٧)؛ ومالك: الصيام (٦٤١) .

(٢) مسلم: الطهارة (٢٤٩)؛ والنسائي: الطهارة (١٥٠)؛ وأبو داود: الجنائز (٣٢٣٧)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٦)؛ وأحمد (٢/ ٣٠٠)؛ ومالك: الطهارة (٦٠) .

(٣) سورة الفتح آية : ٢٧ .

الاستثناء؛ لئلا يظن المخالف - من المرجئة والخوارج والمعتزلة - أن استثناءه من قبل الشك؛ أي: من أصل الإيمان، ولكن الاستثناء في شيء آخر وهو كمال الإيمان أو عدم العلم بالعاقبة.

ثم قال المؤلف - رحمه الله - : فقد كان سفيان الثوري - الإمام المشهور - وابن المبارك - عبد الله بن المبارك الإمام الزاهد المشهور - يقولان: الناس عندنا مؤمنون في المواريث والأحكام، ولا ندري كيف هم عند الله عز وجل، ولا ندري على أي دين يموتون؛ لأن الاستثناء واقع على ما يستقبل.

والمعنى: أن الناس عندنا مؤمنون في الدنيا، نعاملهم معاملة المؤمنين الذين يُظْهرون الإيمان في المواريث والأحكام؛ فيرث ولو كان عاصيًا ويورث أيضًا، ويغسل إذا مات ويصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين، ولكن ما ندري ما العاقبة عند الله؟ ولهذا قالا: وما ندري كيف هم عند الله عز وجل ولا ندري على أي دين يموتون؛ لأن الاستثناء واقع على ما يستقبل، فالاستثناء إنما يقع على عدم علمه بالعاقبة؛ لأن الإنسان يكون مؤمنًا؛ فالله أعلم بنيات الناس، وأعلم بحقائق إيمانهم وبصدقهم مع الله؛ فالاستثناء راجع إلى الموافاة عند الله - عز وجل - فما ندري هل يوافي ربه صادقًا في إيمانه أو غير صادق، فنقول: إن شاء الله؛ فهذا معنى قوله: ولا ندري كيف هم عند الله، ولا ندري على أي دين يموتون؛ أي: هل يموت على دين الإسلام، فيكون صادقًا، أو يموت على النفاق.

فبعض الناس يقول: أنا مؤمن، ويظهر إيمانه، ويصلي ويصوم مع الناس، ولكنه منافق، مثل المنافقين في عهد النبي ﷺ من أمثال عبد الله بن أُبَيٍّ وغيره من المنافقين؛ فكانوا مسلمين في الظاهر، وكفرة في الباطن، ففي الظاهر يعاملون معاملة المسلمين؛ ولهذا يزوجون ويرثون ويورثون.

ولما مات عبد الله بن أُبَيٍّ كما في صحيح البخاري: أتاه النبي ﷺ

واستخرجه من حفرته، ونفث فيه من ريقه، وألبسه قميصه، وصلى عليه، وهو رئيس المنافقين؛ فلما أراد أن يصلي جذبه عمر وقال: يا رسول الله، رئيس المنافقين تصلي عليه؟! فقال: «أخر عني يا عمر، فإني خيرت، قال الله - تعالى - : ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [(١)]. فلو أعلم أني زدت عن السبعين أن يغفر له، لزدت عن السبعين» ثم نزلت الآية - بعد أن صلى عليه - : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [(٢)] هذه علة ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [(٣)] فكان بعد ذلك من عُرف كفره لا يصلى عليه، ومن لا يعرف كفره يصلى عليه.

فالمنافقون في زمن الرسول ﷺ كانوا يعاملهم معاملة المسلمين في المواريث والأحكام، يغسلون ويصلى عليهم، ويدفنون في مقابر المسلمين ويرثون ويورثون، ويزوجون، لكن في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، هذا معنى قول الإمامين - سفيان الثوري وابن المبارك - : الناس عندنا مؤمنون في المواريث والأحكام، ولا ندري كيف هم عند الله عز وجل، ولا ندري على أي دين يموتون؛ لأن الاستثناء واقع على ما يستقبل - على ما يوفون به عند الله - ثم قال المؤلف: لأن قول العبد: أنا مؤمن إن شاء الله. أي: إن قبل الله إيماني وأماتني عليه - على الإيمان - فأنا مؤمن، قالوا: وهذا بمنزلة رجل صلى صلاة، فقال: قد صليت وعلى الله القبول، صليت والصلاة صحيحة إن قبلها الله، وكذلك الحج: وحججت وعلى الله القبول، وكذلك إذا صام أو عمل عملًا، فإنما يقع استثناؤه فيه على الخاتمة، وقبول الله إياه.

ثم قال المؤلف: لا أنه شاك فيما قد قاله وعمله، وليس هناك شك، ما

---

(١) سورة التوبة آية : ٨٠ .
(٢) سورة التوبة آية : ٨٤ .
(٣) سورة التوبة آية : ٨٤ .

يشك فيه في قوله ولا في عمله، ما يشك، متيقن، ولكن يستثني؛ لأنه لا يدري ما تكون العاقبة، ليس لأنه شاك في أقواله أو أعماله.

ثم قال المؤلف: وقد يرى الرجل يصلي فيقال له: صليت؟ فيقول: نعم، إن قبلت. هذا الاستثناء إن قبلت صلاتي فأنا صليت، هذا الذي ذهب إليه المؤلف - رحمه الله - وهذا أحد الاعتبارات التي يستثنى فيها، وهو عدم علمه بالعاقبة، وهناك أمر آخر ما ذكره المؤلف، وهو أمر مهم، وهو أن الاستثناء راجع إلى الإيمان المطلق.

وهو أن الإنسان يقول: أنا مؤمن إن شاء الله. أي: أنا ما أدري: هل أديت الواجبات، وتركت المحرمات؟ فلعلي قصرت في بعض الواجبات، أو ارتكبت بعض المحرمات، فيكون الإنسان ناقص الإيمان، فلا يزكي الإنسان نفسه، بل يزري على نفسه، ويقول: أنا مؤمن إن شاء الله؛ لأن شعب الإيمان متعددة، والواجبات كثيرة، والمحرمات كثيرة، فلا أدري هل أديت ما علي أو نقصت، فأنا مؤمن إن شاء الله، إن كنت أديت ما أوجب الله علي، وتركت ما حرم الله علي.

وهناك أمر ثالث يجوز فيه الاستثناء وهو إذا أراد التبرك بذكر اسم الله، مثل قول النبي ﷺ: **«وإنا - إن شاء الله - بكم للاحقون»**[1]. فيكون المؤلف قد ذكر حالة للاستثناء وترك حالتين.

وبين أنه لا يستثني إذا أراد أصل الإيمان، حتى لا يقول المرجئة إنه شاك في إيمانه، فإذن قول المرجئة: هذا شكاك في أصل الإيمان - مردود؛ لأنا ما نريد أصل الإيمان، فلسنا شاكين في إيماننا، ولكن نستثني لهذه الأمور الثلاثة؛ ثم لأن الاستثناء راجع إلى الإيمان المطلق، أو الاستثناء راجع إلى عدم العلم بالعاقبة، أو أريد التبرك بذكر اسم الله.

---

(١) مسلم: الجنائز (٩٧٥)؛ والنسائي: الجنائز (٢٠٤٠)؛ وابن ماجه: ما جاء في الجنائز (١٥٤٧)؛وأحمد (٥/٣٥٣، ٥/٣٥٩) .

الإسلام وعلاقته بالإيمان

قال المؤلف - رحمه الله - : ثم بعد ذلك أن يعلم أن الإسلام معناه غير الإيمان، فالإسلام اسم ومعناه الملة، والإيمان اسم ومعناه التصديق، قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾[1] أي: بمصدق لنا، والآي في صحة ما قلناه كثيرة، ومنه: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[2] ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك بالله، أو برد فريضة من فرائض الله عز وجل جاحدًا بها، فإن تركها تهاونًا وكسلًا كان في مشيئة الله عز وجل إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له.

الشرح : هذه المسألة - مسألة الإسلام وعلاقته بالإيمان - هي المسألة الثانية من مسائل التوحيد بعد مسألة الإيمان، وهذه المسألة فيها تفصيل: هل الإسلام هو الإيمان، والإيمان هو الإسلام، أم الإسلام شيء، والإيمان شيء آخر؟

وهذا فيه أقوال أربعة:

القول الأول: إن الإسلام هو الإيمان، والإيمان هو الإسلام، ولا فرق بينهما، فهما مترادفان، فأعمال القلوب وأعمال الجوارح كلها تسمى إسلامًا،

---

(١) سورة يوسف آية : ١٧ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٤ .

وتسمى إيمانًا، وذهب إلى هذا القول طائفتان: طائفة من أهل البدع، وطائفة من أهل السنة.

ذهب إلى هذا القول الخوارج والمعتزلة من أهل البدع، فقالوا بأن الإسلام هو الإيمان، والإيمان هو الإسلام.

وذهب إليه طائفة من أهل السنة وعلى رأسهم الإمام البخاري في صحيحه، فإنه أقر في «صحيحه» في كتاب الإيمان: أن الإسلام هو الإيمان، والإيمان هو الإسلام.

واحتجوا بقول الله - تعالى - في قصة قوم لوط في سورة (الذاريات): ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١) فقالوا: ما كان إلا بيت واحد، وهو لوط وابنتاه، فلم يكن هناك مسلمون غيرهم، بيت واحد وصفهم بالإيمان، وبالإسلام، فدل على أن الإسلام هو الإيمان، والإيمان هو الإسلام.

ولكن أجاب الجمهور بأن أهل هذا البيت اتصفوا بالإسلام وبالإيمان، وكون هذا البيت اتصف بالإسلام والإيمان لا يدل على أن كل البيوت هكذا، لكن بيوت أخرى تتصف بالإسلام، ولا تتصف بالإيمان.

والطائفة الثانية قالوا: الإسلام هو الكلمة، والإيمان هو العمل، فالإسلام هو الكلمة؛ أي: الشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. والإيمان هو العمل، وعلى رأس هؤلاء الإمام الزهري؛ فيقول: الإسلام هو الكلمة؛ أي: النطق بالشهادتين، ولكن الإمام الزهري - رحمه الله - مراده بالإسلام هو الكلمة أن الكافر إذا نطق بالشهادتين تميز عن اليهود والنصارى فحكم بالإسلام، وليس المراد أنه لا يجب عليه إلا هذه الكلمة، وأن الإسلام هو خاص بهذه الكلمة.

---

(١) سورة الذاريات آية : ٣٥ - ٣٦ .

ولهذا فالإمام أحمد - رحمه الله - امتنع في أحد جوابيه عن القول بأن الإسلام هو الكلمة؛ خشية أن يظن أن الإسلام خاص بالكلمة، والإمام الزهري أجل من أن يخفى عليه ذلك، وكأن هؤلاء استدلوا بقول الله - تعالى - : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[1] قالوا: فالظالم لنفسه هو المسلم، والمقتصد هو المؤمن، والسابق بالخيرات هو المحسن.

وأجيب بأن الآية ليس فيها دليل على أن الإسلام هو مجرد الكلمة، إنما المسلم هو الذي خضع وانقاد لله عز وجل.

والطائفة الثالثة قالوا: إن الإسلام هو الأعمال الظاهرة، والإيمان هو الأعمال الباطنة، واستدلوا بحديث جبريل: لما سأل النبي ﷺ عن الإسلام فسره بالأعمال الظاهرة، فقال: الإسلام الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والإيمان فسره بالأعمال الباطنة: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره»[2].

وهذا الحديث فيه رد على الذين قالوا: إن الإسلام والإيمان مترادفان، وحجتهم أن الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، هذا على الحذف، والتقدير: شعائر الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، لكن أجيب بأن الأصل عدم التقدير.

والصواب أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا؛ وإذا افترقا اجتمعا، ومعناه أن الإسلام إذا أطلق وحده، دخل فيه الإيمان، والإيمان إذا أطلق وحده، دخل فيه الإسلام؛ وإذا اجتمعا فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة.

---

(١) سورة فاطر آية : ٣٢ .

(٢) مسلم: الإيمان (٨)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦١٠) والنسائي: الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِه (٤٩٩٠)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٩٥)؛ وابن ماجه: المقدمة (٦٣)؛ وأحمد (١/ ٥١).

والدليل حديث جبريل لما جمع بين الإسلام والإيمان فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة: الشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة: **«تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر»**(١) لأنهما اجتمعا.

ولكن إذا افترقا - جاء الإسلام وحده - : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾(٢) الإسلام يشمل الأعمال الباطنة والظاهرة، إذا قلت: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾(٣) جعل الإيمان بدون الإسلام، يدخل فيه الأعمال الظاهرة والباطنة.

والدليل على هذا أدلة كثيرة، لما قال النبي ﷺ في الحديث الذي في الصحيحين: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»**(٤). فَأَدْخَلَ في مسمى الإيمان الأعمال كلها.

وفي حديث وفد عبد القيس في الصحيحين، قال: **«آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم»**(٥).

---

(١) البخاري: الإيمان (٥٠)؛ ومسلم: الإيمان (٩)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩١)؛ وابن ماجه: المقدمة (٦٤)؛ وأحمد (٢/٤٢٦).

(٢) سورة آل عمران آية : ١٩ .

(٣) سورة النور آية : ٦٢ .

(٤) البخاري: الإيمان (٩)؛ ومسلم: الإيمان (٣٥)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦١٤)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٥٠٠٥)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٧٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (٥٧)؛ وأحمد (٢/ ٤١٤) .

(٥) البخاري: الإيمان (٥٣)؛ ومسلم: الإيمان (١٧)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦١١)؛ والنسائي: الأشربة (٥٦٩٢)؛ وأبو داود: الأشربة (٣٦٩٢)؛ وأحمد (١/ ٣٦١).

ففسر الإيمان بالأعمال؛ لأن الإيمان جاء وحده؛ فإذا جاء الإيمان وحده؛ دخل فيه الأعمال الظاهرة والباطنة وإذا جاء الإسلام وحده، دخل فيه الأعمال الباطنة والظاهرة؛ وإذا اجتمع الإيمان والإسلام، افترقا، وصار لكل واحد منهما معنى؛ صار الإسلام الأعمال الظاهرة، والإيمان الأعمال الباطنة.

ولهذه القاعدة نظائر مثل: الفقير والمسكين، فهذان اللفظان إذا اجتمعا افترقا؛ وإذا افترقا اجتمعا، فإذا أطلق الفقير وحده، دخل فيه المسكين؛ وإذا أطلق المسكين وحده، دخل فيه الفقير؛ وإذا اجتمعا، صار لكل واحد منهما معنى، مثال افتراقهما قول الله - تعالى - : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقوله ﷺ: «ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان»[2]. يشمل الفقير والمسكين؛ أما إذا اجتمعا كقوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾[3] صار لكل واحد منهما معنى.

فالفقير أشد حاجة؛ لأن الله بدأ به، وهو الذي لا يجد شيئًا، أو يجد أقل من نصف الكفاية، من كفاية سنة نفقة وكسوة وسكنى، والمسكين: الذي يجد نصف الكفاية، ولكنه لا يجد تمام الكفاية، فيكون المسكين أحسن حالًا منه.

ومثله الكفر والنفاق؛ فإذا جاء الكفر، دخل فيه النفاق؛ وإذا أطلق النفاق؛ دخل فيه الكفر؛ وإذا اجتمعا، صار الكفر كفر الظاهر، وصار النفاق الكفر في الباطن، وهكذا.

ويدل على الفرق بين الإسلام والإيمان ما جاء في الحديث: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب»[4].

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٧٣ .

(٢) البخاري: الزكاة (١٤٧٩)؛ ومسلم: الزكاة (١٠٣٩)؛ والنسائي: الزكاة (٢٥٧١)؛ وأبو داود: الزكاة (١٦٣١)؛ وأحمد (٢/ ٢٦٠)؛ والدارمي: الزكاة (١٦١٥) .

(٣) سورة التوبة آية : ٦٠ .

(٤) أحمد (٣/ ١٣٤) .

ويدل على الفرق بين الإسلام والإيمان - أيضًا - المعنى اللغوي؛ فإن الإسلام معناه الاستسلام والانقياد؛ انقياد وذل وخضوع، ينقاد الإنسان فيؤدي الأعمال؛ وأما الإيمان، فأصله التصديق، تصديق في القلب.

أما الذين قالوا بأن الإسلام هو الإيمان والإيمان هو الإسلام؛ فإذا كان الإيمان هو التصديق، ثم إن الإسلام هو الإيمان، صار معنى الإسلام التصديق، وهذا لا يقوله أحد من أهل اللغة؛ فالإسلام - في اللغة - من الاستسلام والانقياد والخضوع والذل، يقال: أسلمت قيادي لهذا الشخص، أي: خضعت وذللت له، ومما يدل على الفرق بينهما قول الله - تعالى - : ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[1] ففرق الله بين الإيمان والإسلام.

فالعاصي يسمى مسلمًا ولا يسمى مؤمنًا، والمطيع يسمى مؤمنًا، لكن البخاري وجماعة - رحمهم الله - قالوا: إن هذه الآية في المنافقين: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾[2]؛ أي: استسلمنا وانقدنا للإسلام ظاهرًا، ولكن الصواب الذي عليه الجمهور ووافقه شيخ الإسلام ابن تيمية - بأنها ليست في المنافقين، بل هي في ضعفاء الإيمان، بدليل ما قبل الآية وما بعدها؛ لأن الآية فيها: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[3].

ثم قال: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾[4] لا ينقصكم من ثوابه؛ ولو كانوا منافقين، لما صار لهم ثواب، ثم قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٤ .

(٢) سورة الحجرات آية : ١٤ .

(٣) سورة الحجرات آية : ١٤ .

(٤) سورة الحجرات آية : ١٤ .

﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(١) في إيمانهم، فهؤلاء هم المؤمنون الكمل، وأنتم ضعفاء الإيمان، فالصواب أنها في ضعفاء الإيمان.

وبعد هذا نعود إلى كلام المؤلف - رحمه الله - فيقول: ثم بعد ذلك أن يعلم أن الإسلام معناه غير الإيمان.

الشرح : صار المؤلف على قول الجمهور بأن الإسلام غير الإيمان.

فقال: الإسلام اسم ومعناه الملة، والملة يعني: الدين، والإيمان اسم ومعناه التصديق، فالإسلام الدين، والإيمان التصديق؛ فإذن هما شيئان.

ثم أراد المؤلف - رحمه الله - أن يستدل على ذلك فقال: قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾(٢) يريد بمصدق لنا؛ ففسر الإيمان بالتصديق؛ فدل ذلك على أن الإيمان أصله التصديق، والآي في صحة ما قلناه كثير - والآي جمع آية، يقال: آي، ويقال: آيات - والمعنى أن الآيات في صحة ما قلناه كثير، والذي قاله هو أن الإسلام غير الإيمان، ومنه - يعني: من الأدلة - قوله - تعالى - : ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾(٣) ووجه الدلالة على أن الإسلام غير الإيمان هو أن الله - تعالى - نفى عنهم الإيمان، وأثبت لهم الإسلام، فدل على أنهما شيئان؛ ولو كان الإيمان هو الإسلام، والإسلام هو الإيمان، لقال: نعم أنتم صادقون في قولكم: (آمنا)؛ لأن الإسلام هو الإيمان والإيمان هو الإسلام. ولما نفى الله عنهم الإيمان، وأثبت لهم الإسلام - دل على أن الإسلام شيء، والإيمان شيء، فالإيمان لا يطلق إلا على مطيع.

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٥ .

(٢) سورة يوسف آية : ١٧ .

(٣) سورة الحجرات آية : ١٤ .

والمطيع: هو الذي يؤدي الواجبات ويترك المحرمات، يقال له: مؤمن؛ فإذا كان عاصيًا يرتكب الكبيرة، يسمى مسلمًا، ولا يسمى مؤمنًا، فما يسمى مؤمنًا إلا بتقييد، إما نقول: مؤمن عاص، أو نقول: مسلم فقط؛ أما إذا كان مطيعًا، فنقول: مؤمن، ونقول: مسلم أيضًا، فدلت الآية على التفريق بين الإيمان والإسلام.

يقول المؤلف - رحمه الله - : ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، يخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام إذا عصى الله عز وجل؛ أما إذا كان مطيعًا يؤدي الواجبات، وينتهي عن المحرمات، فهذا لم يخرج من الإيمان، وإنما يكون مؤمنًا؛ فإذا عصى خرج من اسم الإيمان المطلق الكامل، وصار يسمى مسلمًا بإطلاق، ولا يقال: مؤمن بإطلاق إلا بقيد، يقال: مؤمن ضعيف الإيمان، ومؤمن ناقص.

ولا بد للإسلام من إيمان يصح به؛ فأصل الإيمان لا بد منه، لكن العاصي يسمى مسلمًا ولا يسمى مؤمنًا، لكن متى يخرج من الإسلام؟ فإنه لا يخرج من الإسلام إلا بالكفر؛ ولهذا قال: ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك بالله - عز جل - وهو الشرك في ربوبية الله، بأن يعتقد أن هناك مدبرًا مع الله أو خالقًا، أو يعتقد أن يجعل لله صاحبة وولدًا، أو يشرك في ألوهية الله، بأن يدعو غير الله، ويذبح لغير الله - نعوذ بالله - أو يشرك في أسمائه أو في صفاته؛ فإذا وقع في الشرك، خرج من الإسلام.

أو برد فريضة من فرائض الله؛ فإذا رد فريضة من فرائض الله جاحدًا بها - يعني: أنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة وجوبه أو تحريمه - يخرج ويكفر.

مثال ذلك: الصلاة فريضة مجمعٌ على وجوبها؛ فإذا أنكر وجوب الصلاة، فقد رد فريضة من فرائض الله، فيكفر بإجماع المسلمين، ومثلها الزكاة، والصوم، والحج، وبر الوالدين، وصلة الرحم .... إلخ؛ فمن أنكر وجوب شيء من ذلك، كفر.

ومثله لو أنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة تحريمه، كمن أنكر تحريم الربا؛ فالربا حرام بالإجماع، ومثله من أنكر تحريم الزنا، وشرب الخمر، والحكم بغير ما أنزل الله، وشهادة الزور. . . .إلخ؛ فمن أنكر تحريم شيء من ذلك، يكفر.

أما إذا أنكر أمرًا مختلفًا فيه، كمن أنكر وجوب الوضوء من أكل لحم الجزور، فإنه لا يكفر؛ لأن هذا ليس بمتفق عليه، ففيه الخلاف. ومثله من أنكر تحريم الدخان، فإنه لا يكفر، وإن كان الصواب أن الدخان حرام، لكن بعض الناس لديهم شبهة، فهناك من يجد من يفتيه بأنه ليس بحرام؛ فإذن لا يكفر، فلا بد أن يكون الشيء الذي أنكره مجمعٌ على تحريمه أو وجوبه.

ولهذا قال المؤلف: لا يخرجه من الإسلام إلا الشرك بالله، أو بِرَدِّ فريضة من فرائض الله عز وجل جاحدًا بها؛ أما إذا تركها تهاونًا وكسلًا، فإنه لا يكفر؛ قال المؤلف: لا، ما يكفر إن تركها تهاونًا وكسلًا، كان في مشيئة الله عز وجل إن شاء عذبه؛ وإن شاء غفر له.

كلام المؤلف - رحمه الله - هذا ليس على الإطلاق؛ إذ لو ترك فريضة من فرائض الله كسلًا وتهاونًا وهو يعلم أنها واجبة، فهذا فيه تفصيل؛ أما الصلاة، فالصواب أنه يكفر ولو تركها كسلًا وتهاونًا، وهذا هو الصواب الذي عليه المحققون، والذي دلت عليه النصوص، وأجمع عليه الصحابة حتى ولو لم يجحد وجوبها، فهذا من خصوصية الصلاة.

ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»[1]. فجعل الصلاة حدًّا فاصلًا، والبينية تفصل بين الشيء وبين غيره،

---

(١) مسلم: الإيمان (٨٢)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦٢٠)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٧٨)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٧٨)؛ وأحمد (٣/ ٣٨٩)؛ والدارمي: الصلاة (١٢٣٣) .

ثم أتى بالكفر المُعرَّف الذي يستغرق أنواع الكفر، وقال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها، فقد كفر**»(١). والبينية حَدٌّ فاصل.

وثبت في صحيح البخاري من حديث بريدة بن الحصيب أن النبي ﷺ قال: «**من ترك صلاة العصر، فقد حبط عمله**»(٢). والذي يحبط عمله هو الكافر.

وأيضًا ثبت في حديث النهي عن الخروج على الأمراء، قال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»(٣). إذا كان كفرًا بواحًا، جاز الخروج عليهم، ثم قال في الحديث الآخر لمَّا ذكر أنه يكون عليهم أمراء، وأنهم يتلاعنون، قالوا: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**»(٤).

فدل على أنهم إن لم يقيموا الصلاة فإنهم كفار ينابذون بالسيف؛ لأنهم أتوا كفرًا بواحًا، والأدلة في هذا صريحة.

وقد نقل عبد الله بن شقيق العُقيليّ التابعي الجليل إجماع الصحابة على أن ترك الصلاة كفر، فقال: «**كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا تركه كفرًا غير الصلاة**»(٥).

ونقل هذا الإجماع إسحاق بن راهويه والإمام ابن حزم وجماعة، فدل على أن ترك الصلاة كسلًا وتهاونًا يكون كفرًا، وعلى هذا لا يشكل النصوص التي جاءت فيها: «**أن من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة**»(٦). «**وأنه يخرج من النار**

---

(١) الترمذي: الإيمان (٢٦٢١)؛ والنسائي: الصلاة (٤٦٣)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٧٩)؛ وأحمد (٥/ ٣٤٦).

(٢) البخاري: مواقيت الصلاة (٥٥٣)؛ والنسائي: الصلاة (٤٧٤)؛ وابن ماجه: الصلاة (٦٩٤)؛ وأحمد (٥/ ٣٥٧).

(٣) البخاري: الفتن (٧٠٥٦).

(٤) مسلم: الإمارة (١٨٥٥)؛ وأحمد (٦/ ٢٤)؛ والدارمي: الرقاق (٢٧٩٧).

(٥) الترمذي: الإيمان (٢٦٢٢).

(٦) البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٣٥)؛ ومسلم: الإيمان (٢٨)؛ وأحمد (٥/ ٣١٣).

من قال: **لا إله إلا الله**»[١]؛ لأن الصلاة شرط في صحة الإيمان والتوحيد؛ فإذا لم يصل، فإنها تنتقض عليه كلمة التوحيد، فما يكون موحدًا إلا إذا صلى، كما لو توضأ ثم أحدث فينتقض وضوءه، كما أن الوضوء شرط في صحة الصلاة، فكذلك الصلاة شرط في صحة الإيمان والتوحيد.

هذا هو الصواب، والمؤلف - رحمه الله - مثّل لهذا؛ أما المتأخرون، فإنهم يرون أن ترك الصلاة كسلًا وتهاونا كفر أصغر، وكذلك المرجئة وبعض أهل السنة المتأخرون يرون أن ترك الصلاة كسلًا وتهاونًا لا يكون كفرًا أكبر، وإنما يكون كفرًا أصغر، والصواب أنه يكون كفرًا أكبر؛ لِمَا ذكرنا من الأدلة والنصوص الواضحة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولإجماع الصحابة الذي نقله عبد الله بن شقيق العقيلي وإسحاق بن راهويه وابن حزم وغيرهم .

أما الزكاة فإذا جحد وجوبها كفر؛ أما إذا تركها تهاونًا وكسلًا، فالصواب أنه لا يكفر بل يعزر، وتؤخذ منه ويؤدب، والدليل على هذا أن ما جاء في الحديث في قصة أن من ترك الزكاة يعذب: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقها إلا كان يوم القيامة صفحت له الصفائح من النار، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد**»[٢] .

«**ولا صاحب إبل ولا بقر ولا غنم، لا يؤدي حقها إلا وكان يوم القيامة بُطِحَ لها بقاع قرقر تطؤه بأخفافها، وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة**»[٣] ثم قال النبي ﷺ: «**ثم يرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار**»[٤] .

---

(١) البخاري: الإيمان (٤٤)؛ ومسلم: الإيمان (١٩٣)؛ والترمذي: صفة جهنم (٢٥٩٣)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٣١٢)؛ وأحمد (٣/ ١٧٣) .

(٢) مسلم: الزكاة (٩٨٧)؛ وأبو داود: الزكاة (١٦٥٨)؛ وأحمد (٢/ ٢٧٦) .

(٣) مسلم: الزكاة (٩٨٧)؛ وأبو داود: الزكاة (١٦٥٨)؛ وأحمد (٢/ ٣٨٣) .

(٤) مسلم: الزكاة (٩٨٧)؛ وأبو داود: الزكاة (١٦٥٨)؛ وأحمد (٢/ ٢٦٢) .

فقوله: «ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[١]. دل على أنه ليس بكافر؛ ولو كان كافرًا، لم يكن له سبيل إلى الجنة، بل يكون سبيله إلى النار، ومثله الصيام - على الصحيح - والحج، وهذه مسألة فيها الخلاف؛ قال بعض العلماء: إن الزكاة والحج والصوم إذا تركها كسلًا يكفر كفرًا أكبر.

والصواب أن هذا خاص بالصلاة؛ أما الزكاة والصوم والحج، فالصواب أنه لا يكفر بتركها كسلًا وتهاونًا، وهذا هو الصواب الذي تدل عليه النصوص.

فقرر المؤلف - رحمه الله - أن الرجل يخرج من الإيمان إلى الإسلام إذا عصى، ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك، أو برد فريضة من فرائض الله.

وهاتان المسألتان - مسألة الاستثناء في الإيمان ومسألة الفرق بين الإسلام والإيمان - هما مسألتان عظيمتان مهمتان، فنحمد الله - سبحانه وتعالى - على التوفيق، ونسأله - سبحانه وتعالى - أن يرزقنا جميعًا العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يثبتنا على الإسلام حتى الممات؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

۞ ۞ ۞

(١) مسلم: الزكاة (٩٨٧)؛ وأبو داود: الزكاة (١٦٥٨)؛ وأحمد (٢/ ٢٦٢).

القرآن كلام الله غير مخلوق

قال المؤلف - رحمه الله - : ثم من بعد ذلك أن يعلم بغير شك ولا مرية ولا وقوف أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله، فيه معاني توحيده، ومعرفة آياته وصفاته وأسمائه، وهو علم من علمه غير مخلوق، وكيف قرئ، وكيف كتب، وحيث تلي، وفي أي موضع كان في السماء وجد أو في الأرض، حفظ في اللوح المحفوظ وفي المصاحف، وفي ألواح الصبيان مرصودًا، أو في حجر منقوشًا.

وعلى كل الحالات، وفي كل الجهات، فهو كلام الله غير مخلوق، ومن قال: مخلوق. أو قال: كلام الله. ووقف أو شك، أو قال بلسانه وأضمره في نفسه - فهو بالله كافر، حلالُ الدم، بريء من الله، والله منه بريء؛ ومن شك في كفره ووقف عن تكفيره، فهو كافر؛ لقول الله عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[1] وقال - تعالى - : ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[2]، وقوله - تعالى - : ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾[3].

فمن زعم أن حرفًا واحدًا منه مخلوق، فقد كفر لا محالة، فالآي في ذلك من القرآن، والحجة عن المصطفى ﷺ أكثر من أن تحصى، وأظهر من تخفى.

الشرح : فهذه المسألة من مسائل التوحيد والإيمان، وهي مسألة القرآن، فالقرآن كلام الله عز وجل تكلم الله به بحرف وصوت، وسمعه منه جبرائيل

(١) سورة البروج آية : ٢١ - ٢٢ .

(٢) سورة التوبة آية : ٦ .

(٣) سورة الطلاق آية : ٥ .

- عليه الصلاة والسلام - وأنزله على قلب محمد ﷺ وحيًا، كما قال الله - تعالى - : ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1] نزل بلغة العرب، والقرآن كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف.

هذا هو الصواب الذي تدل عليه النصوص، وهو معتقد أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة والعلماء: أن القرآن كلام الله، صفةٌ من صفاته، منزلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، خلافًا لأهل البدع.

فالمعتزلة والجهمية يقولون بأن القرآن لفظه ومعناه مخلوق، وليس صفة من صفات الله، وإنما هو صفة لمخلوق، أضيف إلى الله إضافة المخلوق إلى خالقه، كما أضيف العبد والناقة والرسول، كما يقول: رسول الله، وعبد الله، وناقة الله؛ أي: اللفظ مخلوق أضيف إلى من خلقه؛ لذا كلام الله يكون مخلوقًا.

قالوا: إن الله تعالى لما كلم موسى خلق الكلام في الهواء، ولما كلم موسى - كما في قوله - تعالى - : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[2] - : إن الله خلق كلامه في الشجرة، فالشجرة هي التي قالت: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[3] هذا هو رأي المعتزلة والجهمية الذين يقولون بأن كلام الله ليس صفة من صفاته، بل هو مخلوق لفظه ومعناه. وقالت الأشاعرة: إن كلام

---

(١) سورة الشعراء آية : ١٩٣ - ١٩٥ .
(٢) سورة القصص آية : ٢٩ - ٣٠ .
(٣) سورة القصص آية : ٣٠ .

الله المعاني دون الحروف والألفاظ، فكلام الله عندهم معنى قائم بنفسه، ليس بحرف ولا صوت، وقالوا: إن جبريل لم يسمع كلام الله، فكلام الله لا يُسمع، بل هو معنى قائم في نفسه لا يسمع مثل العلم؛ فكما أن العلم لا يسمع فكذلك القرآن معنى قائم في نفس الرب لا يسمع؛ وأما الحروف والكلمات، فهذه من جبريل أو من محمد. قالوا: إن الله - تعالى - اضطر جبريل اضطرارًا أن يتفهم المعنى القائم بنفسه، ففهم المعنى القائم بنفس الرب، فعبر بهذه الحروف والكلمات، فالقرآن الموجود بين أيدينا يقولون بأن كلام الله هنا قائم بنفسه، لكن الذي عبر عنه جبريل.

وقال آخرون من الأشاعرة: إن الذي عبر به محمد، فكلام الله عبارة عن محمد.

وقال آخرون: إن جبريل أخذه من اللوح المحفوظ، ولم يسمع من الله حرفًا ولا كلمة، فعلى هذا يكون القرآن الموجود في المصاحف - على رأيهم - عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله، ويسمونه عبارة الحروف، والكلام عبارة؛ أما الكلام والقرآن، المعنى قائم بنفس الرب، لا يسمع، ليس بحرف ولا صوت.

والكلابية يقولون: الكلام معنى قائم بنفس الرب، والحروف والأصوات حكاية دالة عن كلام الله.

فالفرق بين الكلابية والأشاعرة أن الكلابية يقولون: الحروف والكلمات والأصوات حكاية عن كلام الله، والأشاعرة يقولون: عبارة عن كلام الله، وكل منهما يقول بأن كلام الرب معنى قائم بنفسه.

وقالت السالمية: إن الحروف والألفاظ... إن كلام الله حروف، ألفاظ ومعانى، إلا أنها لا تتعلق بالمشيئة والاختيار، ما يتكلم إذا شاء، لم يزل يتكلم في الأزل يقول: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾[1] مستمع

---

(١) سورة المجادلة آية : ١ .

كلام ما يتعلق بقدرته ومشيئته. قالوا: لو قلنا: إنه يتكلم بقدرته ومشيئته، لحدث الكلام في ذات الله، وصار الله محلا للشوائب. ففرارًا من ذلك قالوا: الحروف والأصوات قديمة.

وذهبت الكرامية إلى أن الحروف والأصوات والكلمات والألفاظ والمعاني كلام الله، إلا أنه حادث في ذاته، كائن بعد أن لم يكن، زعموا بأن الله لم يكن متكلمًا وكان الكلام ممتنعًا عليه - نعوذ بالله - ثم انقلب الأمر فجأة فصار ممكنًا، قالوا: حتى لا تكون الحوادث متسلسلة، حتى لا يسد علينا باب إثبات الصانع.

وذهبت الاتحادية إلى أن كل كلام يسمع في الوجود - كلام الحيوانات، وكلام الآدميين، وكلام الطيور، وكلام الإنس والجن - كله كلام الله حقُّه وباطله (والعياذ بالله)، وهؤلاء هم الملاحدة الذين يقولون بأن الوجود واحد، الرب هو الخالق، الخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق، والرب هو العبد، والعبد هو الرب.

وكلُّ كلام يُسمعُ في الوجود كلام الرب: الشعر والهزل، والسحر والكفر - والعياذ بالله - كله نسبوه إلى الله - نعوذ بالله - حتى قال ابن عربي - رئيس وحدة الوجود - :

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وكذلك ذهبت الفلاسفة إلى أن الكلام معنًى يفيض من العقل الفعَّال على النفس الفاضلة الزكية - النبي - وليس بحرف ولا صوت؛ فيحصل لها تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته فيه، فالكلام معانٍ ليس بحرف ولا صوت.

وأما أهل السنة والجماعة، فهم الذين على الحق، يقولون بأن القرآن كلام الله تعالى صفة من صفاته، لفظه ومعناه حروفه وكلماته، منزل وغير مخلوق، ومن قال: إنه مخلوق، فقد كفر، كما قال المؤلف رحمه الله.

ولهذا قال المؤلف - رحمه الله - : (القرآن) ثم من بعد ذلك أن يعلم

بغير شك ولا مرية ولا وقوف أن القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله؛ فهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، لا بد أن يعتقد المسلم بغير شك ولا مرية ولا وقوف ولا توقف أن القرآن كلام الله؛ فمن شك كان عنده شك أو توقف عن القول بأن القرآن كلام الله، فهو جهميٌّ؛ إذ لا بد أن يعتقد المسلم ويعلم من غير شك ولا مرية ولا توقف أن القرآن كلام الله، تكلم الله به بحرف وصوت يُسمع، سمعه منه جبرائيل ثم نزل به على قلب محمد ﷺ.

وكلام الله هو وحيه وتنزيله، أوحاه الله وأنزله بواسطة جبرائيل على نبينا محمد ﷺ فيه معاني توحيده، والله تعالى أمر فيه بعبادته، وأمر بدعائه وإفراده بالدعاء، والذبح والصلاة والنسك؛ قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾[1] وفيه معرفة آياته وصفاته وأسمائه، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[2]، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3]، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[4].

وهو علم من علمه غير مخلوق، وهو أصل العلم، ومنبع العلوم، وهو الحكمة التي آتاها الله نبيه ﷺ ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾[5] فالعلم النافع الحكمة، والعلم النافع هو المأخوذ من الكتاب ومن السنة.

هو علم من علمه غير مخلوق، وكيف قرئ، وكيف تلي، وكيف كتب، وحيث تلي، وفي أيِّ موضع كان، في السماء وجد أو في الأرض، حُفِظَ في اللوح المحفوظ، أو في المصحف، وفي ألواح الصبيان مرسومًا، أو في حجر منقوشًا، وعلى كل الحالات وفي كل الجهات، فهو كلام الله غير مخلوق.

---

(١) سورة الأنعام آية : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٨٠ .

(٣) سورة النساء آية : ١١ .

(٤) سورة الشورى آية : ١١ .

(٥) سورة الأحزاب آية : ٣٤ .

والمعنى: أن القرآن كلام الله - تعالى - حيث تصرف؛ إن قرأه القارئ، فهو كلام الله، كلام الله مقروء؛ وإن تلاه التالي، فكلام الله له متلوّ؛ وإن حفظه الحافظ، فكلام الله له محفوظ؛ وإن سمعه السامع، فكلام الله له مسموع؛ وإن كتبه الكاتب، فكلام الله له مكتوب، فالمصحف فيه كلام الله، وفيه كتابة الكاتب، وفيه مدادٌ كُتبَ به، وفيه ورق فالظرفية مختلفة، وهو في هذه المواضع كلها حق ليس مجازًا؛ ولو كان مجازًا، لصحَّ نفيه، فيقال: ما سمع السامع كلام الله، ما قرأ القارئ كلام الله، ما كتب الكاتب كلام الله، وهذا باطل نهايته جهنم.

فالقرآن كلام الله حيث تصرف؛ ولهذا قال المؤلف: وكيف قُرئ، وكيف كُتب فهو كلام الله. وكيف قُرئ فكلام الله مقروء حقيقةً، وكيف كتب فكلام الله مكتوب، وحيث تُلِيَ فكلام الله متلوٌّ حقيقةً، وفي أي موضع كان فهو كلام الله، في السماء - في اللوح المحفوظ - وجد، أو في الأرض - في المصحف - فهو كلام الله غير مخلوق.

أما الأصوات - صوت فلان القارئ - فهذا من أفعاله؛ ولهذا تختلف الأصوات - أصوات القراء -؛ فهذا صوته حسن، وهذا صوته غير حسن؛ فهذا ينسب إليه من أفعاله؛ ولهذا جاء في الحديث: «حسنوا القرآن بأصواتكم»[1]. وجاء: «زينوا القرآن بأصواتكم»[2].

فالقرآن يُقرأ، ويقرأه القارئ بصوت حسن، ويقرأه قارئ آخر بصوت أقل من ذلك، وحديث البراء أنه قال: صليت مع النبي ﷺ صلاة العشاء، فقرأ سورة: (والتين والزيتون)، فما سمعت صوتًا أحسن منه - عليه الصلاة

---

(١) النسائي: الافتتاح (١٠١٥)؛ وأبو داود: الصلاة (١٤٦٨)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٤٢)؛ وأحمد (٤/ ٢٨٣)؛ والدارمي: فضائل القرآن (٣٥٠١) .

(٢) النسائي: الافتتاح (١٠١٥)؛ وأبو داود: الصلاة (١٤٦٨)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٤٢)؛ وأحمد (٤/ ٢٨٣)؛ والدارمي: فضائل القرآن (٣٥٠٠) .

والسلام -[١] وهذا ثابت في الصحيح.

يقول المؤلف: من قال: كلام الله مخلوق، فهو كافر. ومن قال: كلام الله..، ووقف، وسكت، ولم يقل: مخلوق أو غير مخلوق؛ فهو كافر أيضًا؛ إذ لا بد أن يجزم. ولو قال كلام الله، ووقف، أو شك؛ بأن يقول: لا أدري هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ كفر أيضًا، أو قال بلسانه: إنه كلام الله. وأضمر في نفسه أنه مخلوق، كفر أيضًا.

فهذه صور أربع إذا اعتقد المرء واحدة منها فهو حلالُ الدم بريء من الله، والله منه بريء.

ومن شك في كفره، ووقف عن تكفيره، فهو كافر. أي: إذا قال شخص: القرآن كلام الله مخلوق، وشك إنسان، وقال: ما أدري؛ يكفر أو لا يكفر؟ - شك في كفره - فإنه يكفر أيضًا؛ فلا بد أن تجزم أنه كافر.

ومن الأدلة على ذلك قول الله - تعالى - : ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[٢] ففي هذه الآية الكريمة أن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ.

وقوله - تعالى - : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[٣] يدل على أن المسموع هو كلام الله؛ فلم يقل: حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، أو حكاية من كلام الله، كما يقول الأشاعرة والكلابية.

وقوله - تعالى - : ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾[٤] فالقرآن إذن منزل.

❊ ❊ ❊

---

(١) البخاري: التوحيد (٧٥٤٦)؛ ومسلم: الصلاة (٤٦٤)؛ والترمذي: الصلاة (٣١٠)؛ والنسائي: الافتتاح (١٠٠١)؛ وأبو داود: الصلاة (١٢٢١)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٣٥)؛ ومالك: النداء للصلاة (١٧٦).

(٢) سورة البروج آية : ٢١ - ٢٢ .

(٣) سورة التوبة آية : ٦ .

(٤) سورة الطلاق آية : ٥ .

قال المؤلف - رحمه الله - : فمن زعم أن حرفًا واحدًا منه مخلوق، فقد كفر لا محالة.

وهذا يقتضي من المؤلف أن يُكَفِّرَ الأشاعرة الذين يقولون بأن القرآن ليس بحرف ولا بصوت؛ فينكرون أن تكون الحروف كلام الله، ويزعمون أن ما في المصحف إنما هو كلام الله مجازًا؛ وإلا فالمصحف ما فيه كلام الله.

وبعض العصاة قد يعتدي، ويدوس المصحف بقدميه، ويقول: ليس فيه كلام الله، إنما هو عبارة عن كلام الله، فكلام الله قائم بنفسه.

ومن المعروف عند العلماء أن الأشاعرة لا يكفرون؛ لأن لهم شبهة، لكن المعتزلة يكَفَّرون؛ لأنهم يقولون: «كلام الله مخلوق».

لكن ذلك عند أهل العلم تكفير على العموم؛ فمن قال: القرآن مخلوق كفر؛ ومن قال: الزنا حلال، كفر؛ ومن قال: الصلاة غير واجبة، كفر.

لكن الشخص المعين الذي قال: إن القرآن مخلوق، فهل نكفره؟ ففي هذه الحالة لا بد من وجود الشروط وانتفاء الموانع في الشخص المعين، فلا بد من إقامة الحجة على الشخص المعين؛ إذا كان من أهل القبلة، ومن المسلمين ولا يُعْرَفُ عنه أعمال كفرية إلا هذه المقالة الموهمة؛ فلا بد أن تقوم عليه الحجة؛ فقد يكون جاهلًا ولا يدري، وقد يكون لديه شبهة؛ فإذا كشفتها زالت؛ فإذا قال هذا الشخص: القرآن مخلوق؛ فإننا نبين له الأدلة الواضحة من الآيات التي دلت على أن القرآن كلام الله - تعالى - غير مخلوق؛ فإذا اتضحت له الآيات والنصوص، وأصرَّ، حكمنا بكفره بعد ذلك. ومثله من استحل الربا أو الزنا أو الخمر وهو جاهل بتحريمها، فإذا ظهر له الحكم ثم أصر على ذلك يكفر.

وهذا معنى قول العلماء: يُفَرَّقُ بين المقالة والقائل.

ولكن على العموم فإننا نقول: من قال: القرآن مخلوق، فهو كافر، ومن أنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة - وجوبًا أو تحريمًا - كفر. أما الشخص المعين، فلا يُكفَّر؛ حتى تقوم عليه الحجة، وتوجد الشروط، وتنتفي الموانع.

قال المؤلف: فمن زعم بأن حرفًا من القرآن مخلوق، كفر لا محالة - أي: بدون شك - فالآيُ في ذلك من القرآن، والحجة عن المصطفى - صلى الله عليه وسلم - أكثر من أن تُحصى، وأظهر من أن تَخْفى.

وقد بسط العلامة ابن القيم - رحمه الله - في كتابه: «الصواعق» - البحثَ في هذا، وأطال فيه، وناقش الأشاعرة مناقشة طويلة حادة في هذا، وناقش المعتزلة وغيرهم من أهل البدع، وناقش كثيرًا من أهل الكلام: الكَرَّامِيَّة والسالمية والفلاسفة والاتحادية، وأطال، وساق الأدلة في هذا، وقال: «إن من الأمثلة التي قال فيها أهل البدع: إنها مجاز: القرآن كلام الله» .

وقال: «قولهم: إنه مجاز، هذا طاغوت يجب كسره» . يسمي المجاز طاغوتًا، دخل أهل البدع من قولهم: إنه مجاز، وقالوا: إن القرآن ليس كلام الله، بل هو مجاز، وإنما هو عبارة عن كلام الله.

۞ ۞ ۞

صفات الله تعالى

قال المؤلف - رحمه الله - : ثم الإيمان بصفات الله - تبارك وتعالى - بأن الله حي ناطق، سميع بصير، يعلم السر وأخفى، وما في الأرض والسماء، وما ظهر، وما تحت الثرى، وأنه حكيم عليم، عزيز قدير، ودود رءوف رحيم.

يسمع ويرى، وهو بالمنظر الأعلى، ويقبض ويبسط، ويأخذ ويعطي، وهو على عرشه بائن من خلقه.

يميت ويحيي، ويفقر ويغني، ويغضب ويرضى، ويتكلم ويضحك، لا تأخذه سنة ولا نوم، ما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس، إلا في كتاب مبين.

الشرح : هذه المسألة في صفات الله عز وجل، وصفات الله عز وجل هي التي وصف بها نفسه، أو وصفه بها الرسول ﷺ في السنة، وأسماء الله الحسنى مشتملة على الصفات؛ فهي ليست جامدة، بل هي مشتقة.

كل اسم من أسماء الله مشتمل على صفة؛ فلفظ الجلالة: «الله» أعرف المعارف، وهو خاص بالله؛ لا يُسَمَّى به غيره، وهو لفظ فيه إثبات صفة الألوهية.

«الرحمن» : مشتمل على صفة الرحمة.

«العليم» : مشتمل على صفة العلم.

«القدير» : مشتمل على صفة القدرة.

«الحكيم» : مشتمل على صفة الحكمة... إلخ.

فجميع الأسماء الحسنى مشتملة على الصفات، ولكن الصفات لا يُشْتَقُّ منها اسم لله مثل: صفة الغضب؛ فلا يشتق لله اسم الغاضب، وصفة الرضا: لا يشتق لله اسم الراضي؛ فالصفات لا يؤخذ منها أسماء لله، لكن الأسماء مشتملة على الصفات.

وأسماء الله - تعالى - وصفاته توقيفية، ومعنى توقيفية: أنها يوقف فيها عند النصوص؛ فلا نثبت اسمًا لله أو صفة إلا إذا ورد في الكتاب والسنة؛ فليس للعباد أن يخترعوا أسماء وصفات لله من عند أنفسهم، بل الأسماء والصفات توقيفية، يوقف فيها عند النصوص.

فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في الكتاب والسنة، وجب إثباته، وما ورد في الكتاب والسنة نفيه عن الله، وجب نفيه: كما في السِّنَة والنوم، قال تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾[1].

وما لم يرد في الكتاب والسنة إثباته ولا نفيه، نتوقف فيه؛ فلا نثبته ولا ننفيه، مثل: الجسم والحيِّز، والعَرَض والحد والجهة، والأبعاض والأغراض؛ فكل هذه الصفات أحدثها أهل الكلام، ولم ترد في الكتاب ولا في السنة، وهي مشتملة على حق وباطل.

ومن أثبتها؛ فإننا نسأله؛ فإن أراد معنًى حقا قبلنا المعنى الحق، ورددنا اللفظ، ونقول له: هذا المعنى الحق صحيح، ولكن عبر بألفاظ النصوص.

وإن أراد معنى باطلًا رددنا اللفظ والمعنى؛ إذ الأسماء والصفات توقيفية، وليس للعباد أن يخترعوا أسماء وصفات من عند أنفسهم، بل يجب الوقوف عند النصوص.



(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

قال المؤلف - رحمه الله - : (صفات الله تعالى) ثم الإيمان بصفات الله تبارك وتعالى .

والمعنى: يجب أن نؤمن بصفات الله، فيجب إثبات صفات: العلم، والقدرة، والسمع والبصر... إلخ. والأسماء التي وردت في النصوص: الخالق، البارئ، المصور، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر..، إلى غير ذلك مما ورد في النصوص؛ يجب الإيمان بها.



قال المؤلف: يجب الإيمان بأن الله حيّ. الحي: من أسماء الله - تعالى -، ومن أعظم أسماء الله: الحي القيوم؛ حتى قيل: إنهما اسم الله الأعظم، يقول - تعالى -: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[١]، ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[٢] فالحي من أسماء الله ومشتمل على صفة الحياة.

وأسماء الله نوعان:

نوع خاص بالله؛ لا يُسَمَّى به إلا هو، مثل: الله، الرحمن، خالق الخلق، مالك الملك، الضار النافع، المعطي المانع، رب العالمين، فهذه أسماء لا يُسَمَّى بها إلا الله.

النوع الثاني: أسماء مشتركة: العزيز: من أسماء الله العزيز، والمخلوق يسمى العزيز؛ قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾[٣] والحي، والسميع، والبصير؛ قال - تعالى -: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾[٤]، ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾[٥].

فالحي من أسماء الله المشتركة؛ فيطلق - أيضًا - على المخلوق، ومن الأسماء المشتركة - أيضًا - السميع، البصير.

ثم الإيمان بصفات الله بأن الله حي ناطق .

تسمية الله بالناطق ليس عليها دليل؛ لأنه لم يأت نص بإطلاق أن من أسماء الله الناطق، لكن الحديث الذي ذكره في الحاشِيَة عن الآجُرِيِّ: «إن

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٥٨ .

(٣) سورة يوسف آية : ٥١ .

(٤) سورة الإنسان آية : ٢ .

(٥) سورة يونس آية : ٣١ .

الله عز وجل ينشأ السحاب، ويضحك أحسن الضحك، وينطق أحسن النطق»(١) لو صح، فإنه يقتصر على لفظ الفعل؛ فيقال: ينطق أحسن النطق، ويضحك أحسن الضحك، مثل: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾(٢)؛ فيقال: مَكَرَ اللهُ مَنْ مَكَرَه، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾(٣)؛ فيقال: يكيد الله من كاده، ولا يشتق لله اسم منها؛ فلا يقال: من أسماء الله الماكر ولا الكائد ولا الناطق، بل ما جاء على لفظ الفعل، يبقى على لفظ الفعل.

فقول المؤلف - رحمه الله - : ناطق؛ من أسمائه، هذا ليس عليه دليل، وإنما لو صح حديث: «ينطق أحسن النطق»؛ يقال: إن الله ينطق فقط، ولا يقال: إن من أسمائه: الناطق؛ بخلاف العليم، والسميع، والبصير؛ فهذا أطلقه الله على نفسه، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(٤) فمن صفات الله أنه يعلم السر وأخفى، وما في الأرض والسماء، وما ظهر، وما تحت الثرى، كل هذا يعلمه الله.

وهذا داخل في عموم قول الله - تعالى - : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٥) وإنه: ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾، ﴿عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾، ﴿وَدُودٌ﴾، و﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ فكل هذا من أسمائه، وكلها وردت في الكتاب.

ويطلق على المخلوق - أيضًا - : حكيم، وعليم، وعزيز، وقدير، ورءوف؛ فقال تعالى يصف نبيه: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٦).

يسمع ويرى: فكل هذا من صفاته، ويقول: وهو في المنظر الأعلى: وهذا الوصف ليس عليه دليل.

---

(١) أحمد (٥/ ٤٣٥).

(٢) سورة الأنفال آية: ٣٠.

(٣) سورة الطارق آية: ١٥ - ١٦.

(٤) سورة طه آية: ٧.

(٥) سورة الأنفال آية: ٧٥.

(٦) سورة التوبة آية: ١٢٨.

ذكر المحشي أنه جاء في بعض الآثار عن الصحابة أن: الحسين بن علي كان يدعو في وتره يقول: «اللهم، أنت ترى، ولا تُرَى، وأنت بالمنظر الأعلى»، فهذا الأثر - لو صح - فإنه موقوف على الحسين.

ولو قال المؤلف - رحمه الله - بدلًا من وهو بالمنظر الأعلى: يسمع ويرى، وهو في السماء، أو فوق السماوات العلى، أو على العرش استوى؛ لكان أحسن.

ثم قال: يقبض ويبسط. وهذا قد ورد؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[1] وهذه من صفات الأفعال.

ثم قال: ويأخذ ويعطي. وهذا قد ورد أيضًا؛ فالله تعالى يأخذ، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾، ويعطي؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾[2].

ثم قال: وهو على عرشه بائن؛ أي: أنه ليس مختلطًا بالمخلوقات؛ فالله - تعالى - فوق العرش، والعرش سقف المخلوقات ونهايتها، وليس فوقه شيء، والله فوق العرش بعد أن تنتهي المخلوقات.

والله ليس بحاجة للعرش، ولا لغيره؛ فهو الحامل للعرش، ولحملة العرش؛ بقوته وقدرته.

وهو بائن من خلقه، أي: أنه منفصل عن المخلوقات، فهو لم يدخل في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، وهو على عرشه بائن من خلقه.

وهذا فيه الرد على الجهمية الذين يقولون: إن الله - تعالى - مختلط بالمخلوقات.

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٤٥ .

(٢) سورة الضحى آية : ٥ .

والجهمية طائفتان:

طائفة تقول: إن الله في كل مكان؛ في السماء، وفي الأرض، وفي كل مكان؛ حتى قالوا: في بطون السباع، وفي أجواف الطيور، وفي كل مكان. تعالى الله عما يقولون، وهذا كفر وضلال.

والطائفة الثانية - منهم الجهمية المتأخرون - : يثبتون النقيضين: فيزعمون أنه لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا فوقه، ولا تحته، ولا مباين له، ولا محايث له، ولا متصل به، ولا منفصل عنه؛ فيكون عدمًا بل أشد من العدم أعوذ بالله .

فقوله: يأخذ ويعطي، وهو على عرشه بائن من خلقه، يميت ويحيي، ويفقر ويغني: كل هذه من الصفات.

قوله: ويغضب ويرضى. قال تعالى: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾[1] وقوله: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[2]، ويتكلم؛ قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[3] ويضحك؛ جاء في الحديث: «**يضحك الله إلى رجلين: يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخلان الجنة**»[4] وهذا ورد في السنة.

قوله: لا تأخذه سنة ولا نوم، قال تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾[5] وهذه من صفات النفي، فالسِنَةُ: النعاس، وهو مبادئ النوم، والنوم: هو النوم المستغرق؛ فالله - تعالى - لا تأخذه سنة ولا نوم.

---

(١) سورة المجادلة آية : ١٤ .

(٢) سورة المائدة آية : ١١٩ .

(٣) سورة النساء آية : ١٦٤ .

(٤) البخاري: الجهاد والسير (٢٨٢٦)؛ ومسلم: الإمارة (١٨٩٠)؛ والنسائي: الجهاد (٣١٦٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (١٩١)؛ وأحمد (٢/ ٢٤٤)؛ ومالك: الجهاد (١٠٠٠) .

(٥) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

وصفات الله نوعان: الصفات السلبية، والصفات الثبوتية:

الصفات الثبوتية مثل: يغضب ويرضى، والصفات السلبية مثل: لا تأخذه سنة ولا نوم.

لكن الصفات السلبية ليست نفيًا محضًا، بل هي مستلزمة لثبوت ضدها من الكمال؛ فالله لا تأخذه سنة ولا نوم؛ لكمال حياته وقيوميته.

أما المخلوق، فحياته ضعيفة ناقصة؛ فلذا يحتاج إلى النوم حتى يستريح؛ لأن حياته ليست كاملة؛ أما الرب جل وعلا، فحياته كاملة؛ فلا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يئوده حفظهما؛ لكمال قوته واقتداره، قال تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[1] لكمال علمه، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[2] لكمال عدله... وهكذا. أما فلان لا يظلم؛ فقد يقصد أنه عاجز، ولا يقصد كمالًا؛ فالعاجز ما يظلم، مثلما قال الشاعر يهجو قومه لما استنصرهم فلم ينصروه لضعفهم؛ فقال:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عددٍ ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

يَجْزُون من ظلْمِ أهل الظلم مغفرةً ومن إساءة أهل السوء إحسانا

فيقول: إن قومي عددهم كثير، لكن ليسوا من الظلم في شيء؛ ولو كان هذا الظلم قليلًا، فهم لا يظلمون.

وهم وإن ظلمهم أحد صفحوا عنه، وغفروا له؛ وإذا أساء إليهم أحد أحسنوا إليه؛ لعجزهم؛ ولذلك صغَّرهم، وقال: «قُبَيِّلَةٌ» فقال:

قُبَيِّلَةٌ لا يغدرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردلِ

وإنما يُمْدَحُ إذا كان الظلم مع القدرة؛ أما مع العجز، فما يكون مدحًا؛ فهم لا يظلمون لعجزهم؛ ولو استطاعوا، لظلموا.

---

(١) سورة سبأ آية: ٣.

(٢) سورة الكهف آية: ٤٩.

لكن الرب - جل وعلا - لا يظلم؛ لكمال عدله، لا لعجزه: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(١) لكمال عدله، ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾(٢) لكمال علمه.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾(٣) لكمال حياته وقيوميته.

﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾(٤) فكل هذا نفاه الله عنه؛ كل شيء يعلمه الله؛ ما يعزب عنه مثقال ذرة، ولا رطب، ولا يابس، ولا حبة في ظلمات الأرض إلا في كتاب مبين، وهو اللوح المحفوظ؛ مكتوب فيه كل شيء.

فالنفي الوارد في صفة الله ليس نفيًا محضًا، بل هو مُسْتَلْزِمٌ ثبوت ضده من الكمال؛ لأن النفي المحض ليس فيه مدح؛ فقد تصف الجماد بالنفي المحض؛ فالجدار لا يسمع، ولا يبصر، فلا يكون هذا مدحًا.

وإنما يكون النفي مدحًا إذا استلزم ثبوت ضده من الكمال.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الكهف آية : ٤٩ .

(٢) سورة سبأ آية : ٣ .

(٣) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٤) سورة الأنعام آية : ٥٩ .

رؤية الله تعالى في الآخرة

قال المؤلف - رحمه الله - : (رؤية الله تعالى) ويُعلم بعد ذلك: أنه يتجلى لعباده المؤمنين يوم القيامة؛ فيرونه ويراهم، ويكلمهم، ويكلمونه، ويسلم عليهم، ويضحك إليهم، لا يُضامون في ذلك، ولا يرتابون، ولا يشكون.

فمن كذَّب بهذا، أو ردَّه وشك فيه، أو طعن على راويه؛ فقد أعظم الفرية على الله عز وجل، وقد برئ من الله ورسوله، والله ورسوله منه بريئان، كذلك قال العلماء، وحلف عليه بعضهم.

الشرح : رؤية الله - تبارك وتعالى - من الصفات التي اشتد فيها النزاع بين أهل السنة وأهل البدع، ومثلها صفة الكلام، وصفة العلو.

فهذه الصفاتُ الثلاث: صفة الكلام، وصفة الرؤية، وصفة العلو؛ وهي من العلامات الفارقة بين أهل السنة وبين أهل البدع؛ فمن أثبت الكلام على حقيقته، وأثبت الرؤية، وأثبت العلو؛ فهو من أهل السنة، ومن أنكرها فهو من أهل البدع؛ ولذلك أهل البدع أنكروا الصفات كلها.

فهم أنكروا أن يكون الله متكلمًا، وأنكروا أن يكون الله فوق السماوات، وقالوا: إنه مختلط بالمخلوقات، وأنكروا رؤية الله يوم القيامة.

لكن مذهب أهل السنة والجماعة أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة رؤية واضحة، لا يضامُّون في رؤيته، كما يرون القمر ليلة البدر؛ فيرونه في موقف القيامة، ويرونه بعد دخول الجنة.

وقد ثبت أن المؤمنين يرونه في موقف القيامة أربع مرات:

يرونه في المرة الأولى، ثم يتجلى لهم في غير الصورة التي يعرفون؛ فينكرون، يقولون: حتى يأتينا ربنا؛ فيتجلى في الصورة التي يعرفون؛ فيسجدون له، ثم يرفعون رءوسهم، فيتجلى لهم؛ فيرونه كما رأوه أول مرة، ويرونه في الجنة.

أما غير المؤمنين، فاختلف العلماء في رؤيتهم في موقف القيامة على ثلاثة أقوال لأهل العلم:

القول الأول: أنه يراه أهل الموقف كلهم ومنهم الكافر، ثم يحتجب عن الكفرة. وهذه الرؤية لا تفيد الكفرة، بل تزيدهم عذابًا، كالسارق يؤتَى به للملك، أو للحاكم، ثم يراه، ويوبخه، ويحتجب عنه.

وقيل: لا يراه إلا المؤمنون والمنافقون؛ لأن المنافقين كانوا مع المؤمنين في الدنيا؛ فيرونه، ثم يحتجب عنهم.

وقيل: لا يراه إلا المؤمنون.

وكذلك الكلام - في موقف يوم القيامة - : قيل: لا يكلم إلا المؤمنين. وقيل: يكلم أهل الموقف، ثم لا يكلم الكفرة. وقيل: يكلم المؤمنين والمنافقين.

فأهل السنة والجماعة يثبتون رؤية الله عز وجل وأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة رؤية واضحة، لا يضامُّون في رؤيته، كما يُرى القمر ليلة البدر، وكما تُرى الشمسَ صحوًا، ليس دونها سحاب.

والنصوص في هذا كثيرة، لا حصر لها؛ فمن الكتاب العزيز: قال - تعالى - : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] «ناضرة» : من النضرة والبهاء والحسن، «ناظرة» : من النظر.

---

(١) سورة القيامة آية : ٢٢ - ٢٣ .

فأسند النظر إلى الوجوه وهي محل النظر، وعدّاه بـ(إلى) الصارفة، وأخلى الكلام؛ مما يدل على غير حقيقة موضوعه؛ فدل على أن النظر بالعين التي في الرأس إلى الرب جل جلاله .

وكذلك قوله - تعالى - : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[1] وأيضًا قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[2] والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم.

والنصوص في السنة متواترة في إثبات الرؤية في الصحاح والسنن والمسانيد، وقد ساقها العلامة ابن القيم في كتابه: (حادي الأرواح) وقال: رواها عن النبي ﷺ نحو ثلاثين صحابيًا في الصحاح والسنن والمسانيد.

وأثبتها أهل السنة والجماعة، وخالف في ذلك أهل البدع: فالجهمية والمعتزلة أنكروا رؤية الله يوم القيامة، وقالوا: إن الله لا يُرى أبدًا، وقالوا: إن الذي يرى هو المحدود المتحيز.

كما أنهم أنكروا كونه فوق العرش؛ قالوا: إذا جعلته فوقًا تَنَقَّصْتَ الرب، وجعلته محدودًا ومتحيزًا وفي جهة معينة، فيزعمون أنه في كل الجهات، وكذلك الرؤية؛ فأنكروا الرؤية؛ لأن الرؤية عندهم لا تكون إلا للمحدود المتحيز.

والأشاعرة صاروا مذبذبين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؛ فهم أرادوا أن يكونوا مع أهل السنة وأن يكونوا مع المعتزلة؛ فَعَسُرَ عليهم ذلك؛ فقالوا: نحن نثبت الرؤية، ولكننا ننفي الجهة.

فهم يريدون أن يكونوا مع المعتزلة في كونهم أنكروا أن يكون الله في العلو، ولم يجرءوا على إنكار الرؤية؛ فكانوا مع أهل السنة في الرؤية، ومع المعتزلة في إنكار العلو.

---

(١) سورة المطففين آية : ١٥ .

(٢) سورة يونس آية : ٢٦ .

فقالوا: إن الله يُرى، لكن لا يُرى من جهة؛ ولهذا ضحك عليهم جمهور العقلاء، بل ضحك عليهم الصبيان بإثباتهم الرؤية ونفي الجهة؛ فالمرئي لا بد أن يكون مواجهًا للرائي، مباينًا له؛ أما قولهم: «يرى لا في جهة»، فهذا غير معقول، وغير متصور.

ثم إن النصوص صريحة في هذا: أنهم يرون ربهم من فوقهم، كما يرون القمر ليلة البدر، وكما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب.

والأشاعرة - دائمًا - مذبذبون بين أهل السنة وبين المعتزلة، حتى صار العلماء يسمونهم خناثًا؛ لذا تسلط عليهم المعتزلة فقالوا لهم: كلامكم غير معقول؛ فإما أن تثبتوا الجهة؛ فتكونوا أعداءً لنا، وإلا تنكرونها؛ حتى تكونوا معنا أصدقاءَ كاملين؛ أما أن تكونوا مذبذبين: تثبتون الرؤية، وتنفون الجهة، فهذا غير معقول، وغير متصور.

والمقصود: أن من أثبت الرؤية؛ فهو من أهل السنة والجماعة، ومن نفاها يكون من أهل البدع، لكن الأشاعرة أثبتوا الرؤية، ولم يثبتوا العلو؛ فصاروا مذبذبين، لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء.

يقول: ويُعْلم بعد ذلك: أنه يتجلى لعباده - سبحانه وتعالى - يوم القيامة فيرونه. يتجلى - سبحانه وتعالى - ويكشف الحجاب؛ فيراه المؤمنون، وقد اتفق وأجمع أهل السنة والجماعة على ذلك: على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة.

وخالف في ذلك أهل البدع؛ ولهذا قال: ويُعلم بعد ذلك: أنه يتجلَّى لعباده سبحانه وتعالى - يوم القيامة؛ فيرونه، ويراهم - سبحانه وتعالى - ويكلمهم ويكلمونه.

وأهل البدع أنكروا، قالوا: إن الله لا يرى، ولا يُرى، ولا يتكلم، ولا يُكلم، أعوذ بالله.

قال: ويسلم عليهم: وهذا جاء في حديث جابر الذي رواه ابن ماجه قال:

«بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور؛ فرفعوا رءوسهم، فإذا الجبار - جل جلاله - قد أشرف عليهم من فوقهم، فناداهم: يا أهل الجنة أن سلام عليكم، فلا يزالون في نعيم ما داموا ينظرون إلى ربهم، حتى يتجلَّى عنهم، وتبقى بركته ونوره»[١] وأعظم نعيم يُعْطاه أهل الجنة هو رؤية الله - تعالى - حتى أنهم ينسون ما هم فيه من نعيم، والحديث فيه ضعف، لكن فيه شواهد.

قال: ويضحك إليهم: وقد وردت النصوص في إثبات الضحك، وأنه - تعالى - يرى المؤمنين، ويرونه، ويضحك إليهم - سبحانه وتعالى - جاء في حديث: «إن الرب - سبحانه وتعالى - يضحك؛ قالوا: لا نعدم الخير من رب يضحك»[٢].

لا يضامون في ذلك؛ أي: المؤمنون يرون ربهم كما يرون القمر، لا ضيم، ولا تعب، ولا مزاحمة. كما ترى القمر، ليس في رؤيته مزاحمة.

لا يضامون في ذلك، ولا يرتابون، ولا يشكون: أهل السنة والجماعة لا يشكون، ولا يرتابون في رؤية المؤمنين لربهم، إنما الذي يرتاب أهل البدع من الجهمية والمعتزلة؛ ولهذا قال المؤلف - رحمه الله - : فمن كذَّب بهذا، أو ردَّه، أو شكَّ فيه، أو طعن على راويه؛ فقد أعظم الفرية على الله: فمن كذب بالرؤية، أو رد النصوص، أو شك فيها، أو طعن على راويها، أو طعن في الروايات الثابتة؛ فقد أعظم الفرية على الله عز وجل، أي: هو مفترٍ على الله، بل من أعظم الفرية على الله.

وقد برئ من الله ورسوله، والله ورسوله منه بريئان: وهذا يدل على كفره وضلاله؛ فمن أنكر رؤية الله، أو طعن فيها، أو شك فيها، أو طعن في الروايات الصحيحة، فقد أعظم الفرية على الله، وبرئ الله ورسوله منه، والله ورسوله منه بريئان.

---

(١) ابن ماجه: المقدمة (١٨٤) .

(٢) ابن ماجه: المقدمة (١٨١)؛ وأحمد (٤/ ١١) .

ثم قال: كذلك قال العلماء، وحلف عليه بعضهم: بعض العلماء حلف وأقسم: أن من كذَّب رؤية الله، وطعن في النصوص، وطعن في الروايات، فإن الله منه بريء، وهو بريء من الله، وأقسم على ذلك بكفره وضلاله، نسأل الله السلامة والعافية!!



القضاء والقدر

قال المؤلف - رحمه الله - : (القضاء والقدر) ثم بعد ذلك: الإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره، وقليله وكثيره؛ مقدور واقع من الله - عز وجل - على العباد، في الوقت الذي أراد أن يقع؛ لا يتقدم الوقت، ولا يتأخر على ما سبق بذلك علم الله.

وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما تقدم لم يكن ليتأخر، و ما تأخر لم يكن ليتقدم، وفي هذا من صحة الدلائل، وثبوت الحجة في جميع القرآن، وأخبار المصطفى ﷺ ما لا يمكن دفعه، ولا يُقْدَرُ على رده إلا بالافتراء على الله عز وجل ومنازعته في قدره..

الشرح : يقول المؤلف - رحمه الله - : ثم بعد ذلك: الإيمان بالقضاء والقدر: خيره وشره، وحلوه ومره، وقليله وكثيره؛ مقدور واقع من الله عز وجل على العباد.

فالإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين، لا يصح الإيمان إلا به؛ ولهذا قال - تعالى - في كتابه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [(١)] وقال - تعالى - أيضًا: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [(٢)].

وفي الحديث الصحيح - حديثِ جبرائيل - لما سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان: قال: «الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه،

---

(١) سورة القمر آية : ٤٩ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٢ .

ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر: خيره وشره»[١]. فمن لم يؤمن بقضاء الله وقدره، فليس بمؤمن.

والقضاء والقدر إذا أطلق أحدهما، دخل فيه الآخر؛ وإذا افترقا، صار لكل واحد منهما معنى.

والقضاء له معانٍ متعددة: منها الأمر؛ يقول الله - تعالى - : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٢]، ويطلق على معانٍ متعددة.

فالإيمان بالقدر: ركن من أركان الدين، وأصل من أصول الدين، لا يصح الإيمان إلا به، ومن لم يؤمن بالقدر، جاء تكفيره عن الصحابة، وأن من لم يؤمن بالقدر أحرقه الله بالنار.

كما قال عبد الله بن عمر؛ لما أخبره حميد الطويل وصاحبه: أنه ظهر عندهم في الكوفة قوم ينكرون القدر؛ قال: أخبرهم أني منهم بريء، وأنهم برآء مني. ثم ساق الحديث: «**لو كان لأحد مثل أُحُدٍ ذهبا، ثم أنفقه في سبيل الله - ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر: خيره وشره**». فدل هذا على كفره وضلاله، وعلى أن الصحابة يُكَفِّرون من لم يؤمن بالقدر.

والقدر له أربع مراتب لا بد من الإيمان بها:

المرتبة الأولى: علم الله الأزلي الشامل للماضي والحاضر والمستقبل والمستحيل أيضاً؛ فالله - تعالى - يعلم ما كان في الماضي، ويعلم ما يكون في الحاضر، وفي المستقبل، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

قال الله - تعالى - عن الكفار؛ لما طلبوا أن يُرَدُّوا إلى الدنيا: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾[٣].

---

(١) مسلم: الإيمان (٨)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦١٠)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٩٥)، وابن ماجه: المقدمة (٦٣)؛ وأحمد (١/ ٥١).

(٢) سورة الإسراء آية : ٢٣ .

(٣) سورة الأنعام آية : ٢٧ .

ثم قال الله - تعالى - : ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾[١] فأخبرهم أنه يعلم ما يكون لو ردوا، وقال عن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾[٢].

فأخبر سبحانه بما يكون لو خرجوا، ولكنهم لم يخرجوا؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٣].

فعلم الله الشامل الأزلي؛ يشمل ما كان في الماضي، وما يكون في الحاضر والمستقبل، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وهذا لا بد منه، وهذه هي المرتبة الأولى.

المرتبة الثانية: كتابة الله للأشياء لجميع ما يكون في هذا الكون: من الصفات، والذوات، والأفعال في اللوح المحفوظ؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٤] فالآية فيها: إثبات المرتبتين: «ألم تعلم......»، «إن ذلك في كتاب...» .

وقال سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾[٥] وهو اللوح المحفوظ، وقال: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾[٦] وهو اللوح المحفوظ - أيضا -، وقال: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[٧].

---

(١) سورة الأنعام آية : ٢٨ .
(٢) سورة التوبة آية : ٤٧ .
(٣) سورة التوبة آية : ٤٦ - ٤٧ .
(٤) سورة الحج آية : ٧٠ .
(٥) سورة الحديد آية : ٢٢ .
(٦) سورة يس آية : ١٢ .
(٧) سورة الأنعام آية : ٥٩ .

المرتبة الثالثة: إرادة الله الشاملة لكل موجود في هذا الكون؛ فكل شيء يقع في الكون فالله أراد وجوده، لا يقع في الملك ما لا يريد.

وإرادة الله نوعان: إرادة دينية شرعية، وإرادة كونية قدرية.

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد: فكل شيء موجود في هذا الكون فالله خلقه؛ لأن الله خالق كل شيء، ليس هناك خالق مع الله.

فهذه المراتب الأربعة يجب الإيمان بها؛ فمن آمن بها، فقد آمن بالقدر؛ ومن لم يؤمن بها، لم يؤمن بالقدر.

والقدرية طائفتان:

الطائفة الأولى: أنكروا المرتبتين الأوليين: العلم والكتابة؛ فكفروا بذلك؛ لأن من أنكر العلم نسب الله إلى الجهل، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي وغيره: ناظروا القدرية بالعلم؛ فإن أقروا به فصلوا؛ وإن أنكروه كفروا.

أما عامة القدرية؛ فأثبتوا المرتبتين الأوليين: العلم والكتابة، ولكنهم أنكروا عموم المرتبتين الأخريين: عموم الإرادة، وعموم الخلق.

فقالوا: إن الله أراد كل شيء إلا أفعال العباد، وخلق كل شيء إلا أفعال العباد؛ بشبهة حصلت لهم؛ فصاروا مبتدعة؛ لأجل هذه الشبهة.

وأهل السنة آمنوا بهذه المراتب الأربعة؛ ولهذا قال المؤلف - رحمه الله -: ثم من بعد ذلك الإيمان بالقدر: خيره وشره، وحلوه ومره، وقليله وكثيره؛ مقدور واقع من الله.

فلا بد أن تؤمن بأن الخير والشر، والطاعات والمعاصي، كله مقدر؛ لحكمة بالغة، وأن تؤمن أن المصائب في النفس والمال وفي الولد كل ذلك مكتوب ومقدر واقع من الله - عز وجل - على العباد.

قال: في الوقت الذي أراد الله؛ أي: في الوقت الذي أراد أن يقع؛ لأن كل شيء له وقت محدد، يقع في ذلك الوقت الذي أراده الله تعالى، وكتبه، وقدره.

لا يتقدم الوقت ولا يتأخر: فإذا أراد الله أن يموت هذا الإنسان في هذا الوقت؛ فإنه لا يتقدم، ولا يتأخر: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[1]؛ فما يموت الإنسان قبل أجله، حتى لو كان بالقتل؛ لأن المقتول مقدر أنه يموت بالقتل، ومن مات على فراشه مقدر له ذلك... وهكذا.

ولكن المعتزلة يرون أن المقتول مات قبل أجله؛ ولو لم يُقْتَلْ، لتأخر أجله، وهذا باطل؛ لأن الموت لا يتقدم ولا يتأخر؛ على ما سبق بذلك علم الله؛ فلا بد من الإيمان بذلك.

وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه: فلا بد أن يعتقد العبد ذلك؛ فالقدر محكم، ما قدر للعبد لا بد أن يصيبه، ولا يمكن أن يتخلى عنه.

فإذا أراد الله أن يموت العبد في أرض، جعل الله له حاجة؛ فيذهب إليها؛ فيأتي أجله.

وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما تقدم لم يكن ليتأخر، وما تأخر لم يكن ليتقدم: فإذا تقدم موت فلان، فلا يمكن أن يتأخر؛ وإذا تأخر موته، فلا يمكن أن يتقدم.

وفي هذا من صحة الدلائل، وثبوت الحجة في جميع القرآن، وأخبار المصطفى ﷺ ما لا يمكن دفعه.

والمعنى: أن هذا الذي ذكرت لك من الإيمان بالقدر، وأن الله -تعالى- قدر كل شيء، لا يتقدم، ولا يتأخر، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.

وفي هذا من الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة، وثبوت الحجة في جميع

---

(١) سورة الأعراف آية : ٣٤ .

القرآن، وأخبار المصطفى ﷺ ما لا يمكن دفعه، ولا يُقْدَر على رده إلا بالافتراء على الله عز وجل ومنازعته في قدره.

يقول: فالنصوص في هذا واضحة، ففي آيات القرآن الكريم، وفي أخبار النبي ﷺ ما لا يمكن رده، ولا يستطيع أحد دفعه، ولا يقدر على رده إلا من افترى على الله، ونازع الله في قَدَرِه. أما المؤمن، فإنه يُسَلِّم، ويؤمن بهذه النصوص.



الرسل دعت إلى الإيمان بالقضاء والقدر

قال المؤلف - رحمه الله - في كلامه على القضاء والقدر: وإلى ما وصفنا: دعت الرسل، وأُنزِل في الكتب، وعليه اتفق أهل التوحيد: ممن أقر لله بالربوبية، وعلى نفسه بالعبودية من مَلَكٍ مقرب، ونبي مُرْسَلٍ، منذ كان الخلق إلى انقضائه مجمعون على أنه: ليس شيء كان، ولا شيء يكون في السماوات، ولا في الأرض، إلا ما أراده الله عز وجل، وشاءه، وقضاه - يعني: كونًا وقدرًا - والخلق كلهم أضعف في قوتهم، وأعجز في أنفسهم من أن يحدثوا في سلطان الله عز وجل شيئًا يخالفون فيه مراده، ويغلبون مشيئته، ويردون قضاءه؛ فالإيمان بهذا حق لازم، فريضة من الله عز وجل على خلقه.

فمن خالف ذلك، أو خرج عنه، أو طعن فيه: لم يثبت المقادير لله عز وجل ويضفها، ويضف المشيئة إليه، فهو أول الزندقة؛ لأنه جاءت الأخبار: أن القدر أبو جاد الزندقة.

الشرح : أي: إلى ما ذكر من أنه يجب الإيمان بعلم الله الأزلي، وكتابته للأشياء، وإرادته، وخلقه، وأن ما قدره الله واقع، لا يتقدم الوقت ولا يتأخر؛ على ما سبق بذلك علم الله، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، إلى هذا - إلى ما وصفنا - دعت الرسل إلى هذا، وأنزلت الكتب بهذا، ودعت الرسل إلى الإيمان بقضاء الله وقدره - كما

سبق - : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[١]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[٢] وكما في حديث جبريل - لما سأل عن الإيمان - قال النبي ﷺ: «أن تؤمن بالقدر خيره وشره»[٣].

وكما في حديث عبادة أن رسول ﷺ قال: «أن تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك»[٤]. وكما في حديث ابن عباس: «رفعت الأقلام، وجفت الصحف»[٥].

فكل هذا - من الإيمان بقضاء الله وقدره، وسبْق علم الله الأزلي، وكتابته لكل شيء في اللوح المحفوظ، وأن كل شيء مقدر - جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب، وعليه اتفق أهل التوحيد.

وأهل التوحيد هم الذين أقروا لله بالربوبية، وعلى أنفسهم بالعبودية، وعبدوا الله، وأخلصوا له بالعبادة من ملك مقرب كجبريل، ونبي مرسل كمحمد ﷺ وسائر الأنبياء وسائر الملائكة وعباد الله الصالحين؛ فكلهم - من لدن خَلَقَ الله آدم إلى قيام الساعة - يؤمنون بالقضاء والقدر، ويقرون لله بالربوبية، وعلى أنفسهم بالعبودية.

ولهذا قال المؤلف: منذ كان الخلق إلى انقضائه مجمعون على أنه: ليس شيء كان، ولا شيء يكون في السماوات، ولا في الأرض، إلا ما أراده الله عز وجل.

---

(١) سورة القمر آية : ٤٩ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٢ .

(٣) مسلم: الإيمان (٨)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦١٠)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٩٥)؛ وابن ماجه: المقدمة (٦٣)؛ وأحمد (١/ ٢٧).

(٤) أبو داود: السنة (٤٦٩٩)؛ وابن ماجه: المقدمة (٧٧)؛ وأحمد (٥/ ١٨٢) .

(٥) الترمذي: صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦)؛ وأحمد (١/ ٢٩٣) .

والمراد بالإرادة هنا: الإرادة الكونية القدرية؛ فكل شيء أراده في هذا الكون - كونًا وقدرًا - من خير وشر، وإيمان وكفر، وطاعات ومعاصٍ، أفعال، وذوات، وصفات - كلها مقدرة.

وإرادة الله نوعان: إرادة كونية وقدرية شاملة لكل شيء؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[1] فكل شيء يقع في هذا الكون فالله أراده؛ فلا يقع في ملك الله ما لا يريد؛ ولهذا أنكر المعتزلة أفعال العباد من طاعات ومعاصٍ، وقالوا: إن الله - تعالى - ما أراد أفعال العباد.

ويقال لهؤلاء: أنتم وصفتم الله بالعجز، وأوجدتم شيئًا لم يرده الله - تعالى - ولم يخلقه، وهذا نوع من الشرك؛ ولهذا سُمُّوا: مجوس هذه الأمة (القدرية).

وهؤلاء قالوا ذلك - أي: بأن أفعال العباد ما أرادها الله، ولا شاءها، ولا قدرها، ولا خلقها، بل العباد الخالقون لأفعالهم؛ حتى لا يكون الله خلقها، وفرضها، وعذب عليها - لشبهة حصلت لهم؛ وهي أنهم قالوا: لو قلنا إن الله أراد المعاصي ثم عذب عليها، لصار ظالمًا؛ فلذا نقول: ما أراد الله المعاصي، لكن العباد هم الذين أرادوها وخلقوها.

وهؤلاء إن فروا من هذا - وهو أن ينسب الظلم إلى الله - فقد وقعوا في ما هو شر منه، وهو أنه قد يقع في ملك الله ما لا يريد، ويترتب على هذا القول أن مشيئة العبد قد تغلب مشيئة الله؛ فإذا قلتم: إن المعاصي والكفر ما أرادهما الله؛ فيكون الله - تعالى - أراد من الكافر الإيمان، والكافر أراد الكفر، فوقعت إرادة الكافر، ولم تقع إرادة الله، فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله، وهذا باطل.

أما قول أهل السنة والجماعة، فهو أن الله خلق كل شيء، وقدر كل

---

(١) سورة المائدة آية : ١ .

شيء؛ لحكمة بالغة، والله - تعالى - خلق الإنسان، وخلق ذواته، وصفاته، وأعطاه السمع والبصر والعقل، وأعطاه البراهين والأدلة؛ ولذلك قامت عليه الحجة.

ولهذا قال المؤلف: على أنه ليس شيء كان، ولا شيء يكون في السماوات، ولا في الأرض، إلا ما أراده الله عز وجل.

أي: كونًا وقدرًا. أما الإرادة الدينية والشرعية، فالله - تعالى - لا يريد الكفر ولا المعاصي - دينًا وشرعًا - ولا يحب الفساد، بل أمر العباد بالطاعات، ونهاهم عن المعاصي؛ ولهذا قال المؤلف - رحمه الله - : إلا ما أراده الله عز وجل وشاءه، وقضاه - يعني: كونًا وقدرًا - والخلق كلهم أضعف في قوتهم، وأعجز في أنفسهم من أن يحدثوا في سلطان الله عز وجل شيئًا يخالفون فيه مراده، ويغلبون مشيئته، ويردون قضاءه.

فلا شك أن الخلق أضعف، وأعجز من أن يحدثوا في سلطان الله شيئًا لم يرده الله، بل لا يقع في ملك الله إلا ما يريد؛ فلا يستطيع العباد أن يحدثوا شيئًا يخالفون فيه مراد الله، ويغلبون مشيئته، ويردون قضاءه.

وأراد المؤلف - رحمه الله - بهذا القول الرد على القدرية الذين قالوا بأن أفعال العباد واقعة بغير مشيئة الله، وبغير خلقه وإيجاده؛ فيقولون: العباد هم الذين أحدثوا أفعالهم، وخلقوها استقلالًا من طاعات ومعاصٍ؛ ولهذا قالوا: «إنه يجب على الله - عقلًا - أن يعذب العاصي، ولا يجوز له أن يعفو عنه»، وهكذا المعتزلة والقدرية؛ لأن الله وعدهم بالنار، ولا يجوز أن يخلف وعيده.

وقالوا: يجب على الله - أيضًا - أن يثيب المطيع؛ لأنه هو الذي خلق الطاعة، وقالوا: «إن المطيع يستحق الثواب على الله كما يستحق الأجير أجرته».

هذا كله ناشئ من مذهبهم الفاسد في قولهم: إن العباد خلقوا أفعالهم،

وهذا من أبطل الباطل؛ فالعباد ليس لهم حق على الله واجب، بل حق تفضل وإكرام:

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سَعْيٌ لديه ضائع
إن عُذِّبوا فبعدله أو نُعِّموا فبفضله وهو الكريم الواسع

ولما قال النبي ﷺ لمعاذٍ: «أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ حق الله - حق إيجاد وإلزام - على العباد أن يعبدوه، وأما حق العباد - حق تفضل وإكرام - »[1] فهناك فَرْقٌ بين الحقين.

قال رحمه الله تعالى: فالإيمان بهذا حق لازم، فريضة من الله عز وجل على خلقه؛ فمن خالف ذلك، أو خرج عنه، أو طعن فيه: لم يثبت المقادير لله عز وجل ويضفها، ويضف المشيئة إليه، فهو أول الزندقة؛ لأنه جاءت الأخبار: أن القدر أبو جاد الزندقة.

أراد المؤلف - رحمه الله تعالى - بهذا الرد على القدرية والمعتزلة الذين أنكروا أن يكون الله خلق أفعال العباد؛ ولهذا قال المؤلف - رحمه الله -: فالإيمان بهذا حق لازم، فريضة من الله عز وجل على خلقه أي: يجب على كل أحد أن يؤمن بأن الله خلق العباد، وخلق أفعالهم. وقدر أرزاقهم وآجالهم.

فمن خالف ذلك أو طعن فيه: لم يثبت المقادير لله عز وجل ويضفها، ويضف المشيئة إليه، فهو أول الزندقة، وأول الزندقة: النفاق؛ ولذلك قيل: إن الزندقة معناها: النفاق، والزنديق هو المنافق.

وأصل الزندقة: كلمة فارسية معربة، وكان في زمن النبي ﷺ يُسَمَّى: منافقًا، ثم بعد ذلك سمي زنديقًا، وهو المنافق.

---

(١) البخاري: التوحيد (٧٣٧٣)؛ ومسلم: الإيمان (٣٠)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦٤٣)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٢٩٦)؛ وأحمد (٣/ ٢٦٠) .

وفي زماننا يسمى علمانيًا: وهو الذي يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، وهو في الدرك الأسفل من النار، نعوذ بالله.

يقول لهؤلاء المبتدعة - الذين أنكروا أن يكون الله قَدَّرَ كل شيء، حتى أفعال العباد - : من خالف ذلك، أو خرج منه، أو طعن فيه، ولم يثبت المقادير لله عز وجل ويضفها - أي: المقادير - إلى الله ويضف المشيئة إليه، هذا أول الزندقة، أي: أول النفاق، فهذا لم ينكر قضاء الله وقدره، ولكن يقول بأن أفعال العباد ما قدرها الله، ولا خلقها. فهذا أول الزندقة، ثم تتدرج به الحال حتى ينكر القدر؛ فيكون زنديقًا.

لأنه جاء في الأخبار أن القدر أبو جاد الزندقة: وأبو جاد الزندقة، يعني: أول الزندقة، كما أن حروف أبجد هوز أول الحروف.

فالحروف الأبجدية: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ، وأول هذه الحروف الأبجدية (أبجد)، وأول الزندقة: هو إنكار أفعال العباد؛ فالقدر أول الزندقة، كما أن أبجد أول الحروف الأبجدية.

أما قوله: لأنه جاءت الأخبار: أن القدر أبو جاد الزندقة؛ فكلمة الأخبار عامة، ولعل مراده: جاءت الأخبار عن السلف وعن العلماء، وعن الأئمة بأن التكلم في القدر، أو إنكار شيء من القدر أول الزندقة. وكلمة الخبر تشمل أخبار النبي ﷺ ولا أعلم حديثًا في أن القدر أبو جاد الزندقة، ولعل ذلك جاء في الأخبار عن أهل العلم والأئمة.

❁ ❁ ❁

لعن القدرية

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «لعنت القدرية على لسان سبعين نبيًا، وأنا آخرهم».

التخريج: رواه الدارقطني في العلل، بدون الجملة الأخيرة: **«وأنا آخرهم»**، قال ابن الجوزي في العلل المتناهية: لا يصح؛ فإن راويه عن عليٍّ ابنُ الحارث، وهو كذَّاب، والحارث هذا هو: الملقب بالأعور.

ورواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر موقوفًا، قال الهيثمي: وفيه محمد بن الفضل بن عطية، وهو متروك، ورواه أبو يعلى في الكبير باختصار، من رواية: بقية بن الوليد عن حبيب بن عمرو، وبقية مدلس، وحبيب مجهول.

الشرح : على كل حال؛ فالحديث ضعيف، لا يصح؛ لأن رواية الدارقطني من طريق الحارث الأعور، والحارث الأعور رافضي كذَّاب، وكذلك الرواية الثانية: من طريق عطية العوفي، وهو أيضًا شيعي مدلس متروك؛ فالحديث ضعيف، لا يثبت.

لكن القدرية لا شك أنهم مذمومون؛ أما أنهم لُعِنُوا على لسان سبعين نبيًّا، فهذا لا يصح عن النبي ﷺ.

أدلة من السنة على إثبات الكتابة في اللوح المحفوظ

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال: «كتب الله عز وجل على كل نفس حظها من الزنا».

الشرح : يشير إلى الحديث الذي رواه الشيخان، بلفظ النبي ﷺ: **«كتب الله على ابن آدم حظه من الزنا؛ فمدرك ذلك لا محالة: العين تزني وزناها النظر، والأذن تزني وزناها الاستماع، واليد تزني وزناها البطش، والرجل تزني وزناها المشي، والفرج يصدق ذلك، أو يكذبه»**(١).

فسمَّى النبي ﷺ المعاصي - في هذا الحديث - زنًا، وأن لكل عضو زنًا، لكن الفرج يصدق ذلك أو يكذبه؛ وإذا زنى الفرج صدق عليه أنه زانٍ، وإذا لم يزن، سميت هذه المعاصي زنًا.

وما مناسبة هذا الحديث في القدر؟

قوله: **«كتب الله - عز وجل - »** كتب: فيه إثبات صفة الكتابة لله - عز وجل - وهي من الصفات الفعلية، وإثبات أن كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، كما في الحديث الآخر: **«كتب الله مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء»**(٢). وفيه أن كل شيء مقدر؛ فالمعاصي والطاعات كلها مقدرة، وأن المقادير مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

---

(١) البخاري: الاستئذان (٦٢٤٣)؛ ومسلم: القدر (٢٦٥٧)؛ وأبو داود: النكاح (٢١٥٢)؛ وأحمد (٢/ ٢٧٦) .

(٢) مسلم: القدر (٢٦٥٣)؛ والترمذي: القدر (٢١٥٦)؛ وأحمد (٢/ ١٦٩) .

عذاب القبر

قال المؤلف - رحمه الله - : (عذاب القبر) ثم الإيمان بعذاب القبر، وبمنكر ونكير؛ قال ﷺ فيما روى عنه البراء: «استعيذوا بالله من عذاب القبر»(١)**. وقال عز وجل: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾**(٢)**.**

وقال النبي ﷺ: «يقعد الميت في قبره»، وقال ﷺ: «لو نجا أحد من ضمة القبر، لنجا منها سعد بن معاذ»(٣)**. وقال عز وجل: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾**(٤)**؛ قال أصحاب التفسير: عذاب القبر.**

الشرح: لا بد من الإيمان بعذاب القبر، فأهل السنة والجماعة يؤمنون بعذاب القبر ونعيمه، وأنه حق.

وعذاب القبر ونعيمه ثابت في الكتاب والسنة؛ فمن الكتاب ما يدل على عذاب القبر، كقول الله - تعالى - : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾(٥).

هذا في عذاب القبر عند الموت، فهم يضربون وجوههم وأدبارهم، وهذا عذاب البرزخ، وعذاب البرزخ من الموت إلى قيام الساعة، كذلك قوله - تعالى - : ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ

---

(١) أحمد (٥/ ١٢٣) .

(٢) سورة طه آية : ١٢٤ .

(٣) أحمد (٦/ ٥٥) .

(٤) سورة طه آية : ١٢٤ .

(٥) سورة الأنفال آية : ٥٠ .

أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[١].

ومن الأدلة على النعيم أيضا قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٢] فهذا النعيم عند الموت.

وقال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[٣] وقوله - تعالى - في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾[٤]. أي: يعرضون على النار غدوًّا وعشيًّا في البرزخ، ثم يوم تقوم الساعة؛ فدل هذا على أن العرض الأول قبل قيام الساعة.

أما السنة، فالنصوص كثيرة، حتى قيل: إنها متواترة، ومنها: حديث ابن عباس أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما، فكان لا يستنزه من البول؛ وأما الآخر، فكان يمشي بالنميمة»[٥]. هذا عذاب.

وكذلك حديث البراء: «استعيذوا بالله من عذاب القبر»[٦]. وفي قصة حديث البراء الطويل، وفيه: «أن المؤمن إذا حضره الموت جاءته الملائكة، بيض الوجوه، وأن ملك الموت يسلها - يأخذها - كما تسل الشعرة من

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩٣ .

(٢) سورة فصلت آية : ٣٠ .

(٣) سورة الفجر آية : ٢٧ - ٣٠ .

(٤) سورة غافر آية : ٤٦ .

(٥) البخاري: الوضوء (٢١٨)؛ ومسلم: الطهارة (٢٩٢)؛ والترمذي: الطهارة (٧٠)؛ والنسائي: الطهارة (٣١)؛ وأبو داود: الطهارة (٢٠)؛ وابن ماجه: الطهارة وسننها (٣٤٧)؛ وأحمد (١/ ٢٢٥)؛ والدارمي: الطهارة (٧٣٩) .

(٦) أحمد (٥/ ١٢٣) .

العجين، ويخرج منها كأحسن طيب وجد على وجه الأرض، وأنها تفتح لها أبواب السماء، ويأتيه ملكان، يسألانه عن ربه وعن دينه وعن نبيه، فيجيب، ويثبته الله، ويفتح له باب إلى الجنة؛ فيأتيه من روحها وطيبها؛ وأما الكافر، فإنه ينزع ملك الموت روحه نزعًا، كما ينتزع الشوك من الصوف المبلول، ويخرج منها كأنتن ريح وجدت على وجه الأرض، وتغلق أبواب السماء دونها، ويُضَيَّقُ عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه ويأتيه الملكان، فيسألانه، فلا يجيب، ويضرب بمرزبة من حديد؛ فيصيح صيحة يسمعها كل من خلقه الله إلا الثقلين، ويفتح له باب إلى النار، ويأتيه من حرها وسمومها»(١).

فكل هذه أدلة واضحة على عذاب القبر ونعيمه، ومن الأدلة الأوضح: ما ثبت في الصحيحين وغيرهما: أن النبي ﷺ أرشد أمته، وعلمهم في التشهد الأخير أن يستعيذوا بالله من أربع؛ قال: «قولوا: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»(٢).

وهذا الدعاء مستحب، بعد الصلاة على النبي ﷺ وذهب بعض العلماء إلى أنه واجب، منهم طاوس بن كيسان اليماني - التابعي الجليل - فهو يرى أن الاستعاذة بالله من أربع واجب في الصلاة؛ فقد قال لابنه لما صلى: «هل استعذت بالله من أربع؟» قال لا؛ قال: «أعد الصلاة»؛ فهذا يدل على أنه يراه واجبًا.

يقول المؤلف - رحمه الله - : ثم الإيمان بعذاب القبر؛ فيجب على المسلم أن يؤمن بعذاب القبر ونعيمه، عذاب القبر للعاصي وللكافر، ونعيمه للمؤمن المطيع.

---

(١) أبو داود: السنة (٤٧٥٣)؛ وأحمد (٤/ ٢٨٧).

(٢) البخاري: الجنائز (١٣٧٧)؛ ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٨٨)؛ والترمذي: الدعوات (٣٦٠٤)؛ والنسائي: الاستعاذة (٥٥١٨)؛ وأبو داود: الصلاة (٩٨٣)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٠٩)؛ وأحمد (٢/ ٢٣٧)؛ والدارمي: الصلاة (١٣٤٤).

ويمنكر و نكير، وهما ملكان جاء تسميتهما في بعض الأحاديث بمنكر ونكير، وفي حديث آخر قال: «**يأتيه ملكان أزرقان؛ يسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟**»[١]. ويقال لهما: الفتّانان.

قال ﷺ فيما يرويه عنه البراء: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**»[٢]. وهذا دليل على ثبوت عذاب القبرِ من السنة، وقال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[٣] يقول: معيشة ضنكا: فسرت بعذاب القبر، وقد رُوِي هذا مرفوعًا من حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: «**أتدرون فيما أنزلت هذه الآية: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[٤]؟- قالوا: الله ورسوله أعلم؛ قال: - عذاب الكافر في قبره**» رواه أبو يعلى وابن حبان في صحيحه.

وقال الله - تعالى - : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾[٥].

وقال النبي ﷺ: «**يُقْعَدُ الميت في قبره**» فلاشك أن الميت يُقْعَدُ؛ جاء في حديث البراء: «**يأتيه ملكان، ويقعدانه، ويقال لأحدهما: منكر، والآخر: نكير، ويسألانه: عن ربه، وعن دينه، وعن نبيه**».

وقال النبي ﷺ: «**لو نجا أحد من ضمة القبر، لنجا منها سعد بن معاذ**». وهذا فيه الإيمان بضمة القبر، وأنه لا ينجو منها أحد، والحديث لا بأس بسنده.

وسعد بن معاذ رضي الله عنه سيد الأوس وهو الذي حكم في بني قريظة أن تُقْتَلَ مقاتلتهم، وتسبى نساؤهم وزراريهم، وهو الذي قال فيه النبي - صلى

---

(١) الترمذي: الجنائز (١٠٧١) .

(٢) أحمد (٥/١٢٣) .

(٣) سورة طه آية : ١٢٤ .

(٤) سورة طه آية : ١٢٤ .

(٥) سورة إبراهيم آية : ٢٧ .

الله عليه وسلم - : «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ»[1]. ولما أوتي بمناديل لينة قال النبي ﷺ: «لمناديل سعد في الجنة ألين من هذا»[2]. وهو مشهود له بالجنة، ومع ذلك ما نجا من ضمة القبر، فنسأل الله لنا ولكم الإعانة.

فهذه الأدلة كلها - من الكتاب والسنة - تدل على ثبوت عذاب القبر ونعيمه - كما سبق - والمؤلف اقتصر على عذاب القبر، وكان الأولى أن يقول: عذاب القبر ونعيمه؛ لأن النصوص ثابتة في هذا، والقبر هو أول منازل الآخرة.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: المناقب (٣٨٠٣)؛ ومسلم: فضائل الصحابة (٢٤٦٦)؛ والترمذي: المناقب (٣٨٤٨)؛ وابن ماجه: المقدمة (١٥٨)؛ وأحمد (٣/ ٣١٦).

(٢) البخاري: الهبة وفضلها والتحريض عليها (٢٦١٦)؛ ومسلم: فضائل الصحابة (٢٤٦٩)؛ والترمذي: اللباس (١٧٢٣)؛ والنسائي: الزينة (٥٣٠٢)؛ وأحمد (٣/ ١١١).

صيحة النشور

قال المؤلف - رحمه الله - : (صيحة النشور) ثم من بعد ذلك: الإيمان بالصيحة للنشور، بصوت إسرافيل؛ للقيام من القبور؛ فتلزم القلب أنك ميت، ومضغوط في القبر، ومساءل في قبرك، ومبعوث من بعد الموت.

فريضة لازمة؛ من أنكر ذلك كان به كافرًا؛ قال النبي ﷺ: «إنكم تُحشَرون من قبوركم حفاة عراة غرلًا»[١] وقال الله - تبارك وتعالى- : ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾[٢]؛ فمن كذّب بآية، أو بحرف من القرآن، أو رد شيئًا مما جاء به رسول الله ﷺ فهو كافر.

الشرح : يجب الإيمان بصيحة النشور، والمراد بصيحة النشور: نفخة البعث التي ينفخ فيها إسرافيل، وإسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ في الصور الذي فيه إعادة الأرواح إلى الأبدان؛ فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، كما أن جبريل هو الملك الموكل بالوحي الذي ينزل على الأنبياء بالوحي الذي فيه حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي فيه حياة الأبدان، أبدان الآدميين والحيوانات .

وهؤلاء الأملاك الثلاثة هم رؤساء الملائكة ومقدموهم؛ ولهذا توسل النبي

---

(١) البخاري: الرقاق (٦٥٢٧)؛ ومسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٥٩)؛ والنسائي: الجنائز (٢٠٨٤)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٢٧٦)ح وأحمد (٦/ ٥٣) .

(٢) سورة المعارج آية : ٤٣ .

ﷺ بربوبية الله لهؤلاء الثلاثة في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم - رحمه الله - من حديث عائشة - رضي الله عنها - في الاستفتاح لصلاة الليل: أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل استفتح فقال: **«اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»**(١).

وينفخ إسرافيل في الصور نفختين:

النفخة الأولى: وهي نفخة الصعق، فيموت كل من خلق الله إلا من استثنى.

والنفخة الثانية: نفخة البعث كما قال - تعالى - في سورة (الزمر): ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾(٢) فهذه نفخة الصعق «الموت»، فيموت كل مخلوق ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: إلا من استثناه الله ممن لا يموت؛ كالحور العين في الجنة، والأرواح، والولدان، وهؤلاء داخلون في هذا الاستثناء، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾(٣) وهذه نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(٤).

وقال بعض العلماء: إن النفخات ثلاث:

نفخة الفزع، كما قال - تعالى - في سورة النمل: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾(٥).

---

(١) مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٧٠)؛ والترمذي: الدعوات (٣٤٢٠)؛ والنسائي: قيام الليل وتطوع النهار (١٦٢٥)؛ وأبو داود: الصلاة (٧٦٧)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٧)؛ وأحمد (٦/١٥٦).

(٢) سورة الزمر آية: ٦٨.

(٣) سورة الزمر آية: ٦٨.

(٤) سورة الزمر آية: ٦٨.

(٥) سورة النمل آية: ٨٧.

والنفخة الثانية: نفخة الصعق وهي الموت.

ونفخة ثالثة: هي نفخة البعث.

وهذا قد ورد في حديث، لكنه حديث ضعيف من رواية إسماعيل بن رافع، والصواب أنهما نفختان: نفخة الفزع والصعق، وهذه واحدة أولها فزع وآخرها صعق وموت، وهي نفخة طويلة يطولها إسرافيل؛ كما جاء في الحديث أن إسرافيل ينفخ في الصور آخر الزمان بعد ظهور أشراط الساعة الكبار التي تتوالى: أولها المهدي، ثم الدجال، ثم نزول عيسى ثم يأجوج ومأجوج، ثم بعد ذلك تتوالى: هدم الكعبة، والدخان، ونزع القرآن من الصدور، وطلوع الشمس من مغربها، والدابة، وآخر ذلك النار التي تخرج من قعر عدن، تسوق الناس إلى المحشر، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأتي ريح طيبة، في آخر الزمان يقبض الله فيها أرواح المؤمنين والمؤمنات ولا يبقى إلا الكفرة، فعليهم تقوم الساعة.

ويخرب هذا العالم إذا خلا من التوحيد والإيمان، وما دام في الأرض توحيد وإيمان فلا تقوم الساعة، كما قال النبي ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله»**(١).

فإذا نزع الإيمان والتوحيد من الأرض قامت الساعة، وتخرب هذه الأرض، وتكور الشمس، وتنشق الأرض، وتنكدر النجوم، وتسجر البحار، وتقوم الساعة.

ينفخ إسرافيل في الصور نفخة، والناس في أعمالهم ودنياهم مشغولون، كما جاء في الحديث أن الساعة تقوم وبعض الناس يأكل، فلا يرفع اللقمة إلى فيه حتى تقوم عليه الساعة، وبعض الناس يلوط الحوض لإبله وبعض الناس يغرس الفسيلة، وبعض الناس يتبايعون القماش، يمدونه فتقوم عليهم الساعة وهم في دنياهم مشغولون.

---

(١) مسلم: الإيمان (١٤٨)؛ والترمذي: الفتن (٢٢٠٧)؛ وأحمد (٣/ ١٠٧).

وهذا بعدما قبضت أرواح المؤمنين والمؤمنات فلا يبقى إلا الكفرة يتهارجون تهارج الحمر - يتناكحون في الأسواق كالحمر - والعياذ بالله - لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، ويتمثل لهم الشيطان - والعياذ بالله - فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: ما تأمرنا. فيأمرهم بعبادة الأصنام والأوثان، وهم في ذلك حسن رزقهم، رغد عيشهم، فعليهم تقوم الساعة.

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»[(١)]. فينفخ إسرافيل في الصور نفخة، فيفزع الناس أولها، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا، ورفع ليتًا.

والليت: صفحة العنق، يتسمع الصوت، فلا يزال الصوت يقوى حتى يموت الناس، فالصيحة أولها فزع وآخرها موت، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[(٢)] ثم بعد ذلك يمكث الناس أربعين، وينزل الله مطرًا تنبت منه أجساد الناس؛ فإذا تم خلقهم ونبتوا وبُدلت الصفات.

ويبلى ابن آدم إلا عجب الذنب، وعجب الذنب: العُصعُص، أو آخر عظمة في العمود الفقري، ومنه خُلِق ابن آدم، ومنه رُكب، هذا يبقى لا تأكله الأرض؛ وأما الذرات الأخرى، فيعيدها الله.

فإذا نبت الناس، وخلقهم الله، وبُدلت الصفات، فالصفات صارت قوية، ينشأ الإنسان فيها تنشأة قوية؛ ليقف هذا الموقف العظيم، ويستطيع فيها الثبات، ثم بعد ذلك يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور النفخة الثانية، فتعود الأرواح إلى أجسادها؛ فالأرواح لا تموت، وإنما تظل باقية إما في عذاب،

---

(١) أحمد (١/ ٤٠٥) .

(٢) سورة الزمر آية : ٦٨ .

وإما في نعيم؛ فالمؤمن إذا مات نُقلت روحه إلى الجنة، والكافر تنقل روحه إلى النار، والروح لها صلة بالجسد، وتنعم روح المؤمن، لكن روح المؤمن تنعم وحدها، والشهيد تنعم روحه بواسطة حواصل طير خضر.

ففي الحديث: **«نسمة المؤمن طائر يعلق في شجرة الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسمه يوم يُبعثون»**(١). والحديث ثابت.

وأما الشهداء، فإنهم يتنعمون بواسطة حواصل طير خضر، أرواحهم - أرواح الشهداء - إذا قتلوا يجعلها الله في حواصل طير خضر تسبح في الجنة، وترد أنهارها، وتأكل من ثمارها؛ لأنهم لما بذلوا أجسادهم لله عوضهم الله أجسادًا أخرى تتنعم أرواحهم بواسطتها.

أما المؤمن غير الشهيد، فإن روحه فقط تُنعم وحدها، تأخذ شكل طائر: **«نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة - أي: يأكل من شجر الجنة - حتي يرجعه الله إلى جسمه يوم يبعثون»**(٢).

فإذا نفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية بأمر الله، تطايرت الأرواح ودخلت في أجسادها، فقام الناس ينفضون التراب عن قبورهم، ويقفون بين يدي الله عز وجل للحساب حُفاة - لا نعال عليهم - عُراة - لا ثياب عليهم - غُرلاً - غير مختونين - الرجال والنساء سواء، ولكن كل شخص بصره إلى السماء.

لما قالت عائشة: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم بعضًا! قال: **«الأمر أشد من ذلك»**(٣). فالأمر عظيم، لا ينظر أحد إلى أحد؛ فليس الوقت وقت نظر.

---

(١) النسائي: الجنائز (٢٠٧٣)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٢٧١)؛ وأحمد (٣/ ٤٥٦)؛ ومالك: الجنائز (٥٦٦).

(٢) النسائي: الجنائز (٢٠٧٣)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٢٧١)؛ وأحمد (٣/ ٤٥٦)؛ ومالك: الجنائز (٥٦٦).

(٣) البخاري: الرقاق (٦٥٢٧)؛ ومسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٥٩)؛ والنسائي: الجنائز (٢٠٨٤)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٢٧٦)؛ وأحمد (٦/ ٥٣).

وأول من يُكسى في الموقف إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وهذه منقبة لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وهذا لا يدل على أنه أفضل من حفيده - نبينا محمد ﷺ - بل هو أفضل؛ لأن هذه مزية خاصة، ونبينا محمد ﷺ له مزايا متعددة.

كما أن من مزايا موسى أنه يوم القيامة يأخذ بقائمة من قوائم العرش، قال النبي ﷺ: **«إن الناس يُصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة يوم الطور»**(١).

وهذه منقبة لموسى سواء صعق أو لم يصعق، لكن الفضيلة والمزية الخاصة لا تقضي على المزايا العامة، فأفضل الأنبياء نبينا محمد ﷺ ثم يليه جده إبراهيم ثم موسى ثم بقية أولي العزم عليهم الصلاة والسلام.

يقول المؤلف - رحمه الله - : ثم بعد ذلك الإيمان بالصيحة للنشور بصوت إسرافيل؛ أي: الصعقة الثانية، وقد ذكر المؤلف صيحة النشور، ولم يذكر قبلها صيحة النفخ، وهي مذكورة في الآية الكريمة: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾(٢).

ومن لم يؤمن بالبعث فهو كافر، قال - تعالى - : ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾(٣).

فالمؤمن يلزم قلبه - أي: يعتقد ويوقن - أنه ميت ومضغوط في القبر، ومساءل في قبره - تسأل عن ربك، وعن دينك، وعن نبيك -، ومبعوث بعد الموت - يبعث الجسد - فريضة لازمة؛ فهذا فرض لازم؛ ومن أنكر ذلك، كان

---

(١) البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٣٩٨)؛ وأحمد (٣/ ٣٣).

(٢) سورة الزمر آية : ٦٨ .

(٣) سورة التغابن آية : ٧ .

به كافرًا - أي: من أنكر البعث، فهو كافر بنص القرآن، قال الله - تعالى - : ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾[(١)]

وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يقسم على البعث في ثلاثة مواضع من كتاب الله:

في سورة (التغابن): ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[(٢)].

في سورة (يونس): ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[(٣)].

في سورة (سبأ): ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾[(٤)].

فمن أنكر البعث كافر بإجماع المسلمين، ومن قال: إن البعث للروح - كما قال الفلاسفة كابن سينا وغيره - فهو كافر؛ لأن البعث للجسد؛ وأما الروح، فهي باقية، لا تموت فهي إما في عذاب أو في نعيم، ثم تعود إلى الجسد بعد النفخ في الصور، قال النبي ﷺ: **«أن الناس يحشرون من قبورهم حفاة - لا نعال عليهم - عراة - لا ثياب عليهم - غرلًا - جمع أغرل؛ أي: غير مختونين -»**[(٥)].

وفي رواية أخرى في بعض الأحاديث: **«تحشرون إلى الله حفاة، عراة، غرلًا، بُهمًا»**[(٦)] بُهمًا: ليس معكم شيء إلا الحسنات أو السيئات.

---

(١) سورة التغابن آية : ٧ .

(٢) سورة التغابن آية : ٧ .

(٣) سورة يونس آية : ٥٣ .

(٤) سورة سبأ آية : ٣ .

(٥) البخاري: الرقاق (٦٥٢٧)؛ ومسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٥٩)؛ والنسائي: الجنائز (٢٠٨٤)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٢٧٦)؛ وأحمد (٦/ ٥٣) .

(٦) البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٤٧)؛ ومسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٦٠)؛ والترمذي: تفسير القرآن (٣١٦٧)؛ والنسائي: الجنائز (٢٠٨٧)؛ وأحمد (١/ ٢٣٥)؛ والدارمي: الرقاق (٢٨٠٢) .

وقال الله - تبارك وتعالى - : ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾[1] والأجداث: جمع جدث وهي القبور؛ فكل هذه أدلة تثبت بعث الأجساد.

قال المؤلف: فمن كذب بآية أو بحرف من القرآن، أو رد شيئًا مما جاء به رسول الله ﷺ فهو كافر.

فإن أنكر فرضًا أو وصفًا وصف الله به نفسه، أو خبرًا أخبر الله به، أو فريضة أوجبها، أو كذب بآية أو بحرف - فهو كافر بإجماع المسلمين، نسأل الله السلامة والعافية!!



(١) سورة المعارج آية : ٤٣ .

البعث والصراط

قال المؤلف - رحمه الله - : (البعث والصراط) ثم الإيمان بالبعث والصراط، وشعار المؤمنين يومئذ: «سلم سلم»، والصراط جاء في الحديث: «أنه أحد من السيف وأدق من الشعرة».

الشرح : والإيمان بالبعث ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين، من كذب به فهو كافر بإجماع المسلمين كما في الآيات، وكما في حديث جبريل قال: «أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر»[1].

والإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بالبعث والإيمان بالصراط، والصراط جسر ينصب على متن جهنم، يمر الناس فيه على قدر أعمالهم: فالطائفة الأولى تمر على الصراط كالبرق، والطائفة الثانية كالريح، وكأجاويد الخيل - أي: كالخيل الجياد - وكالرجل يعدو عدوًا، ويركض ركضًا، والرجل يمشي مشيًا، والرجل يزحف زحفًا. وعلى الصراط كلاليب تخطف من أمرت بخطفه وتلقيه في النار على حسب الأعمال، فرجل مسلَّم، ومكردس على وجهه في النار. نسأل الله السلامة والعافية!!

والصراط يقول المؤلف: كما جاء بالحديث: «إنه أحد من السيف وأدق من الشعرة» أحد من السيف وأدق من الشعرة وأحر من الجمر، يمر الناس فيه على قدر أعمالهم.

---

(١) البخاري: الإيمان (٥٠)؛ ومسلم: الإيمان (٩)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩١)؛ وابن ماجه: المقدمة (٦٤)؛ وأحمد (٢/٤٢٦).

وهذا معتقد أهل السنة والجماعة في الصراط على أنه صراط حسي، وأنكرت المعتزلة كونه صراطًا حسيًا، وقالوا: إنه صراط معنوي أي: أن الناس ينتقلون إلى الجنة على حسب الأعمال، وليس هناك صراط حسي ينصب على متن جهنم.

كما أنهم أنكروا الميزان الحسي، وقالوا: إن المراد بالميزان العدل، وأن الميزان - كما سيأتي - لا يُحتاج إليه، فالرب لا يحتاج إلى الميزان، وإنما الذي يحتاج إلى الميزان البقال والفوال، والمراد بالميزان العدل.

وهذا من بدعهم وضلالهم، وهكذا يردون النصوص بعقولهم؛ لأنهم أهل عقول، يردون النصوص بعقولهم.

يقول المؤلف: وشعار المؤمنين يومئذ: سلم سلم، وهذا الذي جاء في الحديث: **«أنه لا يتكلم إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم! سلم!»**

وجاء عند مسلم: قال أبو سعيد: **«بلغني أن الصراط أحد من السيف، وأدق من الشعرة»**.

وثبت عند مسلم أن شعارهم: سلم سلم؛ وعلى هذا يكون هذا شعار الجميع، وجاء في رواية: **«ولا يتكلم إلا الرسل، وشعارهم يومئذ: اللهم، سلم سلم»**[1].

❋ ❋ ❋

(١) البخاري: الأذان (٨٠٦)؛ ومسلم: الإيمان (١٨٣).

الحوض والشفاعة

قال المؤلف - رحمه الله - : (الحوض والشفاعة) ثم الإيمان بالحوض والشفاعة، وقال النبي ﷺ: «إن لي حوضًا ما بين أيلة وعدن»[(١)]. - يريد أن قدره ما بين أيلة وعدن - «أباريقه بعدد نجوم السماء»[(٢)]. وقال أنس بن مالك: «من كذب بالحوض، فقد كذب بالحق»[(٣)]. وجاء في الحديث: «من كذب بالحوض، لم يشرب

---

(١) أحمد: مسند المكثرين من الصحابة (٦٨٧٢) .

(٢) البخاري: الرقاق (٦٥٨٠)؛ ومسلم: الفضائل (٢٣٠٣)؛ والترمذي: صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٤٢)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٤)؛ وأحمد (٣/ ١٣٣).

(٣) صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٦٩٦)؛ وكتاب المغازي (٣٩٨٣، ٤٤١٨)؛ وكتاب تفسير القرآن (٤٧٦٥، ٤٨٥٥)؛ وكتاب الاستئذان (٦٢٥٩)؛ وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٩٣٩)؛ وكتاب التوحيد (٧٣٨٠)؛ وصحيح مسلم: كتاب الجمعة (٨٦٢)؛ وكتاب التوبة (٢٧٦٩)؛ وسنن الترمذي: كتاب الطهارة (١٠٨، ١٠٩، ١١٧، ١٣٥)؛ وكتاب الصلاة (١٨٤، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ٢٠٤، ٢٦١، ٢٧٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٥٧، ٤٠٨، ٤١٣، ٤٢٣، ٤٦٩)؛ وكتاب الجمعة (٤٩٨، ٥١٢، ٥٢٤)؛ وكتاب الزكاة (٦١٨، ٦١٩، ٦٤٥)؛ وكتاب الصوم (٦٨٦، ٦٩٨، ٧٦٧)؛ وكتاب الحج (٨٢٨، ٨٥٧، ٨٨٩، ٨٩١، ٩٠٨، ٩١٠، ٩١٧، ٩٣٩، ٩٤٠)؛ وكتاب الجنائز (١٠٢٨، ١٠٤١، ١٠٥٤)؛ وكتاب النكاح (١٠٩٩)؛ وكتاب الرضاع (١١٥٣)؛ وكتاب الطلاق (١١٩٣، ١٢٠٢)؛ وكتاب البيوع (١٢٠٥، ١٢١١، ١٢١٣، ١٢٣٠، ١٢٤٠، ١٢٥٦، ١٣٠٩، ١٣١٠)؛ وكتاب الأحكام (١٣٢٢، ١٣٢٥، ١٣٤٦)؛ وكتاب الديات (١٤٠٣)؛ وكتاب الحدود (١٤٣٢، ١٤٣٤، ١٤٥٤)؛ وكتاب النذور والأيمان (١٥٣٥)؛ وكتاب السير (١٥٤٨، ١٥٦٤)؛ وكتاب فضائل الجهاد (١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣١)؛ وكتاب الجهاد (١٦٨٨)؛ وكتاب اللباس (١٧٢٨)؛ وكتاب البر والصلة (١٩٣٤، ١٩٧٢، ١٩٩٩، ٢٠١٣، ٢٠٣٤، ٢٠٣٥)؛ وكتاب الطب (٢٠٥٥)؛ وكتاب الولاء والهبة (٢١٢٧)؛ وكتاب القدر (٢١٤٥)؛ وكتاب الفتن =

الميزان

قال المؤلف - رحمه الله - : الميزان: ثم الإيمان بالموازين، كما قال الله - تبارك وتعالى - : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(١) وقال عبد الله بن مسعود: «يؤتى بالناس إلى الميزان، فيتجادلون عنده أشد الجدال». وقال النبي ﷺ: «الميزان بيد الرحمن، يخفضه ويرفعه؛ فمن شك في ذلك أو كذب، فقد أعظم الإلحاد»(٢).

وقد اتفق أهل العلم بالأخبار، والعلماء والزهاد في جميع الأمصار، أن الإيمان بذلك واجب لازم.

الشرح : والإيمان بالميزان: هذا ثابت بالنصوص، وأثبته أهل السنة والجماعة؛ قال الله - تعالى - : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾(٣).

وجاء في حديث البطاقة: «أنه يؤتى برجل يوم القيامة، ويخرج له تسعة وتسعون سجلًا، كل سجل مد البصر سيئات، وتوضع في كفة، فيقال: هل لك حسنة؟ فيقول: لا والله. فيقول الله: بلى، إن لك عندنا حسنة، فيخرج له بطاقة، هي الشهادتان: الشهادة لله بالوحدانية، وللنبي بالرسالة، وتوضع

---

(١) سورة الأنبياء آية : ٤٧ .

(٢) ابن ماجه: المقدمة (١٩٩)، وأحمد: مسند الشاميين (١٦٩٧٢) .

(٣) سورة الأنبياء آية : ٤٧ .

السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»[١].
وهذا دليل على أنه ميزان حسي.

وجاء في الحديث: «أنه له لسان وكفتان».

واختلف العلماء هل هو ميزان واحد، أو هي موازين؟ فقيل: إنه ميزان واحد، وأما قوله - تعالى - : ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٢] فإنما جمعت الموازين باعتبار الموزونات، وإلا فهو ميزان واحد.

وقيل: إنها موازين عدة، لكل واحد ميزان.

وأثبت أهل السنة والجماعة أن الميزان ميزان حسي، وأنكر المعتزلة الميزان الحسي، وقالوا: إن المراد به الميزان المعنوي، وهو عبارة عن العدل، وليس هناك ميزان حسي له كفتان، ولا توضع أعمال ولا شيء، وإنما المراد العدل.

فالله - تعالى - عادل، ولا يخفى عليه شيء من أعمال العباد، ولا يحتاج إلى ميزان حسي إلا البقال والفوال؛ أما الرب، فلا يحتاج إلى الميزان، وهذا من جهلهم وضلالهم، وهذا من الإلحاد - كما ذكر المؤلف رحمه الله - فإن النصوص من الكتاب والسنة صريحة وواضحة بأنه ميزان حسي، له كفتان وله لسان.

وذكر المؤلف - رحمه الله - : قال عبد الله بن مسعود: يؤتى بالناس إلى الميزان، فيتجادلون عنده أشد الجدال: فهذا فيه إثبات الميزان، وثبت في الصحيح أنه يوزن الشخص وتوزن الأعمال، قال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: «يؤتى بالرجل العظيم السمين، لا يزن عند الله جناح بعوضة»[٣]؛ لأنه الذي يخفه عمله.

---

(١) الترمذي: الإيمان (٢٦٣٩)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٠)؛ وأحمد (٢/ ٢١٣).

(٢) سورة الأنبياء آية : ٤٧ .

(٣) البخاري: تفسير القرآن (٤٧٢٩)؛ ومسلم: صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٥).

ولما كشفت الريح عن ساقي عبد الله بن مسعود - الصحابي الجليل - ضحك الصحابة، فقال النبي ﷺ: «لم تضحكون؟». قالوا: يا رسول الله، من دقة ساقيه. فقال - عليه الصلاة والسلام - : «والذي نفسي بيده، لهما في الميزان يوم القيامة أثقل من جبل أُحُد».

فهذا صريح في أن الميزان حسي، وأن الأشخاص يوزنون، وكذلك الأعمال، وإن كانت الأعمال أعراضًا فالله - تعالى - يجعلها أجسامًا، كما جاء في الحديث عن سورتي (البقرة) و(آل عمران): «تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف تظلان صاحبهما يوم القيامة»[1]. أي: العمل بالقرآن.

ثم ذكر المؤلف - رحمه الله - : وقال النبي ﷺ: «الميزان بيد الرحمن، يخفضه ويرفعه، فمن شك في ذلك أو كذب، فقد أعظم الإلحاد»[2].

وهذا الحديث يحتاج إلى ثبوت؛ فالإيمان بالميزان ثابت لا شك فيه؛ أما هذا الحديث بهذا اللفظ، فلا أعلم ثبوته هذا.

يقول المؤلف: وقد اتفق أهل العلم بالأخبار، وهم: العلماء، والزهاد، والعباد، في جميع الأمصار أن الإيمان بذلك واجب لازم، ولا يخالف في هذا إلا أهل البدع، كالمعتزلة وأشباههم.

❊ ❊ ❊

(١) مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٨٠٤)؛ وأحمد (٥/ ٢٤٩).
(٢) ابن ماجه: المقدمة (١٩٩)؛ وأحمد: مسند الشاميين (١٦٩٧٢).

الحوض والشفاعة

قال المؤلف - رحمه الله - : (الحوض والشفاعة) ثم الإيمان بالحوض والشفاعة، وقال النبي ﷺ: «إن لي حوضًا ما بين أيلة وعدن»(١). - يريد أن قدره ما بين أيلة وعدن - «أباريقه بعدد نجوم السماء»(٢). وقال أنس بن مالك: «من كذب بالحوض، فقد كذب بالحق»(٣). وجاء في الحديث: «من كذب بالحوض، لم يشربْ

---

(١) أحمد: مسند المكثرين من الصحابة (٦٨٧٢).

(٢) البخاري: الرقاق (٦٥٨٠)؛ ومسلم: الفضائل (٢٣٠٣)؛ والترمذي: صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٤٢)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٣٠٤)؛ وأحمد (٣/ ١٣٣).

(٣) صحيح البخاري: كتاب المناقب (٣٦٩٦)؛ وكتاب المغازي (٣٩٨٣، ٤٤١٨)؛ وكتاب تفسير القرآن (٤٧٦٥، ٤٨٥٥)؛ وكتاب الاستئذان (٦٢٥٩)؛ وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم (٦٩٣٩)؛ وكتاب التوحيد (٧٣٨٠)؛ وصحيح مسلم: كتاب الجمعة (٨٦٢)؛ وكتاب التوبة (٢٧٦٩)؛ وسنن الترمذي: كتاب الطهارة (١٠٨، ١٠٩، ١١٧، ١٣٥)؛ وكتاب الصلاة (١٨٤، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ٢٠٤، ٢٦١، ٢٧٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٥٧، ٤٠٨، ٤١٣، ٤٢٣، ٤٦٩)؛ وكتاب الجمعة (٤٩٨، ٥١٢، ٥٢٤)؛ وكتاب الزكاة (٦١٨، ٦١٩، ٦٤٥)؛ وكتاب الصوم (٦٨٦، ٦٩٨، ٧٦٧)؛ وكتاب الحج (٨٢٨، ٨٥٧، ٨٨٩، ٨٩١، ٩٠٨، ٩١٠، ٩١٧، ٩٣٩، ٩٤٠)؛ وكتاب الجنائز (١٠٢٨، ١٠٤١، ١٠٥٤)؛ وكتاب النكاح (١٠٩٩)؛ وكتاب الرضاع (١١٥٣)؛ وكتاب الطلاق (١١٩٣، ١٢٠٢)؛ وكتاب البيوع (١٢٠٥، ١٢١١، ١٢١٣، ١٢٣٠، ١٢٤٠، ١٢٥٦، ١٣٠٩، ١٣١٠)؛ وكتاب الأحكام (١٣٢٢، ١٣٢٥، ١٣٤٦)؛ وكتاب الديات (١٤٠٣)؛ وكتاب الحدود (١٤٣٢، ١٤٣٤، ١٤٥٤)؛ وكتاب النذور والأيمان (١٥٣٥)؛ وكتاب السير (١٥٤٨، ١٥٦٤)؛ وكتاب فضائل الجهاد (١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣١)؛ وكتاب الجهاد (١٦٨٨)؛ وكتاب اللباس (١٧٢٨)؛ وكتاب البر والصلة (١٩٣٤، ١٩٧٢، ١٩٩٩، ٢٠١٣، ٢٠٣٤، ٢٠٣٥)؛ وكتاب الطب (٢٠٥٥)؛ وكتاب الولاء والهبة (٢١٢٧)؛ وكتاب القدر (٢١٤٥)؛ وكتاب الفتن =

منه»[1].

الشرح : ثم الإيمان بالحوض والشفاعة من معتقد أهل السنة والجماعة،

= (٢١٧٢، ٢٢٠٣، ٢٢٢٥، ٢٢٥٧، ٢٢٦٥)؛ وكتاب الرؤيا (٢٢٧٦، ٢٢٨١)؛ وكتاب الزهد (٢٣٦٩، ٢٣٨٢)؛ وكتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٨، ٢٤٦٣، ٢٤٧٧، ٢٥٢١)؛ وكتاب الإيمان (٢٦٢١)؛ وسنن النسائي: كتاب المساجد (٧٣١) .

(١) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء (٣٤٠١)؛ وكتاب تفسير القرآن (٤٧٢٥، ٤٧٢٦، ٤٧٢٧)؛ وصحيح مسلم: كتاب الفضائل (٢٣٨٠)؛ وسنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن (٣١٤٩)؛ وسنن النسائي: كتاب الطهارة (٢٧٩)؛ وكتاب الحيض والاستحاضة (٣٧٧)؛ وكتاب الصلاة (٤٦١)؛ وكتاب المواقيت (٤٩٨)؛ وكتاب المساجد (٦٩٤)؛ وكتاب الافتتاح (٩٣٨)؛ وكتاب الجمعة (١٤٣٠)؛ وكتاب الصيام (٢١٦٨، ٢١٨٠، ٢٣٥٤)؛ وكتاب الزكاة (٢٤٤٧، ٢٤٤٨، ٢٤٥٥)؛ وكتاب مناسك الحج (٢٧٣٢، ٢٨٨٠)؛ وكتاب النكاح (٣٢٢٩، ٣٣٣٩، ٣٣٥٨)؛ وكتاب الأحباس (٣٦٠٠)؛ وكتاب الوصايا (٣٦٣٨)؛ وكتاب البيعة (٤١٩١، ٤٢٠٧، ٤٢٠٨)؛ وكتاب الصيد والذبائح (٤٢٦٣، ٤٣١٦)؛ وكتاب الإيمان وشرائعه (٥٠٢٣)؛ وكتاب الزينة (٥١١٤، ٥٣١٤)؛ وكتاب آداب القضاة (٥٤٠٠)؛ وكتاب الأشربة (٥٦٦٤، ٥٦٦٩)؛ وسنن أبي داود: كتاب الطهارة (٢٨٧)؛ وكتاب الصلاة (٤٢٥، ٤٤٤، ٥٥١، ٧٧٣، ٨٥٦، ١٢٥٤، ١٤٢٠)؛ وكتاب الزكاة (١٥٦٧)؛ وكتاب المناسك (١٨٠٥، ١٩٠٥، ١٩٧٨)؛ وكتاب الطلاق (٢٢٥١، ٢٢٥٦)؛ وكتاب الصوم (٢٣٣٨)؛ وكتاب الوصايا (٢٨٧٨)؛ وكتاب الخراج والإمارة والفيء (٢٩٧٨، ٣٠٥٥)؛ وكتاب الأيمان والنذور (٣٢٩٠)؛ وكتاب الأشربة (٣٧١٤)؛ وكتاب الأطعمة (٣٨٤٠)؛ وكتاب العتق (٣٩٤٠، ٣٩٤٣)؛ وكتاب اللباس (٤٠٧٢، ٤٠٨٥)؛ وكتاب الترجل (٤١٦٠)؛ وكتاب الفتن والملاحم (٤٢٧٠)؛ وكتاب الحدود (٤٤٥٢)؛ وكتاب الديات (٤٥١٠، ٤٥٣٧)؛ وكتاب السنة (٤٦١٢، ٤٦١٤، ٤٧٤٩)؛ وكتاب الأدب (٤٧٨٥، ٤٨٢٩، ٤٩٠٥، ٥٠٠٦، ٥٠٨٨، ٥١٢٧)؛ وسنن ابن ماجه: كتاب المقدمة (٣٦)؛ وكتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٦١)؛ وكتاب الزكاة (١٧٨٦، ١٨٠٠)؛ وكتاب التجارات (٢٢٨٤)؛ وكتاب الأحكام (٢٣٩٦)؛ وكتاب الديات (٢٦٢٦)؛ وكتاب المناسك (٣٠٧٤، ٣٠٧٥، ٣٠٩٣)؛ وكتاب الصيد (٣٢٤١)؛ وكتاب الطب (٣٥٤٧)؛ وكتاب الدعاء (٣٨٤٦)؛ وكتاب الفتن (٤٠٠٦، ٤٠٥٤)؛ وكتاب الزهد (٤٢٦٧، ٤٣٣٦)؛ ومسند أحمد (٥/١١٨، ٥/١١٩)؛ وسنن الدارمي: كتاب المقدمة (٦٨، ١٥٨، ٢٢٨) .

والأحاديث في ثبوت الحوض والشفاعة بلغت حد التواتر، ومن أنكر المتواتر بعد العلم به وقيام الحجة، فإنه يكفر.

والأحاديث المتواترة هي التي رواها عدد كثير يستحيل تواطؤهم على الكذب، من أول السند إلى منتهاه، وأسندوه إلى محسوس، أي: إلى سمع، يقول الراوي: سمعت أو رأيت، والأحاديث المتواترة في السنة قليلة، قال أهل العلم: ما ثبت في الأحاديث متواترًا إلا ما يقارب أربعة عشر حديثًا، والباقي كله ثبت بأخبار الآحاد، وأخبار الآحاد حق إذا صح السند - سند الحديث - وعُدِّلت رواته، ولم يكن الحديث معللًا ولا شاذًا؛ فإنه يجب العمل به في العقائد والأعمال، والأحاديث التي في الصحيحين روايتها كلها من هذا الباب، لكنِ الصحيحان: البخاري ومسلم تلقتهما الأمة بالقبول.

فالأحاديث المتواترة التي بلغت حد التواتر تقارب أربعة عشر: منها حديث الحوض، ومنها حديث الشفاعة، ومنها حديث: «من كذب علي متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار»[1]. ومنها حديث: «من بنى لله مسجدًا، بنى الله له بيتًا في الجنة»[2]. هذه الأحاديث المتواترة.

قال بعضهم: ويدخل فيها أحاديث النهي عن الصلاة بعد العصر وبعد الفجر.

وأحاديث الحوض متواترة، وأن لنبينا ﷺ حوضًا في موقف يوم القيامة، جاءت الأحاديث بوصفه، وأن طوله مسافة شهر، وعرضه مسافة شهر، وأوانيه عدد نجوم السماء، وهو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من

---

(١) البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٦١)؛ والترمذي: العلم (٢٦٦٩)؛ وأحمد (٢/ ١٥٩)؛ والدارمي: المقدمة (٥٤٢)؛ .

(٢) البخاري: الصلاة (٤٥٠)؛ ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٣)؛ والترمذي: الصلاة (٣١٨)؛ وابن ماجه: المساجد والجماعات (٧٣٦)؛ وأحمد (١/ ٦١)؛ والدارمي: الصلاة (١٣٩٢)؛ .

العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وأن من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا حتى يدخل الجنة.

وقد تواترت الأحاديث على إثبات الشفاعة، ومع ذلك أنكرها الخوارج والمعتزلة .

للنبي ﷺ عدة شفاعات: شفاعة في موقف القيامة؛ لإراحة الناس من الموقف، وشفاعة الإذن لأهل الجنة في دخولها - الشفاعة لأهل الجنة في الإذن لهم بدخولها - وشفاعة في رفع درجات قوم من أهل الجنة، وهذه الشفاعات لم ينكرها الخوارج والمعتزلة، لكنهم أنكروا الشفاعة فيمن يستحق دخول النار ألا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها من عصاة المؤمنين الموحدين، وفي قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم.

فهذه أنكرها المعتزلة والخوارج، ولكن أهل السنة أنكروا عليهم ذلك وصاحوا بهم وضللوهم وبدعوهم، وقد بلغت الأحاديث حد التواتر في أن المؤمنين العصاة لا يخلدون في النار، إن ماتوا على التوحيد؛ فمنهم من يعفى عنه، ومنهم من يعذب، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين، وبرحمة أرحم الراحمين؛ لأن المؤمن الموحد هو مؤمن، ومن أهل الجنة لكن هذه المعاصي وهذه الكبائر خبث ودنس، فلا بد من أن يطهر من هذا الدنس والخبث، كما أن الثوب إذا أصابته نجاسة تغسلها حتى تزول النجاسة.

فالمعاصي والكبائر التي يفعلها الموحدون لا بد من تطهيرهم منها، إن عفا الله عنه طهرها الله بالعفو؛ وإن لم يعف الله عنه، فلا بد أن يطهر بالنار؛ فإذا زال خَبَثُهُ أخرجه الله من النار إلى الجنة، ولكن المعتزلة والخوارج قالوا بأن العاصي مثل الكافر يخلد في النار.

فأنكر عليهم أهل السنة وضللوهم وبدعوهم؛ ولهذا قال المؤلف - رحمه الله - : ثم الإيمان بالحوض والشفاعة: يجب على المؤمن أن يؤمن بالحوض والشفاعة، خلافًا للمعتزلة والخوارج، وقال النبي ﷺ: «إن لي

حوضًا ما بين أيلة وعدن»[١]. وأيلة: بلدة في الشام، وعدن: في اليمن.

وجاء في بعض الأحاديث: **«ما بين بُصرى ...»**. وفي بعض الروايات: **«ما بين المدينة وعدن...»**. فاختلفت المسافات؛ قال بعض العلماء: إن هذا الاختلاف إما على حسب الطول أو العرض، أو على حسب السير المُجدّ والسريع.

فالمقصود: أن الأحاديث في هذا الباب متواترة؛ لهذا قال النبي ﷺ: **«إن لي حوضًا ما بين أيلة وعدن»**[٢]. يريد أن قدره ما بين أيلة وعدن **«أباريقه بعدد نجوم السماء»**. الأواني التي يشربون بها.

وقال رسول الله: **«من كذب بالحوض، فقد كذب بالحق»**. وجاء في الحديث: **«من كذب بالحوض، لم يشرب منه»**. وذكر أنه رواه أبو داود وأن فيه: **«فلا سقاه الله»**.

والحاصل: أن أهل السنة والجماعة يؤمنون بالحوض والشفاعة، وينكر ذلك أهل البدع من الخوارج والمعتزلة؛ فالواجب على المسلم الإيمان بما ثبت في النصوص، والرد على أهل البدع، والإنكار عليهم، والبعد عن معتقدهم الفاسد.

❁ ❁ ❁

---

(١) أحمد: مسند المكثرين من الصحابة (٦٨٧٢) .

(٢) أحمد: مسند المكثرين من الصحابة (٦٨٧٢) .

الحساب

قال المؤلف - رحمه الله - : (الحساب) ثم الإيمان بالمساءلة، أن الله عز وجل يسأل العباد عن كل قليل وكثير في الموقف، وعن كل ما اجترموا: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [(١)] **وقال الله عز وجل:** ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [(٢)] **ويأخذ للمظلومين من الظالمين، حتى الجماء من القرناء، وللضعيف من القوي.**

الشرح : قال المؤلف - رحمه الله تعالى - : ثم الإيمان بالمساءلة، أي: يجب على المؤمن أن يؤمن بأنه مسئول، وأن الله عز وجل يسأل العباد عن كل قليل وكثير في الموقف عن كل ما اجترموا، أي: أجرموا؛ قال الله - تعالى - : ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ [(٣)]، وقال سبحانه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [(٤)].

وثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه فيما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه» [(٥)].

---

(١) سورة الأحزاب آية : ٨ .

(٢) سورة الحجر آية : ٩٢ - ٩٣ .

(٣) سورة الأحزاب آية : ٨ .

(٤) سورة الحجر آية : ٩٢ - ٩٣ .

(٥) الترمذي: صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤١٧)؛

فلا بد للمسلم أن يؤمن بأنه مسئول يوم القيامة: ﴿لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾(١) وقال - سبحانه - : ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾(٢) ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾(٣) أي: الأمم، ﴿وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾(٤) فرسلهم مسئولون، والأمم مسئولة: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٥).

وما جاء في النصوص في نفس السؤال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْئَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾(٦)، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾(٧).

فالجمع بين النصوص هو أن مواقف يوم القيامة ومشاهده متعددة، ففي بعض المواقف لا يسألون، وفي بعضها يسألون: عند نفخ الصور ووقوف الناس لا أنساب بينهم ولا يتساءلون، والكفار في وقت يختم على أفواههم، وفي وقت يخلى بينهم وبين الكلام، كما أخبر - سبحانه - عن الكفار أنهم ينكرون: ﴿قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾(٨).

وقد رد الإمام أحمد - رحمه الله - على الجهمية في كتابه (الرد على الزنادقة)، وبين أن نصوص كتاب الله وسنة رسوله يصدق بعضها بعضًا، ورد على الزنادقة والجهمية في زعمهم أن القرآن متناقض، كما في هذه الآيات.

وبين أن المواقف والمشاهد متعددة: ففي وقت يسألون، وفي وقت لا

---

(١) والدارمي: المقدمة (٥٣٧).
(٢) سورة الأحزاب آية: ٨.
(٣) سورة الأعراف آية: ٦.
(٤) سورة الأعراف آية: ٦.
(٥) سورة الأعراف آية: ٦.
(٦) سورة الحجر آية: ٩٢ - ٩٣.
(٧) سورة الرحمن آية: ٣٩.
(٨) سورة المؤمنون آية: ١٠١.

يسألون؛ ولهذا قال - سبحانه - : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١] ويأخذ للمظلومين من الظالم، حتى للجمَّاء من القرناء، وللضعيف من القوي؛ أي: أن الله - تعالى - يحاسب الخلائق ويجازيهم، ويأخذ للمظلوم من الظالم.

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟». قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال النبي ﷺ: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام - وفي لفظ - وزكاة وحج، ويأتي وقد شتم هذا، وضرب هذا، وسفك دم هذا، وأخذ مال هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته؛ فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أُخذ من سيئاتهم فطرحت عليه، ثم طُرح في النار»[٢].

هذا معنى قوله: ويأخذ للمظلومين من الظالمين، حتى للجماء من القرناء؛ أي: حتى الشاة القرناء التي لها قرون، والجماء التي ليس لها قرون، إذا نطحتها فإنه يقتص منها يوم القيامة، يبعثها الله ويقتص للجماء من القرناء، ثم يقول الله لها: كوني ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[٣].

وللضعيف من القوي؛ أي: أن الله - تعالى - يأخذ للضعيف حقه من القوي.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الأنعام آية : ٢٣ .

(٢) سورة الحجر آية : ٩٢ - ٩٣ .

(٣) مسلم: البر والصلة والآداب (٢٥٨١)؛ والترمذي: صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤١٨)؛ وأحمد (٢/ ٣٠٣) .

نعيم الجنة وعذاب النار

قال المؤلف - رحمه الله - : (نعيم الجنة وعذاب النار) ثم الإيمان بأن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل خلق الخلق، ونعيم الجنة لا يزول، دائم أبدًا في النضرة والنعيم، والأزواج من الحور العين لا يمتن ولا ينقصن ولا يهرمن، ولا ينقطع ثمارها ونعيمها، كما قال الله عز وجل: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾(١)؛ وأما عذاب النار، فدائم أبدًا بدوام الله، وأهلها فيها خالدون مخلدون، من خرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد ولا متمسك بالسنة.

الشرح : وهذا داخل في عموم الإيمان باليوم الآخر؛ فالإيمان باليوم الآخر يشمل: (الإيمان بالبعث، والحساب، والصراط، والميزان، والجنة والنار)؛ فلا بد من الإيمان بالجنة والنار، ومن لم يؤمن بالجنة والنار فهو مُكذب لله، ومن كذب الله كفر.

فلا بد من الإيمان بأن الله عز وجل خلق الجنة والنار، وخلق للجنة أهلًا، وخلق للنار أهلًا، وهما الآن مخلوقتان موجودتان دائمتان لا تفنيان ولا تبيدان، فهذا معتقد أهل السنة والجماعة قال الله - سبحانه - عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢) .

وقال عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾(٣) .

---

(١) سورة النبأ آية : ٤٠ .
(٢) سورة الرعد آية : ٣٥ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٣٣ .

وقال في شأن الجنة: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ﴾[١] خلافًا للمعتزلة الذين يقولون: إن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن، وإنما تخلقان يوم القيامة، شُبْهَتُهُم أنهم يقولون: إن خلقَهما الآن ولا جزاء عبث، والعبث محال على الله.

ولكن هذا من أبطل الباطل لأسباب؛ أولًا: النصوص صريحة في أن الجنة والنار مخلوقتان الآن.

ثانيًا: الجنة والنار ليستا معطلتين الآن، وإنما فيهما الأرواح؛ ففي الجنة روح المؤمن تتنعم، وأرواح الشهداء، وفيها الحور العين، والولدان.

والمؤمن يفتح له باب إلى الجنة وهو في قبره، والكافر يفتح له باب إلى النار وهو في قبره، والنصوص في هذا كثيرة، ومنها: أن النبي ﷺ قال في ليلة المعراج: «**دخلت الجنة**»[٢]. وكُشف للنبي ﷺ في الكسوف عن الجنة

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٤ .

(٢) سورة الرعد آية : ٣٥ .

(٣) صحيح البخاري: كتاب الأذان (٨٠٦)، وكتاب الزكاة (١٣٩٧)، وكتاب بدء الخلق (٣١٩٢)، وكتاب المناقب (٣٦٧٩، ٣٨١٣، ٣٨٨٧)، وكتاب المغازي (٤٤١٨)، وكتاب النكاح (٥٢٢٦)، وكتاب الاستئذان (٦٢٦٨)، وكتاب الرقاق (٦٤٤٣، ٦٥٧٤)، وكتاب التعبير (٧٠٢٤)، وكتاب التوحيد (٧٤٣٨، ٧٤٥٤)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٤، ١٨٢، ١٨٣، ١٩١)، وكتاب الزكاة (٩٤)، وكتاب الصيام (١٠٨٣)، وكتاب الطلاق (١٤٧٥)، وكتاب الإمارة (١٨٤٤)، وكتاب فضائل الصحابة (٢٣٩٤، ٢٤٥٦)، وكتاب البر والصلة والآداب (٢٦٣٢)، وكتاب التوبة (٢٧٦٩)، وكتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٣٤)، وسنن الترمذي: كتاب الصوم (٦٨٢)، وكتاب الرضاع (١١٦١)، وكتاب البر والصلة (١٩١٤)، وكتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٤٥)، وكتاب صفة الجنة (٢٥٤٩، ٢٥٥٧)، وكتاب الإيمان (٢٦٣٨)، وكتاب الدعوات (٣٤٦٢)، وكتاب المناقب (٣٦٨٨، ٣٦٨٩)، وسنن النسائي: كتاب الزينة (٥٣٠٢)، وسنن أبي داود: كتاب الجهاد (٢٧٧٣)، وسنن ابن ماجه: كتاب الصيام (١٦٤٢)، وكتاب النكاح (١٨٥٤)، وكتاب الأحكام (٢٤٣١)، وكتاب الجهاد (٢٧٨٠)، وكتاب الأدب (٣٦٦٨)، وكتاب الزهد =

والنار، وقربت له الجنة حتى رأى أنه يتناول عنقودًا، تقدم وتقدمت الصفوف، ثم عُرضت له النار وقربت له حتى تأخر، تكعكع وتكعكعت الصفوف، قال: «حتى خشيت...».

ونعيم الجنة لا يزول، دائم أبدًا في النضرة والنعيم، ولهذا قال الله - سبحانه وتعالى - : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[1] أي: غير منقطع.

دائم في النضرة، أي: البهجة والسرور والنعيم.

والأزواج من الحور العين، لا يمتن ولا ينقصن ولا يهرمن؛ فقد كتب الله لهن الخلود والبقاء، فلا يمتن ولا ينقصن ولا يهرمن، وشباب أهل الجنة كلهم في شباب دائم، وصحة دائمة ونعيم دائم، ليس في الجنة موت ولا مرض، ولا هرم ولا شيخوخة، ولا بول ولا غائط، ولا مخاط ولا حيض ولا نفاس، ولا هم ولا غم، سرور دائم، وصحة دائمة، وشباب دائم، وحياة دائمة، ونعيم دائم، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم!!

والنار - والعياذ بالله - عذابها دائم مستمر، قال الله - تعالى - : ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾[2]، ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾[3]، ﴿لَا يُفَتَّرُ

= (٤٣٢٣، ٤٣٣٦)، ومسند أحمد (١/ ٢٥٧، ١/ ٢٨٤، ١/ ٢٨٧، ١/ ٤٠١، ١/ ٤١٤، ١/ ٤٢٠، ١/ ٤٣٠، ٢/ ٢٣٠، ٢/ ٢٤٦، ٢/ ٢٤٧، ٢/ ٢٧٥، ٢/ ٢٩٣، ٢/ ٢٩٥، ٢/ ٣٢٣، ٢/ ٣٤٢، ٢/ ٣٦٨، ٢/ ٣٧٨، ٢/ ٤٩٣، ٢/ ٥٣٣، ٣/ ٩٩، ٣/ ١٠٣، ٣/ ١٠٦، ٣/ ١٠٧، ٣/ ١١٥، ٣/ ١٢١، ٣/ ١٢٥، ٣/ ١٣٥، ٣/ ١٧٩، ٣/ ١٨٥، ٣/ ١٩١، ٣/ ٢٣٩، ٣/ ٢٥٧، ٣/ ٢٦٣، ٣/ ٢٦٨، ٣/ ٢٩١، ٣/ ٣٠٩، ٣/ ٣٤٥، ٣/ ٣٦٧، ٣/ ٣٧٢، ٣/ ٣٨٣، ٣/ ٣٨٩، ٣/ ٤٥٦، ٣/ ٤٦٦، ٣/ ٤٧٢، ٤/ ٢٠٨، ٤/ ٢١٢، ٤/ ٣٥٩، ٤/ ٤٠٤، ٥/ ٢٥٩، ٥/ ٣٢٥)، (٥/ ٣٥٤، ٥/ ٣٦٠)، وموطأ مالك: كتاب وقوت الصلاة (٢٦).

(١) سورة هود آية: ١٠٨.

(٢) سورة فاطر آية: ٣٦.

(٣) سورة النبأ آية: ٣٠.

عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾[(١)] فعذاب النار دائم لا ينقطع، نسأل الله السلامة والعافية!!

هذا هو الصواب، وما ورد عن بعض السلف بأن النار تفنى، واحتجوا ببعض الآثار، فهذه الآثار كلها لا تصح، فهي منقطعة، يقول المؤلف: ولا ينقطع ثمارها ونعيمها، كما قال الله عز وجل: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ﴾[(٢)] وأما عذاب النار فدائم أبدًا بدوام الله، وأهلها فيها مخلدون خالدون.

كما سمعتم الآيات: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾[(٣)] ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[(٤)] ولهم عذاب مقيم مخلدون خالدون.

من هم أهلها؟ قال المؤلف: من خرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد ولا متمسك بالسنة: يخرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد؛ أي: مشركًا، ومن مات على الشرك، أو الكفر الأكبر، أو النفاق الأكبر، أو الفسق الأكبر، أو الظلم الأكبر الذي يخرج من الملة؛ فهو مخلد في النار.

فالشرك الأكبر، قال - تعالى - : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[(٥)].

والنفاق الأكبر، وهو النفاق الاعتقادي. والكفر الأكبر هو المخرج من الملة. والفسق الأكبر هو فسق الكفر: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾[(٦)]، وقال عن إبليس: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[(٧)] أي: فسوق كفر.

---

(١) سورة الزخرف آية : ٧٥ .
(٢) سورة الرعد آية : ٣٥ .
(٣) سورة النبأ آية : ٢٣ .
(٤) سورة البقرة آية : ١٦٧ .
(٥) سورة المائدة آية : ٧٢ .
(٦) سورة البقرة آية : ٢٦ - ٢٧ .
(٧) سورة الكهف آية : ٥٠ .

والظلم الأكبر هو الشرك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1]، والظلم الأصغر هو المعاصي، والفسق الأصغر معصية، والكفر الأصغر معاص، فمن خرج من الدنيا مات على الشرك، فمأواه النار - نعوذ بالله - فهو من أهل النار، غير معتقد للتوحيد، يعني: قد خرج من التوحيد.

وإذا كان موحدًا ثم فعل ناقضًا من نواقض الإسلام، بطل توحيده - والعياذ بالله - فإذا مات على الشرك، فالجنة عليه حرام، وهو من أهل النار سواء كان كفره عن اعتقاد - كأن يعتقد لله صاحبة أو ولدًا - أو كفره باللسان والقول: كسَبِّ الله، أو سب الرسول، أو سب الدين، أو الاستهزاء بالله وبكتابه، أو برسوله.

أو بالفعل: كالسجود للصنم، والسحر، ودعاء غير الله، والذبح لغير الله، والنذر لغير الله، والطواف بغير بيت الله تقربًا، وما أشبه ذلك من الأفعال التي تخرج من الملة.

أو كان كفره بالرفض والترك و الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعبد الله، فمن خرج من الدنيا وقد مات على الشرك الأكبر، أو الكفر الأكبر، أو النفاق الأكبر، أو الفسق الأكبر، أو الظلم الأكبر - فهو من أهل النار.

قوله: ولا معتقد للتوحيد، ولا متمسك بالسنة: قد لا يتمسك الإنسان بالسنة، ولا يخلد في النار؛ أي: يقصر في بعض السنن، أو يترك بعض الواجبات، فيكون ظالمًا لنفسه، والمراد: من خرج من الدنيا على الشرك.

۞ ۞ ۞

(١) سورة لقمان آية : ١٣ .

الشفاعة

قال المؤلف - رحمه الله - : (الشفاعة) فأما الموحدون، فإنهم يخرجون منها بالشفاعة، وقال النبي ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[١].

الشرح : يخرج الموحدون من النار بالشفاعة إذا دخلوها، ومنهم من يشفَّع فيه فلا يدخلها، ومنهم من يُعفى عنه قبل الدخول، ومنهم من يدخلها؛ فهم طبقات، وحديث الشفاعة في خروج العصاة - عصاة الموحدين - من النار أحاديث متواترة، قد بلغت حد التواتر كما سبق.

ونبينا ﷺ يشفع أربع شفاعات، يحد الله له كل مرة حدًا فيخرجهم من النار، ويشفع الأنبياء والشهداء والصالحون، ولا يبقى في النار أحد من أهل التوحيد، ولو عظُمت الذنوب والمعاصي، فإنها لا تقضي على التوحيد، فقد يبقى مثقال ذرة من التوحيد أو أقل فيخرج به من النار، وقال النبي ﷺ: **«شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»**[٢]

❁ ❁ ❁

(١) الترمذي: صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٥)؛ وأحمد (٣/ ٢١٣) .

(٢) الترمذي: صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٥)؛ وأحمد (٣/ ٢١٣) .

الإيمان بالملائكة

قال المؤلف - رحمه الله - : (الملائكة) ثم الإيمان بالملائكة وأن جبريل أمين الله إلى الرسل، والإيمان بالملائكة واجب مُفترض.

الشرح : الإيمان بالملائكة أصل من أصول الدين، وركن من أركان الإيمان، وهو الركن الثاني؛ كما في قوله عز وجل: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[1] وكما في حديث جبريل لما سأل عن الإيمان فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[2].

فلا بد من الإيمان بالملائكة وأنهم من عالم الغيب، مخلوقون من نور كما في الحديث، وهم لا يعصون الله ما أمرهم، كما قال الله - تعالى - : ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3] ولهم وظائف متعددة: منهم من وكل بالنبات، ومنهم من وكل بالوحي كجبريل، ومنهم من وكل بالنفخ في الصور كإسرافيل، ومنهم من وكل بالموت، ومنهم من وكل بالنطفة وتدبير أمرها، ومنهم من وكل بكتابة الحسنات، ومنهم من وكل بكتابة السيئات،

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٧ .

(٢) مسلم: الإيمان (٨)؛ والترمذي: الإيمان (٢٦١٠)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٤٩٩٠)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٩٥)؛ وابن ماجه: المقدمة (٦٣)؛ وأحمد (١/ ٥١).

(٣) سورة التحريم آية : ٦ .

ومنهم من وكل بحفظ بني آدم، ومنهم من هو موكل بالنجوم، ومنهم من هو موكل بالشمس وبالقمر، وكل حركة في السماوات والأرض فهي ناشئة عن الملائكة بأمر الله الكوني.

ومنهم كما قال الله: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾[(١)] فهؤلاء ملائكة، وقال تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾[(٣)].

فكل هذه أوصاف الملائكة، ومن أنكر وجود الملائكة، فإنه مكذب لله كافر.



(١) سورة المرسلات آية: ١ - ٥ .
(٢) سورة النازعات آية: ١ - ٥ .
(٣) سورة الصافات آية: ١ - ٣ .

الإيمان بجميع ما جاءت به الرسل

قال المؤلف - رحمه الله - : (الإيمان بجميع ما جاءت به الرسل) وكذلك وجوب الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل من عند الله، وبجميع ما قال الله عز وجل وهو حق لازم، فلو أن رجلًا آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئًا واحدًا، كان بردِّ ذلك الشيء كافرًا عند جميع العلماء.

الشرح : يجب على المسلم أن يصدق بجميع ما جاءت به الرسل﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [(١)].

فيجب على المسلم أن يؤمن بالرسل وبجميع ما جاءوا به من الشرائع، وأنه حق من عند الله؛ ولهذا قال المؤلف: وكذلك وجوب الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل من عند الله، وبجميع ما قال الله عز وجل؛ فكل ما ثبت عن الله، أو ثبت عن رسوله ﷺ فهو حق يجب الإيمان به، فهو حق لازم.

يقول المؤلف: فلو أن رجلا آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئًا واحدًا، كان بردِّ ذلك الشيء كافرًا عند جميع العلماء.

لو أن إنسانًا آمن بجميع ما جاءت به الرسل ثم أنكر أمرًا واحدًا كفر؛ كمن أنكر مَلَكًا من الملائكة، أو رسولًا من الرسل، أو أنكر كتبًا من الكتب المنزلة، أو أنكر الجنة، أو النار، أو أنكر البعث، أو أنكر صفة من صفات الله، أو خبرًا أخبر الله به كان كافرًا عند جميع العلماء.

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

خلق الناس وخلق الجن

قال المؤلف - رحمه الله - : (خلق الناس وخلق الجن) ثم الإيمان بأن الله عز وجل خلق الخلق، وهم خلق من خلق الله، خلقهم كما شاء ولما شاء، وفيهم مؤمنون وكافرون، وبذلك نطق الكتاب وجاءت به الرسل، وخلق إبليس وهو رأس جنود الشياطين وهو يغوي بني آدم ويوسوس في صدورهم، ويفتنهم ويُحسِّن عندهم القبيح، ويدعوهم إلى مخالفة ربهم عز وجل وهو عدوهم، يجري منهم مجرى الدم، لا يضر المعتصمين بالله كيده، والآي في كتاب الله عز وجل بذكره وأخباره أكثر من أن تحصى؛ فمن أنكر أمر الجن وكون إبليس والشياطين والمردة وإغوائهم بني آدم؛ فهو كافر بالله، جاحد بآياته، مكذب بكتابه.

الشرح : الإيمان بأن الله عز وجل خلق الخلق، فهم خلق من خلق الله: وهذا لا بد منه، فإن الله هو الخالق، قال - تعالى - : ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[2] فمن أنكر أن الله خلق الخلق، فهو كافر؛ لأنه مكذب لله، فالله خلق الخلق ومنهم الناس - بنو آدم - والجن، والملائكة، والحيوانات، وكل شيء في هذا الوجود، فالله خلقه وأوجده؛ ومن أنكر ذلك، فهو كافر.

---

(١) سورة الرعد آية : ١٦ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٢ .

خلقهم كما شاء ولما شاء؛ أي: لحكمة، فخلق الجن والإنس لحكمة بينها - تعالى - في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)] أي: ليوحدونِ، وليعرفوه بأسمائه وصفاته، كما قال الله - سبحانه - : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[(٢)].

وفيهم مؤمنون وكافرون: والله - سبحانه وتعالى - خلقهم منهم كافر ومنهم مؤمن؛ لحكمة بالغة، كما قال - سبحانه - في سورة (التغابن): ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[(٣)]؛ وهذا معنى قوله: وبذلك نطق الكتاب.

وجاءت به الرسل وخلق إبليس: كما قال - سبحانه - : ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[(٤)] خُلقت الملائكة من نور، وخُلِق إبليس من نار، وخُلِق آدم من طين، وخلق أبناؤه من سلالة من ماء مهين.

وخلق إبليس وهو رأس جنود الشياطين وهو يغوي بني آدم: وهذا معلوم، فهو يغويهم، وقد طلب الإنظار: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[(٥)] فأنظره الله، ثم قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[(٦)].

لا بد أن يغويهم ويوسوس في صدورهم: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾[(٧)].

---

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

(٢) سورة الطلاق آية : ١٢ .

(٣) سورة التغابن آية : ٢ .

(٤) سورة الرحمن آية : ١٥ .

(٥) سورة الحجر آية : ٣٦ .

(٦) سورة ص آية : ٨٢ .

(٧) سورة الناس آية : ٤ - ٦ .

ويفتنهم ويحسن عندهم القبيح، ويدعوهم إلى مخالفة ربهم عز وجل وهو عدوهم؛ كما قال - سبحانه - : ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(١)؛ فلا بد من الإيمان بهذا كله.

يجري منهم مجرى الدم؛ كما في الحديث: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»(٢).

لا يضر المعتصمين بالله كيده؛ فمن اعتصم بالله كفاه الله كيده وشره؛ ولهذا قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾(٣) وقال عن إبليس: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾(٤).

والآي: أي: الآيات في كتاب الله عز وجل - بذكره، أي: إبليس، وأخباره أكثر من أن تُحصى: فمن أنكر أمر الجن فهو كافر؛ لأنه مكذب لله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٥)، ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾(٦).

فمن قال بأنه ليس هناك جن؛ فهو كافر، ومن أنكر إبليس والشياطين والمردة وإغواءهم بني آدم فهو كافر؛ لأن الله تعالى ذكر ذلك في القرآن، فمن أنكر ذلك فقد كذب الله وجحد آياته، ومن كذب الله كفر؛ ولهذا قال المؤلف: ومن أنكر أمر الجن وكون إبليس والشياطين والمردة وإغوائهم بني آدم - فهو كافر بالله، جاحد بآياته، مكذب بكتابه؛ لأن هذا موجود في القرآن.

---

(١) سورة فاطر آية : ٦ .

(٢) البخاري: بدء الخلق (٣٢٨١)؛ ومسلم: السلام (٢١٧٥)؛ وأبو داود: الصوم (٢٤٧٠)؛ وابن ماجه: الصيام (١٧٧٩)؛ وأحمد (٦/٣٣٧) .

(٣) سورة الحجر آية : ٤٢ .

(٤) سورة ص آية : ٨٢ - ٨٣ .

(٥) سورة الذاريات آية : ٥٦ .

(٦) سورة الأنعام آية : ١٣٠ .

الصفات الخبرية

قال المؤلف - رحمه الله - : (باب الصفات الخبرية) ثم الإيمان والقبول والتصديق بكل ما روته العلماء، ونقله الثقات وأهل الآثار عن رسول الله ﷺ ويلقاها بالقبول، ولا ترد بالمعاريض، ولا يقال: لم؟ وكيف؟، ولا تحمل على المعقول، ولا تضرب لها المقاييس، ولا يعمل لها التفاسير إلا ما فسره رسول الله ﷺ أو رجل من علماء الأمة، ممن قوله شفاء وحجة: مثل أحاديث الصفات والرؤية، ومثل ما روي: «أن الله عز وجل يضع السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع»، و«أن الله عز وجل يضع قدمه في النار فتقول: قط قط». و«قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن»[(١)].

الشرح: يجب على كل مسلم أن يؤمن بأسماء الله وصفاته التي سمى الله بها نفسه، وسماه بها رسوله، ويؤمن بالصفات التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله؛ ولهذا قال المؤلف: ثم الإيمان والقبول والتصديق بكل ما روته العلماء، ونقلته الثقات وأهل الآثار عن رسول الله ﷺ وتلقاها بالقبول، ولا ترد بالمعاريض.

فيجب على المسلم أن يؤمن بالصفات والأسماء التي وردت في الكتاب العزيز، ويجب عليه الإيمان والقبول والتصديق بكل ما رواه العلماء ونقله

---

(١) البخاري: تفسير القرآن (٤٨٤٨)؛ ومسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٨)؛ والترمذي: تفسير القرآن (٣٢٧٢)؛ وأحمد (٣/ ١٣٤) .

الثقات في الأحاديث الصحيحة الثابتة من الصفات والأسماء، وأن لا يردها بالمعاريض - أي: بالتأويلات الباطلة - بل الواجب التسليم والقبول، ولا يقال: لم وكيف؛ فلا يقال: لم في أفعال الله؛ فلا يجوز أن توجه هذا السؤال لأفعال الله: لم أمات هذا؟ وأحيا هذا؟ لم جعل هذا فقيرًا؟ وجعل هذا غنيًا؟ فهذا لا يجوز؛ لأن هذا اعتراض على أفعال الله؛ فأفعال الله لا يعترض عليها؛ كما قال - سبحانه - : ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[1].

ولهذا قال الطحاوي - رحمه الله - : «من قال لِمَ، فقد رد حكم الكتاب؛ ومن رد حكم الكتاب، كان من الكافرين»

ولا كيف: في الصفات؛ فلا تقل: كيف استوى؟ أو كيف السمع؟ أو كيف البصر؟ فالكيف مجهول، لكن معاني الصفات معلومة؛ كما قال الإمام مالك - رحمه الله - : «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة».

ولا تكيف الصفات على ما يعقله الناس ويفهمونه، ولا تضرب لها المقاييس؛ فلا تقاس بصفة المخلوقين. ولا يعمل لها التفاسير.

أما معنى الصفات فيفسر؛ فمعلوم أن السمع ضد الصمم، والبصر ضد العمى، والعلم ضد الجهل، والاستواء معناه الاستقرار، والعلو هو الصعود والارتفاع، كما قال الإمام مالك: «الاستواء معلوم...»، لكن لا تُعمل التفاسير للكيفية، فالكيفية لا تفسر، إلا كما فسره رسول الله ﷺ أو رجل من علماء الأمة ممن قوله شفاء وحجة؛ حيث يفسرها بالنصوص؛ فإذا فسرها بالنصوص، فهذا حق؛ لأن النصوص يفسر بعضها بعضًا، ويضم بعضها إلى بعض، مثل أحاديث الصفات والرؤية.

فالنصوص يفسر بعضها بعضًا، فمثلاً قوله - تعالى - : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ

(١) سورة الأنبياء آية : ٢٣ .

يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[(١)].

فهذه معية علم واطلاع وإحاطة، والدليل على ذلك أن الله افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم، فنحن نفسرها - نفسر النصوص بالنصوص - فإذا فسر رجل من علماء الأمة ممن قوله شفاء وحجة بالنصوص - فإنه يقبل منه، مثل أحاديث الصفات والرؤية، كل هذه نقبلها ونصدق بها، ومثل ما روي: «أن الله عز وجل يضع السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع»[(٢)].

وهذا ثابت في الحديث الصحيح: «إن الله - تعالى - يضع السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والماء والثرى على إصبع، والشجر على إصبع، وسائر خلقه على إصبع، ثم يهزهن بيده، فيقول: أنا الملك»[(٣)].

وفي الحديث الذي رواه مسلم والترمذي وغيرهما، أن النبي ﷺ قال: «إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن»[(٤)].

وكان النبي ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك». قالت عائشة: يا رسول الله، إنك تكثر من هذا الدعاء، فهل تخاف؟ قال: «وما يؤمن يا عائشة وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف يشاء؛ إذا أراد أن يقلب قلب عبد، قلبه»[(٥)].

---

(١) سورة المجادلة آية : ٧ .

(٢) البخاري: التوحيد (٧٤١٤)؛ ومسلم: صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٦)؛ والترمذي: تفسير القرآن (٣٢٣٨)؛ وأحمد (١/ ٣٧٨) .

(٣) البخاري: تفسير القرآن (٤٨١١)؛ ومسلم: صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٦)؛ والترمذي: تفسير القرآن (٣٢٣٨)؛ وأحمد (١/ ٣٧٨) .

(٤) مسلم: القدر (٢٦٥٤)؛ وأحمد (٢/ ١٦٨) .

(٥) الترمذي: القدر (٢١٤٠)؛وابن ماجه: الدعاء (٣٨٣٤) .

ففي الأحاديث إثبات الأصابع لله عز وجل.

وأن الله عز وجل يضع قدمه في النار، فتقول: قط قط: فهذا ثابت، والحديث فيه إثبات القدم لله عز وجل، قال ﷺ: «لا تزال النار يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قط قط»[1].

۞ ۞ ۞

(١) البخاري: تفسير القرآن (٤٨٤٨)؛ ومسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤٨)؛ والترمذي: تفسير القرآن (٣٢٧٢)؛ وأحمد (٣/ ١٣٤).

استواء الله على العرش

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن الله عز وجل على العرش، وللعرش أطيط كأطيط الرحل الجديد.

الشرح : وهذا من النصوص الثابتة؛ يقول تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ (١).

ونصوص العلو والفوقية كثيرة، أكثر من ثلاثة آلاف دليل، واستواء الله على العرش ثابت في سبعة مواضع من كتاب الله .

وللعرش أطيط كأطيط الرحل الجديد: وحديث الأطيط معروف، ضعفه بعض العلماء، وحسنه بعضهم؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية لشواهده، وقال: إن له شواهد؛ وإذا ثبت حديث الأطيط، فإنه يكون شيئًا يتعلق بالعرش، والله - تعالى - لا يحتاج إلى العرش ولا غيره، بل هو الحامل للعرش ولحملة العرش بقوته وقدرته.



---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٤ .

أخذ الله الذرية من ظهر آدم

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن الله عز وجل أخذ الذرية من ظهر آدم بيده اليمنى، وكلتا يديه يمين مباركة، فقال: هذه لهذه ولا أبالي.

الشرح : وهذا ثابت في الأحاديث: **«أنه - تعالى - مسح ظهر آدم، فاستخرج ذريته أمثال الذر، فقبض قبضة وقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي، وقبض قبضة أخرى وقال: هؤلاء للنار ولا أبالي»**[1]. وذكر المؤلف أنه أخذ بيده اليمنى، وكلتا يديه يمين، فقال: هذه لهذه؛ أي: هذه القبضة للجنة، وهذه القبضة للنار.

❁ ❁ ❁

---

(١) الترمذي: تفسير القرآن (٣٠٧٥)؛ وأبو داود: السنة (٤٧٠٣)؛ وأحمد (١/ ٤٤)؛ ومالك: الجامع (١٦٦١) .

النهي عن تقبيح الوجه

قال المؤلف - رحمه الله - : ولا يقبح الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته.

الشرح : وقد ورد هذا في الحديث، قال النبي ﷺ : «لا تقبح الوجه فإن الله خلق آدم على صورته»(١) . وفي صحيح البخاري: «إن الله خلق آدم على صورته - ثم قال - طوله في السماء - أي: طول آدم - ستون ذراعًا»(٢) .

ففيه إثبات الصورة لله عز وجل؛ فالله - تعالى - له صورة لكن لا تشبه صور المخلوقين، كما أن له سمعًا وبصرًا وعلمًا وقدرة.



---

(١) أحمد (٢/ ٤٣٤) .

(٢) البخاري: الاستئذان (٦٢٢٧)؛ ومسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٤١)؛ وأحمد (٢/ ٣١٥) .

رؤية الله

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال النبي ﷺ: «رأيت ربي في صورة كذا» .

الشرح : جاء في حديث اختصام الملأ الأعلى الذي شرحه الحافظ ابن رجب: «رأيت ربي في أحسن صورة، فقال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا يا رب. فوضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله، فعلمت ما بين السماء والأرض، أو فعلمت كل شيء، فقلت: يا رب في نقل الأقدام إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة» [١] إلى آخر الحديث.



---

(١) الترمذي: تفسير القرآن (٣٢٣٣) .

ثبوت أحاديث الصفات

قال المؤلف - رحمه الله - : قد روى هذه الأحاديث الثقات من الصحابة والسادات من العلماء من بعدهم، مثل: ابن عمر وعائشة وأبي هريرة وابن عباس وجرير بن عبد الله وأنس بن مالك وغيرهم.

الشرح : هذه الأحاديث كلها ثابتة، رواها الثقات من الصحابة ابن عمر وعائشة وأبو هريرة وابن عباس وجرير بن عبد الله البجلي وأنس بن مالك وغيرهم، كلهم روى أحاديث الصفات، وهي ثابتة، وآمن بها أهل السنة والجماعة .



نزول الله سبحانه إلى السماء الدنيا

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن الله - تبارك وتعالى - ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا.

الشرح : وحديث النزول ثابت في الصحاح والسنن والمسانيد، بل هو من الأحاديث المتواترة، يقول النبي ﷺ: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؛ من يسألني فأعطيه؛ من يستغفرني فأغفر له. حتى يطلع الفجر**»(١).

ينزل - سبحانه وتعالى - نزولًا يليق بجلاله وعظمته، لا يشابه المخلوقين في نزولهم، كما أنه - سبحانه وتعالى - لا يشابه المخلوقين في صفاته، وهو ينزل نزولًا يليق بجلاله وعظمته وهو - سبحانه - فوق العرش، وهل يخلو العرش أو لا يخلو؟ ففي هذا ثلاثة أقوال؛ قيل: لا يخلو، وقيل: يخلو، وقيل: بالتوقف.

ونصوص المعية والفوقية هذه ثابتة لا إشكال فيها، والنزول فعل يليق بذاته، والصفات فعل يفعله - سبحانه - كما يشاء.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: الجمعة (١١٤٥)؛ ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨)؛ والترمذي: الصلاة (٤٤٦)؛ وأبو داود: الصلاة (١٣١٥)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٦٦)؛ وأحمد (٢/٢٥٨)؛ ومالك: النداء للصلاة (٤٩٦)؛ والدارمي: الصلاة (١٤٧٨).

عدم السؤال عن الكيفية في صفات الله

قال المؤلف - رحمه الله - : لا يقال لهذا كله: كيف ولا لم، بل تسليمها للقدرة وإيمان بالغيب، كلما عجزت العقول عن معرفته، فالعلم به وعين الهداية فيه الإيمان به والتسليم له، وتصديق رسول الله ﷺ فيما قاله هو أصل العلم وعين الهداية، لا تضرب لهذه الأحاديث وما شاكلها المقاييس، ولا تعارض بالأمثال والنظائر.

الشرح : لا يقال لهذا كله: كيف ولا لم - أي: لا يقال: كيف صفته، أو كيف نزوله، أو كيف استواؤه - فهذا باطل فاسدٌ؛ ولهذا لما جاء رجل إلى الإمام مالك - إمام دار الهجرة - وجلس في حلقته، فقال: يا مالك، ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [1] كيف استوى؟ فأطرق مالك - رحمه الله - مليًا حتى علته الرحضاء - العرق - ثم قال بعد فترة: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وما أراك إلا رجل سوء، أخرجوه عني. فأمر بإخراجه، وهذا يقال في جميع الصفات.

ولا يقال: لم فعل كذا؟؛ لأن الله - تعالى - لا يُسأل عما يفعل؛ لأنه حكيم، وليس لأنه يفعل بالقدرة والمشيئة بدون حكمة كما يقول أهل البدع.

فلا نقول: كيف، ولا: لم، بل نُسلم لقدرة الله ونؤمن بالغيب.

كل ما عجزت العقول عن معرفته، فالعلم به وعين الهداية فيه الإيمان به؛

---

(١) سورة طه آية : ٥ .

أي: أن تؤمن به وتسلم، وتقول: آمنت وسلمت؛ فالعلم به وعين الهداية فيه الإيمان به، والتسليم له.

وتصديق رسول الله ﷺ فيما قاله هو أصل العلم وعين الهداية: صدِّق الرسول ﷺ واقبل خبر الله وخبر رسوله، وصدِّق وآمِن وسلِّم، فهذا هو أصل العلم، وهذا عين الهداية.

لا تضرب لهذه الأحاديث وما شاكلها المقاييس؛ فلا تقسها بصفة المخلوقين، ولا تعارض بالأمثال، فتجعل لها أمثلة، تضرب بها مثل صفة المخلوقين، وتجعل لها النظائر.

فالله - سبحانه وتعالى - لا يماثل أحدًا من خلقه، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، كما قال - سبحانه - : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1] وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[2] وقال - سبحانه - : ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الشورى آية : ١١ .

(٢) سورة مريم آية : ٦٥ .

(٣) سورة النحل آية : ٧٤ .

نزول عيسى عليه السلام

قال المؤلف - رحمه الله - : (نزول عيسى - عليه السلام) ثم الإيمان بأن عيسى ابن مريم - عليه السلام - ينزل من السماء إلى الأرض، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، وتكون الدعوة واحدة.

الشرح : يجب الإيمان بنزول عيسى ابن مريم - عليه السلام - وهو أحد أشراط الساعة الكبار، ومن علامات الساعة كما قال - سبحانه - : ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾[1] أي: نزول عيسى، وفي قراءة : ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾[2]. وقال - تعالى - : ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[3].

فيجب الإيمان بنزول عيسى ابن مريم، وهذا ثابت في الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما، مما تلقته الأمة بالقبول، فمن أنكر نزول عيسى ابن مريم فإنه لا بد أن يُعرَّف، بأن تقام عليه الحجة، وتزال الشبهة، وتبين له الأدلة؛ فإذا أنكرها مع صراحتها ووضوحها، كفر.

قال - عليه الصلاة والسلام - في الآية السابقة: «والذي نفسي بيده، لينزلن فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد»[4] .

---

(١) سورة الزخرف آية : ٦١ .

(٢) سورة الزخرف آية : ٦١ .

(٣) سورة النساء آية : ١٥٩ .

(٤) البخاري: البيوع (٢٢٢٢)؛ ومسلم: الإيمان (١٥٥)؛ والترمذي: الفتن (٢٢٣٣)؛ وأبو داود: الملاحم (٤٣٢٤)؛ وابن ماجه: الفتن (٤٠٧٨)؛ وأحمد (٢/ ٢٤٠) .

وينزل عيسى ابن مريم من السماء إلى الأرض، وهو مرفوع رفعه الله، لما أراد اليهود قتله؛ كما قال الله - تعالى - : ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾(١) وهو حي في السماء، وينزل في آخر الزمان؛ وإذا نزل في آخر الزمان، صار فردًا من أفراد الأمة المحمدية، يعمل بشريعة محمد ﷺ .

وهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها؛ لأن الله أخذ على كل نبي الميثاق: لئن بُعِثَ محمد - عليه الصلاة والسلام - لتؤمنن به ولتتبعنه؛ قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾(٢) .

فهو أفضل هذه الأمة بعد نبينا، ثم يليه أبو بكر الصديق، ويصدق على عيسى ابن مريم لقب صحابي؛ لأنه رأى النبي ﷺ ليلة المعراج حيًا، فَيُلغز بها فيقال: من هو أفضل من أبي بكر الصديق من هذه الأمة بالإجماع؟ هو عيسى - عليه السلام - فهو أفضل من أبي بكر بالإجماع، وهو فرد من أفراد هذه الأمة، وهو صحابي أيضًا؛ لأنه شاهد النبي ﷺ ليلة المعراج؛ لأن من تعريف الصحابي: أنه من لقي النبي ﷺ مؤمنًا، ومات على الإسلام، ولو للحظة واحدة، فصغار الصحابة الذين حنكهم النبي ﷺ هم صحابة.

ولما عُرج برسول الله ﷺ ليلة المعراج رأى عيسى - عليه السلام - في السماء الثانية، وارتقى إليه ورحب به، وقال: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح، ورأى في السماء الثانية عيسى وابن خاله يحيى لكن يحيى - عليه السلام - مات، وعيسى مازال حيًا.

فينزل من السماء إلى الأرض؛ فيكسر الصليب لبيان بطلان ما عليه

---

(١) سورة النساء آية : ١٥٨ .

(٢) سورة آل عمران آية : ٨١ .

النصارى الذين يعبدون الصليب، وهذا من جهلهم وضلالهم؛ فهم يزعمون أن عيسى قتل وصلب؛ وإذا كان قد صلب، فكيف تعبدون الصليب؟! كان الذي ينبغي لهم أن يبغضوا الصليب، ويكسروه، لأنه صُلب عليه نبيهم، فكيف يعبدون الصليب الذي صلب عليه نبيهم؟!

فهذا من أبطل الباطل، وهو - عليه السلام - ما قُتِلَ وما مات، ولكن الله رفعه؛ قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[1].

ولهذا فإن عيسى - عليه السلام - إذا نزل يكسر الصليب ويقتل الخنزير؛ لأنه يأكله النصارى أيضًا، وتكون الدعوة واحدة، فلا يكون إلا الإسلام.

واليهود والنصارى - الآن - يخيرون بين الإسلام أو الجزية أو السيف، وهذا محدد بنزول عيسى؛ فإذا نزل عيسى، انتهى قبول الجزية، ولا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف.



(١) سورة النساء آية : ١٥٧ .

خروج الدجال

قال المؤلف - رحمه الله - : (خروج الدجال) والدجال خارج في آخر هذه الأمة لا محالة، إحدى عينيه كأنها عنبة طافية، يطأ الأرض كلها إلا مكة والمدينة، ويقتله عيسى ابن مريم - عليه السلام - بباب «لُدٍّ» الشرقي، بأرض فلسطين على قدر مسيرة ميل من الرملة.

الشرح : وكذلك يجب الإيمان بخروج الدجال، وهذا ثابت في الأحاديث الصحيحة، في الصحيحين وغيرهما، أن النبي ﷺ قال: «إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، تقول: أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»[(١)].

وجاء خبر الدجال وأوصافه في الصحيحين، في حديث النواس بن سمعان الطويل، في صحيح مسلم أن الدجال رجل من بني آدم، يخرج في آخر الزمان من جهة الشرق. وقد ورد أنه مربوط، وأنه موثق بالحديد في جزيرة، وأنه يخرج في آخر الزمان، كما في حديث قصة الجساسة في صحيح مسلم.

فيخرج، وإذا خرج ادعى الصلاح أولًا - أي: يدعي أنه مصلح - ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، وهو كافر، مكتوب بين عينيه كافر «ك ف

---

(١) البخاري: الجنائز (١٣٧٧)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٨٨)، والترمذي: الدعوات (٣٦٠٤)، والنسائي: السهو (١٣١٠)، وأبو داود: الصلاة (٩٨٣)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٠٩)، وأحمد (٢/ ٢٣٧)، والدارمي: الصلاة (١٣٤٤).

ر»، يقرؤها كل مؤمن، وإحدى عينيه طافية، وهي اليمنى، فهو أعور العين اليمنى، كأنها عنبة طافية، لا يترك بلدًا إلا دخلها، إلا مكة والمدينة؛ لأن الملائكة تمنعه من دخولها، تحرسها الملائكة جاء في الحديث: «**أنه يأتي المدينة وينزل بالسبخة ترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر وكافرة، وكل فاسق وفاسقة، وكل خبيث وخبيثة، ولا يبقى في المدينة إلا المؤمنون**»(١).

وفي هذه الحالة تنفي المدينة خبثها، كما ينفي الكير خبث الحديد، في وقت مجيء الدجال، ويمكث في الأرض، أربعين يومًا، اليوم الأول طوله سنة، تطلع الشمس ولا تغرب إلا بعد ثلاثمائة وستة وخمسين يومًا، واليوم الثاني طوله شهر، واليوم الثالث طوله أسبوع، هذه ثلاثة أيام طويلة، وبقية الأيام كأيامنا.

فيكون المكث سنة وشهرًا وأسبوعًا، وسبعًا وثلاثين يومًا، هذا مكثه في الأرض، ومعه خوارق، يبتلي الله بها العباد، يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، ومعه صورة الجنة، وصورة النار، ويقتل شابًا نصفين ويمشي بين نصفيه، ويقول له: قم فيستوي قائمًا، ويقول للناس: إن هذا الدجال اللعين، قال: ما زدتُ فيك إلا بصيرة، والدجال هو الشرط الثاني من أشراط الساعة الكبار.

فإذا نزل عيسى ابن مريم قتله؛ ولهذا قال: ويقتله عيسى ابن مريم بباب لدِّ الشرقي بأرض فلسطين، لد: قرية قريبة من بيت المقدس، على قدر مسيرة ميل من الرملة، فلا بد من الإيمان بهذا.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الفتن (٧١٢٤)؛ ومسلم: الفتن وأشراط الساعة (٢٩٤٣)؛ وأحمد (٣/ ١٩١).

ملك الموت

قال المؤلف - رحمه الله - : (ملك الموت) ثم الإيمان بملك الموت ﷺ وأنه يقبض الأرواح، ثم ترد في الأجساد في القبور.

الشرح : ويجب الإيمان بملك الموت، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾(١)، وهو يقبض الأرواح، بأمر الله تعالى، ثم ترد في الأجساد في القبور، والأرواح إذا قبضت، فكما جاء في الحديث بأن روح المؤمن تنقل إلى الجنة، ولها صلة بالبدن، وروح الكافر تنقل إلى النار .

ثم إذا أمر الله تعالى بالنفخ في الصور، عادت الأرواح إلى أجسادها، ودخلت كل روح إلى جسدها، فقام الناس من قبورهم، ينفضون التراب عن رءوسهم، ولا بد من الإيمان بهذا أيضًا .

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة السجدة آية : ١١ .

النفخ في الصور

قال المؤلف - رحمه الله - : (النفخ في الصور) والإيمان بالنفخ في الصور، والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل.

الشرح: ويجب الإيمان بالنفخ في الصور، وينفخ إسرافيل في الصور نفختين، النفخة الأولى: نفخة الصعق والموت، يموت فيها كل من خلق الله، إلا من استثناه الله.

والنفخة الثانية: نفخة البعث، كما قال - سبحانه - في سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾(١) فهذه نفخة الصعق، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾(٢) هذه نفخة البعث ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(٣).

والنفخة الأولى في الصور أولها فزع وآخرها صعق وموت، كما قال الله تعالى في سورة النمل: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾(٤) فهي نفخة طويلة أولها فزع وآخرها صعق وموت، ثم النفخة الثانية نفخة البعث.

وقال بعض العلماء: إنه الثلاث نفخات، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، وجاء هذا في حديث طويل، ولكنه من رواية إسماعيل بن رافع وهو ضعيف، والصواب أنهما نفختان، الأولى أولها فزع، وآخرها صعق وموت، ثم النفحة الثانية، نفخة البعث بعد ذلك.

---

(١) سورة الزمر آية : ٦٨ .

(٢) سورة الزمر آية : ٦٨ .

(٣) سورة الزمر آية : ٦٨ .

(٤) سورة الزمر آية : ٦٨ .

بين الله وأنبيائه

قال المؤلف - رحمه الله - : (بين الله وأنبيائه) والله كلم موسى تكليمًا، واتخذ إبراهيم خليلًا، وعيسى ابن مريم روح الله وكلمته، قد أحيا الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، وخلق من الطين طائرًا، كل ذلك بقدرة الله عز وجل ومشيئته وإرادته.

الشرح : فكل هذا جاءت به النصوص فيجب الإيمان به، قال - تعالى - : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(١) وقال - تعالى - : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾(٢) وعيسى ابن مريم روح الله وكلمته، وروح الله، أي: روح من الأرواح التي خلقها الله، وأضيف إلى الله للتشريف والتكريم، كما أضيفت الناقة إلى الله، والعبد إلى الله، والرسول إلى الله؛ فيقال: عبد الله، ورسول الله، وبيت الله، وروح الله، وهذا إضافة مخلوق إلى الخالق، والإضافة للتشريف والتكريم.

وكلمته؛ أي: مخلوق بكلمة (كن)، كما قال - تعالى - : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(٣) وليس المراد أن عيسى نفس الكلمة، كما يقول النصارى بأن عيسى نفس الكلمة، وعلى هذا يكون جزءًا من الله، وهذا كفر وضلال، فليس عيسى هو الكلمة، بل هو مخلوق بالكلمة.

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٤ .

(٢) سورة النساء آية : ١٢٥ .

(٣) سورة آل عمران آية : ٥٩ .

وأعطاه الله من الخوارق ومن المعجزات أنه يحيي الموتى، ويبرئ الأكمة - وهو الذي لم يشق له عين - والأبرص، ويخلق من الطين طائرًا كهيئة الطير، فينفخ فيه فيخلقه الله طيرًا ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾[1]. أي: يقدر ويصور، كهيئة الطير.

وكل بقدرة الله عز وجل ومشيئته وإرادته، فكل هذا يجب الإيمان به؛ لثبوته في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

❁ ❁ ❁

(١) سورة المائدة آية : ١١٠ .

بعض الصفات الخبرية
خلق الله آدم بيده

قال المؤلف - رحمه الله - : (بعض الصفات الخبرية) والإيمان بأن الله عز وجل خلق آدم بيده، وغرس جنة الفردوس بيده، وكتب التوراة بيده.

الشرح : وكل هذا يجب الإيمان به؛ لأنه ثابت، فالله - تعالى - خلق آدم بيده، وقال تعالى لإبليس: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [(١)]، وغرس جنة الفردوس بيده، كما ذكر في الحديث: «**إن الله غرس جنة عدن بيده**» [(٢)]. وخط التوراة بيده لموسى، وكله يجب الإيمان به؛ لثبوته في النصوص.

---

(١) سورة ص آية : ٧٥ .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الصوم (١٨٩٤، ١٩٠٤)، وكتاب تفسير القرآن (٤٦٧٤، ٤٨٧٨، ٤٨٨٠)، وكتاب التعبير (٧٠٤٧)، وكتاب التوحيد (٧٤٤٤)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٨٠)، وكتاب الطهارة (٢٤٨)، وكتاب الصيام (١١٥١)، وسنن الترمذي: كتاب صفة الجنة (٢٥٢٧)، وسنن النسائي: كتاب الصيام (٢٢١٦، ٢٢١٧، ٢٢٣٤)، وسنن أبي داود: كتاب الطهارة (٢٠، ١٠٨، ١١١، ١٣٧، ٢٣٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٣٢١، ٣٢٢)، وكتاب الصلاة (٦٦٧، ٨٣٢، ٨٣٦، ٩٢٦، ٩٦٨، ٩٨٩، ٩٩٨، ١١٤٠، ١٢٧٣، ١٣٦٧، ١٤٠٠، ١٤٦١، ١٥٢٢)، وكتاب الزكاة (١٥٨٠، ١٦٤١)، وكتاب المناسك (١٧٥٢، ١٧٦٤، ١٧٩٦، ١٩٠٥)، وكتاب الصوم (٢٣٣٧، ٢٣٣٨، ٢٣٦٣)، وكتاب الجهاد (٢٥٠٧، ٢٦٨١، ٢٦٨٧، ٢٧١١، ٢٧٣٦، ٢٧٥٧، ٢٧٦٥)، وكتاب الضحايا (٢٧٩٣، ٢٨١٠)، وكتاب الخراج والإمارة والفيء (٢٩٩٩، ٣٠٧٣)، وكتاب الجنائز (٣١١٢)، وكتاب =

إثبات صفة النفس لله عز وجل

قال المؤلف - رحمه الله - : ومما روي: «ابن آدم، اذكرني في نفسك، أذكرك في نفسي، واذكرني في ملأ، أذكرك في ملأ خير من الملأ الذي تذكر فيه»

الشرح : وهذا ثابت في الصحيحين، بلفظ: «من ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي؛ ومن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه»[(١)].

ويحتمل أن قوله «ابن آدم اذكرني» لفظ آخر؛ فلا أعرف أن أول الأثر: «ابن آدم، اذكرني في نفسك، أذكرك في نفسي».

وفيه إثبات النفس لله عز وجل، ومنها قول الله عز وجل: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾[(٢)].

= الأيمان والنذور (٣٢٦٤، ٣٢٨١، ٣٣٠٢)، وكتاب البيوع (٣٣٧٧)، وكتاب الأقضية (٣٥٩٥)، وكتاب العلم (٣٦٤٦، ٣٦٦٦)، وكتاب الأشربة (٣٦٩٢)، وكتاب الأطعمة (٣٧٦٦، ٣٧٩٤)، وكتاب الطب (٣٨٨٣، ٣٩٠٢)، وكتاب اللباس (٤١٥٧)، وكتاب الملاحم (٤٢٩٤، ٤٣١١، ٤٣٢٥، ٤٣٢٩، ٤٣٤٠)، وكتاب الحدود (٤٤٢٨، ٤٤٤٠، ٤٤٤٢، ٤٤٤٥، ٤٤٧٧)، وكتاب الديات (٤٥٣٧)، وكتاب السنة (٤٦٤١، ٤٦٥٨، ٤٧٠١، ٤٧٣٠، ٤٧٣٢)، وكتاب الأدب (٤٧٩٤، ٤٨٤٦، ٤٨٩٨، ٤٩٠١، ٥٠٦٥، ٥١٩٣، ٥٢١٧، ٥٢٦٠)؛ وسنن ابن ماجه: كتاب المقدمة (١٨٦)، وكتاب الزهد (٤٣٠٢)؛ ومسند أحمد (٢/ ٢٧٣، ٣/ ٤٦٧، ٤/ ٤١٦)؛ وموطأ مالك: كتاب الطهارة (٩٧).

(١) البخاري: التوحيد (٧٤٠٥)؛ ومسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٥)؛ والترمذي: الدعوات (٣٦٠٣)، وابن ماجه: الأدب (٣٨٢٢)، وأحمد (٢/ ٣٥٤).

(٢) سورة آل عمران آية : ٢٨ .

قرب الله من العبد

قال المؤلف - رحمه الله - : ومما روي: «من تقرب إلي شبرًا، تقربت إليه ذراعًا؛ ومن تقرب إلي ذراعًا، تقربت إليه باعًا؛ ومن جاءني يمشي، أتيته هرولة»[١].

الشرح : كل هذه الصفات تثبت لله عز وجل، ومن ثمرات هذه الصفات أن الله عز وجل أقرب وأسرع بالخير من العبد، وأن الله لا يقطع الثواب عن العبد، حتى يقطع العبد العمل؛ أما ما ذكره النووي - رحمه الله - وغيره أن معنى هذا الحديث: أن الله لا يقطع الثواب عن العبد، حتى يقطع العبد العمل، ومثله قوله: «إن الله لا يمل حتى تملوا»[٢].

فهذا أثر من آثار الصفات، وهذه الصفة يجب إثباتها؛ فإذا تقرب العبد إلى الله، تقرب الله إليه، وكل هذا مما يليق بجلال الله وعظمته، وأن الله أسرع بالخير من العبد.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: التوحيد (٧٤٠٥)؛ ومسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٧٥)؛ والترمذي: الدعوات (٣٦٠٣)؛ وابن ماجه: الأدب (٣٨٢٢)؛ وأحمد (٢/ ٢٥١) .

(٢) البخاري: الصوم (١٩٧٠)؛ ومسلم: الصيام (٧٨٢)، والنسائي: القبلة (٧٦٢)؛ وابن ماجه: الزهد (٤٢٣٨)؛ وأحمد (٦/ ٢٤٩) .

إثبات صفة العجب لله تعالى

قال المؤلف - رحمه الله - : و«عجب ربك من شاب ليس له صبوة»

الشرح: إثبات صفة العجب لله عز وجل كما يليق بجلاله وعظمته، والشاب الذي ليس له صبوة هو الذي ليس له ميل إلى الهوى والشهوات، بل هو شاب مستقيم على طاعة الله، وورد أيضًا إثبات صفة العجب لله في سورة الصافات: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [(١)] ففي قراءة: (بل عَجِبْتُ وَيَسْخَرُون) - بضم التاء - فيكون الضمير عائدًا إلى الله، وفي هذا الحديث: «عجب ربك من شاب ليس له صبوة». وفي لفظ: «عجب ربك من قنوط عباده، وقرب غيره» [(٢)].



(١) سورة الصافات آية: ١٢ .

(٢) ابن ماجه: المقدمة (١٨١)، وأحمد (٤/ ١١) .

إثبات الضحك لله عز وجل

قال المؤلف - رحمه الله - : وقوله: «ضحك ربك من قنوط عباده وقرب غيره»[١].

الشرح : ضحك: فيه إثبات الضحك لله عز وجل؛ فالضحك ثابت لله - سبحانه وتعالى - ومنه حديث: «يضحك الله إلى رجلين، يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخلان الجنة»[٢].

وقوله: «لن نعدم من رب يضحك خيرًا»[٣].

وهذا في حديث وفد بني المنتفق.

❁ ❁ ❁

---

(١) ابن ماجه: المقدمة (١٨١)؛ وأحمد (٤/ ١١) .

(٢) البخاري: الجهاد والسير (٢٨٢٦)؛ ومسلم: الإمارة (١٨٩٠)؛ والنسائي: الجهاد (٣١٦٦)؛ وابن ماجه: المقدمة (١٩١)؛ وأحمد (٢/ ٣١٨)؛ ومالك: الجهاد (١٠٠٠) .

(٣) ابن ماجه: المقدمة (١٨١)؛ وأحمد (٤/ ١١) .

الله سبحانه هو مقلب ومصرف الدهر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقوله: «لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر»[١].

الشرح : الدهر: هو الليل والنهار والزمان، وقوله: «فإن الله هو الدهر»[٢] يعني: مُقَلِّبُ الدهر، ومُصَرِّف الدهر، ويدل على ذلك الرواية الأخرى: «لا تسبوا الدهر، فإني أنا الدهر، أقلب ليله ونهاره»[٣].

وقد غَلِطَ ابن حزم - رحمه الله - فعدَّ الدهر من أسماء الله تعالى.

والمؤلف - رحمه الله - حين ساقه، كان يوهم الناس أنه من أسماء الله، فليس من أسماء الله الدهر، ولكن المعنى أن الله مصرف الدهر.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم: الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦)؛ وأبو داود: الأدب (٥٢٧٤)؛ وأحمد (٢/ ٣٩٥)؛ ومالك: الجامع (١٨٤٦) .

(٢) مسلم: الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦)؛ وأحمد (٢/ ٣٩٥)؛ ومالك: الجامع (١٨٤٦) .

(٣) البخاري: تفسير القرآن (٤٨٢٦)؛ ومسلم: الألفاظ من الأدب وغيرها (٢٢٤٦)؛ وأبو داود: الأدب (٥٢٧٤)؛ وأحمد (٢/ ٢٧٥)؛ ومالك: الجامع (١٨٤٦) .

بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام

قال المؤلف - رحمه الله - : «وأن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، سمك كل سماء كذلك، وبين كل سماءٍ كذلك»[١].

الشرح : رواه ابن خزيمة في (التوحيد)، من حديث العباس بن عبد المطلب أن بين السماء والأرض خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام، وسمك كل سماء - وفي لفظ و(كثف) - وسمك يعني غلظ.



(١) الترمذي: صفة الجنة (٢٥٤٠)؛ وأحمد (٣/ ٧٥) .

أحاديث الصفات لا تكيف

قال المؤلف - رحمه الله - : فكل هذه الأحاديث وما شاكلها، تمر كما جاءت لا تعارض، ولا تضرب لها الأمثال، ولا يواضع فيها القول، فقد رواها العلماء، وتلقاها الأكابر منهم بالقبول، وتركوا المسألة عن تفسيرها، ورأوا أن العلم بها ترك الكلام في معانيها.

الشرح : تمر هذه الأحاديث وما شاكلها كما جاءت، فلا تكيف؛ ولهذا قال بعض السلف: أمروها كما جاءت بلا كيف.

فلا تكيف الصفات، ولا يقال: صفة الله كذا وكذا، أو كيفيتها كذا وكذا، ولكن المعاني معلومة، كما قال الإمام مالك: «الاستواء معلوم، والكيف معلوم، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة» ؛ فلا يعلم كيفية صفاته إلا هو - سبحانه - كما أنه لا يعلم كيف ذاته إلا هو.

ولا تعارض: لا يجوز للإنسان أن يعارض الصفات، أو أن ينفي صفات الله عز وجل.

ولا تضرب لها الأمثال، فلا يقال: إن صفة الله مثل صفات المخلوقين، ولا يواضع فيها القول؛ أي: لا يقال فيها قولًا يخالف ما درج عليه أهل السنة والجماعة من إثبات الصفات، بل تثبت الصفات والمعاني ولا تكيف، والمواضعة تطلق على النقص.

فقد رواها العلماء، وتلقاها الأكابر منهم بالقبول؛ فرووها بالأسانيد الصحيحة الثابتة عن الصحابة وعن النبي ﷺ وتركوا المسألة عن تفسيرها - أي: تفسير الكيفية - ورأوا أن العلم بها ترك الكلام في معانيها؛ أي: معاني الكيفية .

حفظ القرآن

قال المؤلف - رحمه الله - : (حفظ القرآن) ثم الإيمان بأن القرآن محفوظ في صدور الرجال، ومن استظهر القرآن، سمي حامل كتاب الله عز وجل، وقال رسول الله ﷺ: «الذي ليس في جوفه شيء من القرآن، كالبيت الخرب»[(١)]. وقال ﷺ: «لا تغرنكم المصاحف المعلقة، فإن الله عز وجل لا يعذب قلبًا وعى القرآن بفم»[(٢)].

الشرح : الإيمان بأن القرآن محفوظ في صدور الرجال، فكما سبق القول بأن كلام الله منزل غير مخلوق، مقروء بالألسن، مكتوب في المصاحف، محفوظ في صدور الرجال، كما قال عز وجل: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[(٣)].

ومن استظهر القرآن، سمي حامل كتاب الله، أي: استظهره حفظًا، والمعنى أن من حفظ كتاب الله، سمي حامل كتاب الله عز وجل، وقال رسول الله ﷺ: **«الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»**[(٤)].

---

(١) الترمذي: فضائل القرآن (٢٩١٣)؛ وأحمد (١/ ٢٢٣)؛ والدارمي: فضائل القرآن (٣٣٠٦) .

(٢) الدارمي: فضائل القرآن (٣٣١٩) .

(٣) سورة العنكبوت آية : ٤٩ .

(٤) الترمذي: فضائل القرآن (٢٩١٣)؛ وأحمد (١/ ٢٢٣)؛ والدارمي: فضائل القرآن (٣٣٠٦) .

وهذا الحديث رواه الترمذي بسند لا بأس به، وفيه أن الإنسان الذي لا يحفظ شيئًا من القرآن، كالبيت الخرب، فلا بد أن يحفظ ولو الفاتحة، التي لا تصح الصلاة إلا بها.

وقال ﷺ: «لا تغرنكم المصاحف المعلقة، فإن الله عز وجل لا يعذب قلبًا وعى القرآن بفم»[1] . يقول المحقق: رواه البخاري في خلق أفعال العباد، بلفظ: «اقرءوا القرآن، ولا تغرنكم المصاحف المعلقة، فإن الله عز وجل لا يعذب قلبًا وعى القرآن»[2]. وليس فيه (بفم).

وهذا الحديث محمول على من عمل بالقرآن؛ فمن وعى القرآن وعمل به، فلا يعذبه الله، أما إذا حفظ القرآن، ولم يعمل به، فقد قامت عليه الحجة - والعياذ بالله - .



(١) الدارمي: فضائل القرآن (٣٣١٩) .

(٢) الدارمي: فضائل القرآن (٣٣١٩) .

بين موسى وملك الموت

قال المؤلف - رحمه الله - : (بين موسى وملك الموت عليهما السلام) والإقرار بحديث موسى - عليه السلام - مع ملك الموت، وأنه لطمه، ولا يرد الحديث المروي فيه ولا ينكره إلا مبتدع ضعيف الرأي، هكذا قالت العلماء فيمن رده، وتوقف عنه.

الشرح : الحديث - في قصة موسى مع ملك الموت - ثابت في الصحيح: «أرسل ملك الموت - في صورة رجل - إلى موسى (عليه السلام) فلما جاءه - وما كان يعرفه - صكه؛ فرجع إلى ربه وقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه، وقال: ارجع، وقل له: يضع يده على متن ثور - على ظهر ثور - فله بكل ما غطت به يده من شعرة سنة، فقال: أي رب ثم ماذا؟ قال: الموت، فقال: الآن»[١]. فجعل الله في قلبه اختيار الموت، حتى يوافق ما قدره الله وقضاه.

وسأل ربه أن يدنيه من الطور، قدر رمية حجر، فقال النبي ﷺ: «فلو كنت هناك لأريتكم ثم قبره، عند الكثيب الأحمر»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: الجنائز (١٣٣٩)؛ ومسلم: الفضائل (٢٣٧٢)؛ والنسائي: الجنائز (٢٠٨٩)؛ وأحمد (٢/ ٢٦٩) .

(٢) البخاري: الجنائز (١٣٣٩)؛ ومسلم: الفضائل (٢٣٧٢)؛ والنسائي: الجنائز (٢٠٨٩)؛ وأحمد (٢/ ٣١٥) .

النبي والقرين

قال المؤلف - رحمه الله - : (النبي والقرين) وقال ﷺ: «ما أحد إلا وكل به قرينه من الجن». قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[1].

الشرح : وهذا الحديث ثابت في صحيح مسلم عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: **«ما منكم من أحد، إلا وقد وكل به قرينه من الجن»**. قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: **«وأنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»**[2].

اختلف العلماء في قوله **«فأسلم»**، قيل: فأسْلَمَ - بالفتح - أي: اعتنق الإسلام، وقيل: فأسْلَمُ - بالرفع - أي: فأسْلَمُ من شره وإن كان كافرًا باقيًا على كفره، ومن رجح رواية الرفع؛ قال: إن الشيطان لا يسلم، ومن رجح رواية الفتح؛ قال: إن هذا خاص فإن قرين الرسول ﷺ أسلم؛ فهذا الحديث ثابت.

۞ ۞ ۞

---

(١) مسلم: صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٤)؛ وأحمد (١/ ٣٨٥).

(٢) مسلم: صفة القيامة والجنة والنار (٢٨١٤)؛ وأحمد (١/ ٣٨٥).

ابتداء خلق النبي

قال المؤلف - رحمه الله - : (ابتداء خلق النبي ﷺ وأنوار ولادته) وأن نبينا أول الأنبياء خلقًا وآخرهم بعثًا.

الشرح : هذا الحديث غير موجود في الكتب التسعة وشروحها - الكتب الستة ومسند أحمد ومسند الدارمي وموطأ مالك - وذكر في الحاشية أنه روي عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رواه الحسن بسند منقطع، فلا يثبت هذا الحديث.

فقول المؤلف: وأن نبينا أول الأنبياء خلقًا وآخرهم بعثًا؛ فإن هذا ليس عليه دليل، بل هو - عليه الصلاة والسلام - آخرهم خلقًا وبعثًا.

وأما حديث «**كتبت نبيًا وآدم منجدل في طينته**»[1]. والمعنى: أن هذا كتابة المقادير، وليس فيه أن خلقه - عليه الصلاة والسلام - أولًا، وفي رواية: «**كتبت نبيًا وآدم بين الروح والجسد**»[2]. المراد - أيضًا - المقادير، فإن الله يكتب ما يكون للمخلوق، قبل نفخ الروح فيه.

❁ ❁ ❁

---

(١) ابن ماجه: الطب (٣٥٤٦) .

(٢) الترمذي: المناقب (٣٦٠٩) .

أنوار ولادته ﷺ

قال المؤلف - رحمه الله - : «وأن أمه حين وضعته رأت نورًا، أضاءت له قصور الشام»[١].

الشرح : وهذا ثابت في حديث العرباض بن سارية أن النبي ﷺ قال:

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الأطعمة (٥٣٨٣)، وكتاب الأدب (٦٠٥٠)، وكتاب الأحكام (٧٢١٩)، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٠٢)، وكتاب الجنائز (٩٧٤)، وكتاب الحج (١١٨٩، ١٣٣٣)، وكتاب المساقاة (٧١٥)، وكتاب اللباس والزينة (٢١١٩)، وكتاب البر والصلة والآداب (٢٥٥٠)، وكتاب التوبة (٢٧٦٩)، وكتاب الزهد والرقائق (٢٩٧٥)، وسنن الترمذي: كتاب الطهارة (١٢٨)، وسنن النسائي: كتاب الطهارة (٧٩، ١٩٧، ١٩٨، ٢١٤، ٢٥١، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٧٤)، وكتاب المياه (٣٤١، ٣٤٧)، وكتاب الحيض والاستحاضة (٣٨١، ٣٨٥، ٣٩٢)، وكتاب الغسل والتيمم (٤١٥، ٤٢٧)، وكتاب الصلاة (٤٩٣)، وكتاب المواقيت (٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥١١، ٥١٣، ٥١٩، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٧، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٦٠، ٥٦٥، ٥٨١، ٦١٦)، وكتاب الأذان (٦٢٦، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٦، ٦٤٢، ٦٧٩، ٦٨٠)، وكتاب المساجد (٦٩٣، ٧٠٥، ٧٠٩، ٧٣١)، وكتاب القبلة (٧٤٥، ٧٤٩)، وكتاب الإمامة (٧٨٤، ٨١٤، ٨٢٥، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٧٥)، وكتاب الافتتاح (٨٧٦، ٨٧٧، ٨٨٠، ٨٨١، ٩١٩، ٩٨٦، ٩٩٣، ١٠٢٣)، وكتاب التطبيق (١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٤، ١٠٧٨، ١٠٨١، ١١٢١، ١١٤٥، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٦)، وكتاب السهو (١١٨١، ١٣٢٧، ١٣٥٦)، وكتاب الجمعة (١٣٩٢، ١٣٩٣)، وكتاب الكسوف (١٤٧٢، ١٤٨٤، ١٤٨٩، ١٤٩٣، ١٥٠١)، وكتاب الاستسقاء (١٥١١)، وكتاب صلاة الخوف (١٥٤٧)، وكتاب قيام الليل وتطوع النهار (١٦١١)، وسنن أبي داود: كتاب الصلاة (١٣٥٣) .

«وسأخبركم عن ذلكم دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ابن مريم ورؤيا أمي التي رأت، أنها أضاء لها قصور الشام حين ولادتها»(١).

❁ ❁ ❁

(١) صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن (٤٧١٢)،؛ وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٢٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٢، ١٩٤)، وكتاب الطهارة (٢٧٢)، وكتاب الصلاة (٤١٨)، وكتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٧٨)، وكتاب صلاة المسافرين وقصرها (٨٢٠)، وكتاب الجنائز (٩٤٠)، وكتاب الحج (١٢٠٥، ١٣١٥)، وكتاب النكاح (١٤١٩)، وكتاب المساقاة (١٥٩٩)، وكتاب الوصية (١٦٣٥)، وكتاب الأيمان (١٥٠٣)، وكتاب الجهاد والسير (١٧٩٠)، وكتاب السلام (٢١٨٤، ٥٣٧)، وكتاب البر والصلة والآداب (٢٥٥٠)، وكتاب العلم (٢٦٦٩)، وكتاب صفة القيامة والجنة والنار (٢٧٨٩، ٢٧٩٤، ٢٨٢١)، وكتاب الفتن وأشراط الساعة (١٤٤، ٢٨٩٧، ٢٩٠١، ٢٩٤٠)، وكتاب التفسير (٣٠٣٢)، وسنن الترمذي: كتاب الصلاة (١٨٩، ٢٢٨، ٣٩١)، وكتاب الصوم (٧٧٤)، وكتاب الجنائز (١٠٠٢)، وكتاب الرضاع (١١٥١)، وكتاب البر والصلة (١٩١٠)، وكتاب الفتن (٢١٨٣)، وكتاب صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٣٤)، وكتاب تفسير القرآن(٣٠٦٢، ٣١٤٨)، وكتاب الدعوات (٣٤٦٢، ٣٥٠٥)، وكتاب المناقب (٣٦٤٩، ٣٨٠٢)،؛ وسنن النسائي: كتاب آداب القضاة (٥٤٢٧)،؛ وسنن أبي داود: كتاب الطهارة (١٠٨)، وكتاب الصلاة (٥٣٩، ٧٣٠)، وكتاب الطلاق (٢٢٤١)، وكتاب الجنائز (٣١٨٢، ٣٢٠٥)، وكتاب اللباس (٤١١٧)، وسنن ابن ماجه: كتاب الفتن (٤٠٧٧)، ومسند أحمد (١/ ٤، ٤/ ١٢٧، ٤/ ١٢٨)، وموطأ مالك: كتاب الجامع (١٨٤٧)،؛ وسنن الدارمي: كتاب المقدمة (٥٨، ٢٥٥، ٣٧٩)، وكتاب الصلاة (١١٨٧)، وكتاب الصوم (١٧٢٩)، وكتاب المناسك (١٨٩١)، وكتاب النكاح (٢١٧٧، ٢٢٢٦)، وكتاب الرقاق (٢٧٨٤)، وكتاب الفرائض (٢٩٥١، ٢٩٦٩، ٣١٢٨)، وكتاب فضائل القرآن (٣٣٤٠) .

دين النبي قبل البعثة

قال المؤلف - رحمه الله - : (دين النبي قبل البعثة) ومن زعم أنه كان على دين قومه، قبل أن يبعث، فقد أعظم الفرية على رسول الله ﷺ ولا يكلم - من قال بهذا - ولا يجالس.

الشرح : حفظ الله رسوله - عليه الصلاة والسلام -؛ فلم يعبد صنمًا، ولم يشرب خمرًا، ولم يحضر احتفالًا لهم، وإنما كان يتعبد في حراء قبل النبوة، على دين إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بل إن هناك أناسًا في الجاهلية قد اعتزلوا المشركين واعتزلوا أصنامهم، ولم يشاركوهم، وطلبوا دين إبراهيم، ومنهم: زيد بن عمرو بن نفيل، وقس بن ساعدة الإيادي وغيرهما.

فإذا كان هؤلاء على الحنيفية، فإن النبي ﷺ من باب أولى؛ ولهذا قال: ومن زعم أنه كان على دين قومه قبل أن يبعث، فقد أعظم الفرية على الله؛ أي: ومن زعم أن النبي ﷺ كان يعبد الأصنام مع قومه، أو يشرب الخمور. . . ، فقد أعظم الفرية على الله، فإن هذا لم يفعله - عليه الصلاة والسلام - بل اعتزلهم، وبغَّض الله إليه احتفالاتهم وأعيادهم، فلم يحضرها.

ومن قال هذا، يقول المؤلف: يجب أن يهجر، لا يكلم ولا يجالس .

۞ ۞ ۞

من الخصائص المحمدية ولادته مختونًا مسرورًا

قال المؤلف - رحمه الله - : (ومن الخصائص المحمدية ونقول: أن نبينا محمدًا ﷺ ولد مختونًا مسرورًا.

الشرح : ورد هذا في الحديث الذي رواه البيهقي في دلائل النبوة أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: «ولد رسول الله مختونًا مسرورًا» أي: مقطوع السرة، وقد توقف الإمام أحمد في هذا الأمر؛ ففي رواية المروذي: سئل أبو عبد الله: هل ولد النبي ﷺ مختونًا؟، قال: الله أعلم، ثم قال: لا أدري.



من الخصائص المحمدية رؤيته من خلفه

قال المؤلف - رحمه الله - : وكان يرى من خلفه كما يرى من بين يديه.

الشرح : وهذا الأمر ثابت في الصلاة خاصة، قال ﷺ: «إني أراكم من وراء ظهري»[١]. وفي لفظ: «والله لا يخفى عليّ مكانكم»[٢]. فكان يراهم - عليه السلام - من وراء ظهره.

أما في غير الصلاة، فالظاهر أنه ﷺ لا يرى؛ ولهذا لما كان يمشي وكان خلفه أبو ذر في ظل القمر، قال لمن خلفه: «من هذا؟» . قال: أبو ذر[٣]. فلو كان يرى مَن خلفه، لما سأله؛ فدل هذا على أنه ﷺ ما كان يرى خلفه إلا في الصلاة، وهذا من خصائصه. والله أعلم. كيف يرى؟! فقال بعضهم: جعل الله له عينين.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الأذان (٧١٩)؛ ومسلم: الصلاة (٤٢٥)؛ والنسائي: الإمامة (٨١٤)؛ وأبو داود: الصلاة (٦٦٧)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٩٣)؛ وأحمد (٣/ ١٣٠)؛ والدارمي: الصلاة (١٢٦٣) .

(٢) البخاري: الأذان (٧٤١)؛ ومسلم: الصلاة (٤٢٤)؛ وأحمد (٢/ ٣٠٣)؛ ومالك: النداء للصلاة (٤٠١) .

(٣) البخاري: الرقاق (٦٤٤٣)؛ ومسلم: الزكاة (٩٤)؛ وأحمد (٥/ ١٥٢) .

الإسراء والمعراج

قال المؤلف - رحمه الله - : الإسراء والمعراج: وأنه ركب البراق، وأتى بيت المقدس من ليلته، ثم عرج به إلى السماء حتى دنا من ربه ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾(١).

الشرح : يجب الإيمان بالإسراء والمعراج، والإسراء ثابت في القرآن العظيم، قال - سبحانه - : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾(٢)؛ ومن أنكره فقد كفر؛ لأنه مكذب لله.

والمعراج ثابت في الأحاديث الصحيحة، والصواب: أن الإسراء بروحه وجسده، يقظةً لا منامًا، مرة واحدة قبل الهجرة، وقيل: الإسراء منامًا. وقيل: الإسراء بروحه دون جسده. وقيل: الإسراء مرارًا، مرة بروحه، ومرة بجسده، مرة يقظة، ومرة منامًا.

والصواب من كل ذلك أن الإسراء والمعراج في ليلة واحدة، مرة واحدة، يقظة لا منامًا.

ركب ﷺ البراق، وهو الدابة التي فوق الحمار ودون البغل، خطوته مد البصر، سمي بالبراق: من البريق واللمعان.

أسري به - عليه الصلاة والسلام - على البراق بصحبة جبرائيل من مكة

---

(١) سورة النجم آية : ٨ - ٩ .

(٢) سورة الإسراء آية : ١ .

إلى بيت المقدس، وربط البراق بحلقة الباب، وصلى بالأنبياء إمامًا، ثم أتي بالمعراج، وهو كهيئة السلم فعرج به - عليه الصلاة والسلام - وجاوز السبع الطباق، وفرض الله عليه الصلاة خمسين صلاة، حتى دنا من ربه فتدلى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[1] أي: من ربه.

وهذا جاء في وصف جبريل ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[2] وجاء في حديث شريك بن أبي نمر، وله أوهام.

قال العلماء: وهذا من أغلاط شريك بن أبي نمر، والدنو والتدلي ليس دنو الرب وتدليه، وإنما هو دنو جبريل.

وقال آخرون: إن الدنو والتدلي ثابت للرب في حادثة الإسراء، وأنه غير الدنو والتدلي الذي ذكر في سورة (النجم) ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾[3] أي: جبريل ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾[4].

* * *

(١) سورة النجم آية : ٩ .
(٢) سورة النجم آية : ٨ - ٩ .
(٣) سورة النجم آية : ٨ .
(٤) سورة النجم آية : ٩ - ١٠ .

إثبات اليدين لله عز وجل

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن الله عز وجل وضع يده بين كتفيه، فوجد بردها بين ثدييه، فعلم عِلْمَ الأولين والآخرين.

الشرح : وهذا ثابت في حديث: «رأيت ربي في أحسن صورة»[1] وقال: «وأن الله وضع يده بين كتفيّ فوجدتُ برد أنامله»[2]. فينبغي للمسلم أن يثبت هذا. وإثبات اليدين والأنامل والأصابع لله عز وجل ثابت في النصوص.



---

(١) الترمذي: تفسير القرآن (٣٢٣٣) .

(٢) الترمذي: تفسير القرآن (٣٢٣٥)؛ وأحمد (٥/ ٢٤٣) .

تفسير المقام المحمود

قال المؤلف - رحمه الله - : وأنه يأتي يوم القيامة وهو أشرف الأنبياء ﷺ مقامًا، وأعلاهم مكانًا، وأقربهم من الله عز وجل وأحبهم إليه، فَيَشْفَعُ فَيُشَفَّعُ، ويسأل فيُعْطَى، ويجلس مع ربه على العرش، وليس هذا لأحد غيره.

الشرح : فكل هذا ثابت، أنه ﷺ يأتي يوم القيامة فيشفع، وهو أشرف الأنبياء وأفضلهم على الإطلاق مقامًا، وأعلاهم مكانًا، وأقربهم من الله عز وجل وأجلهم إليه فيَشفع فيُشَفِّعُه الله الشفاعة العظمى لأهل الجنة، ويأذن لهم في دخولها، ولعمه أبي طالب وللعصاة، يشفعه الله فيهم، ويسأل الله فيعطَى.

ويجلس مع ربه على العرش، وليس هذا لأحد غيره: ورد هذا في أحاديث فيها كلام لأهل العلم، جاء في مسند الإمام أحمد وغيره: أن المقام المحمود هو أن يقعده ربه معه على العرش[1]، ومن العلماء من قال: إن

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الغسل (٢٧٩)، وكتاب الصلاة (٤٠٢، ٤٠٥، ٤١٣، ٤١٧)، وكتاب مواقيت الصلاة (٥٣١، ٥٣٢)، وكتاب الأذان (٦٦٠، ٦٩٨، ٨٠٦)، وكتاب الجمعة (١٢١٤)، وكتاب الجنائز (١٣٣٩)، وكتاب الصوم (١٩٠٤)، وكتاب البيوع (٢١٩٩)، وكتاب الحوالات (٢٢٩٨)، وكتاب المزارعة (٢٣٤٨)، وكتاب الخصومات (٢٤١١، ٢٤١٢)، وكتاب العتق (٢٥٤٦، ٢٥٤٩، ٢٥٥٠، ٢٥٥١)، وكتاب الشروط (٢٧٣٤)، وكتاب بدء الخلق (٣١٩٤، ٣١٩٩، ٣٢٣٣، ٣٢٣٤)، وكتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٤٠، ٣٣٩١، ٣٣٩٨، ٣٤٠٧، ٣٤٠٨، ٣٤٤٦)، وكتاب المناقب (٣٨٠٣، ٣٨١٧، ٣٩٠٠، ٣٩٠٦)، وكتاب المغازي=

إقعاده على العرش لم يثبت، إنما جاء في آثار عن مجاهد وفي الصحيح عنه، وهو يروي عن ابن عباس وجاء في هذا أحاديث مرفوعة، لكن بعض أهل العلم لم يصحح الأحاديث المرفوعة في إقعاده على العرش.

وذكر شيخ الإسلام ابن القيم أن هذا يثبته أهل السنة ولا يردُّ هذا إلا الجهمية، وعلى هذا فإن هذا إذا ثبت فيكون المقام المحمود شيئين: الشفاعة، وإقعاده على العرش، ويكون هذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام.

كذا روى نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾(١) قال: يقعده معه على العرش، وهكذا فسره مجاهد فيما رواه محمد بن فضيل عن الليث عنه.

ومن العلماء مَن ضعَّف حديث ابن عمر، ويرى شيخ الإسلام وابن القيم أنه ثابت، وأن هذا معتقد أهل السنة والجماعة .

❁ ❁ ❁

= (٤٣١٢)، وكتاب تفسير القرآن (٤٤٧٦، ٤٤٨٣، ٤٦٣٨، ٤٦٨٥، ٤٧١٢، ٤٨٠٢، ٤٨٠٣، ٤٨٢٢، ٤٨٥٥، ٤٨٥٨، ٤٩١٦)، وكتاب النكاح (٥٠٨٣)، وكتاب الأشربة (٥٥٨٠)، وكتاب الطب (٥٧٤٥، ٥٧٤٦)، وكتاب الأدب (٦٠٠٤، ٦٠٦٩، ٦٠٧٠)، وكتاب الدعوات (٦٣٤٥، ٦٣٤٦، ٦٣٩١، ٦٤٠٧)، وكتاب الرقاق (٦٤٩١، ٦٤٩٤، ٦٥١٣، ٦٥١٧)، وكتاب الديات (٦٩١٧)، وكتاب التعبير (٧٠٤٤)، وكتاب التوحيد (٧٣٨٠، ٧٤٠٤، ٧٤٢٦، ٧٤٢٨، ٧٤٣١، ٧٤٣٣، ٧٤٣٨، ٧٤٤٠، ٧٤٤٣، ٧٤٧٢، ٧٤٨٤، ٧٤٩٢، ٧٤٩٣، ٧٥٠٧، ٧٥١١، ٧٥١٢، ٧٥١٤، ٧٥١٧، ٧٥١٩، ٧٥٣٦، ٧٥٣٧، ٧٥٣٩، ٧٥٥٣، ٧٥٥٤)، وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (١٢٥، ١٣١، ١٥٩، ١٦١، ١٧٤، ١٧٧، ١٨٢، ١٨٩)،؛ وسنن الترمذي: كتاب الطهارة (١٣٧) .

(١) سورة الإسراء آية : ٧٩ .

فضائل الصحابة

التفاضل بين الخلفاء الأربعة

قال المؤلف - رحمه الله - : (فضائل الصحابة) ثم الإيمان والمعرفة بأن خير الخلق وأفضلهم وأعظمهم منزلة عند الله - عز وجل - بعد النبيين والمرسلين وأحقهم بخلافة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق عبد الله بن عثمان وهو عتيق بن أبي قحافة رضي الله تعالى عنه .

وتَعلم أنه يوم مات رسول الله ﷺ لم يكن على وجه الأرض أحد بالوصف الذي قدمنا ذكره غيره رحمه الله .

ثم من بعده على هذا الترتيب والصفة أبو حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الفاروق.

ثم من بعدهما على هذا الترتيب والنعت عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو أبو عبد الله أبو عمر، ذو النورين.

ثم على هذا النعت والصفة من بعدهم أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو الأنزع البطين، صهر النبي ﷺ وابن عم خاتم النبيين - صلوات الله وسلامه عليه، ورحمة الله وبركاته عليهم أجمعين - فبحبهم وبمعرفة فضلهم قام الدين، وتمت السنة، وعُدِّلت الحجة.

الشرح : يجب على المؤمن أن يعتقد أن الصحابة أفضل الناس بعد النبيين والمرسلين، وأعظمهم منزلة. وأحقهم بخلافة النبي ﷺ أبو بكر؛ ولهذا اختاره الصحابة، واستدلوا على أحقية أبي بكر بالخلافة بالنصوص التي جاءت في فضائله، وقد ثبتت خلافته بالاختيار والانتخاب. وقيل: ثبتت بالنص

الخفي أو النص الجلي على قول لأهل العلم، والأرجح: أنها ثبتت بالاختيار والانتخاب، وأن هذه الفضائل استدل بها الصحابة على أحقيته بالخلافة.

فلا بد إذن من الإيمان والمعرفة بأن خير الخلق وأفضلهم وأعظمهم منزلة بعد النبيين والمرسلين وأحقهم بالخلافة أبو بكر الصديق، واسمه عبد الله بن عثمان، وكان اسمه أولًا عتيق بن أبي قحافة، ولا بد أن تعلم أنه أفضل الناس بعد وفاة رسول الله ﷺ.

وتعلم أنه يوم مات رسول الله ﷺ لم يكن على وجه الأرض أحد بالوصف الذي قدمنا ذكره غيره رحمه الله تعالى .

ثم من بعده على هذا الترتيب والصفة أبو حفص عمر بن الخطاب، وهو الفاروق، فرّق الله به بين الحق والباطل.

ثم من بعدهما على هذا الترتيب والنعت عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو أبو عبد الله وهو أبو عمر وذو النورين؛ لأن النبي ﷺ زوجه ابنتيه: رقية وأم كلثوم، بعد وفاة إحداهما زوجه الثانية.

ثم على هذا النعت والصفة من بعدهم أبو الحسن علي بن أبي طالب، و(أبو الحسن) كنيته؛ لأن الحسن أكبر أولاده.

وترتيبهم في الخلافة كترتيبهم في الفضل: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، فهذا ترتيبهم في الخلافة وفي الفضل.

وعليٌّ الأنزع البطين: الأنزع هو الذي انحسر الشعر عن جانب جبهته، والبطين: عظيم البطن، صِهْر رسول الله ﷺ لأن النبي ﷺ زوَّجه ابنته فاطمة، وابن عم خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليهم ورحمته وبركاته عليهم أجمعين .

فبحبهم وبمعرفة فضلهم قام الدين، فالدين قام بحب النبي ﷺ وحُب الصحابة؛ فمن أحب الصحابة، فهو يحب النبي ﷺ ومن أبغضهم فقد أبغض النبي ﷺ.

فكيف يحب الإنسان شخصًا ولا يحب أصحابه؟! فبحبهم ومعرفة فضلهم قام الدين، وتمت السنة، وعدلت الحجة.

محبة الصحابة سبب لدخول الجنة

قال المؤلف - رحمه الله - : قال سفيان الثوري - رحمه الله - : لا تشتم السلف وادخل الجنة بسلام.

الشرح : من عمل بشرع الله وأَحَبَّ الرسول ﷺ والصحابة يدخل الجنة بسلام.



الشهادة للعشرة المبشرين بالجنة

قال المؤلف - رحمه الله - : ويشهد للعشرة بالجنة بلا شكٍ ولا استثناء، وهم أصحاب حراء النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح فهؤلاء لا يتقدمهم أحد في الفضل وفي الخير، ويُشهد لكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة.

الشرح : من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يشهدون بالجنة للعشرة المبشرين بلا شك ولا استثناء، وهم أصحاب حراء؛ أي: الذين كانوا على جبل حراء وتحرك الجبل بهم، وهم: النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير؛ فقال ﷺ: «اثْبُتْ، فإنما عليك نبي وصديق وشهيد»[1].

فالنبي ﷺ وأبو بكر هو الصديق، والباقون شهداء: عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير.

وجاءت الشهادة للعشرة بالجنة في الحديث : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح؛ فكل هؤلاء العشرة يشهد لهم بالجنة.

ويُشْهد كذلك لكل من شهدت له النصوص، مثل بلال وابن عمر وثابت ابن قيس بن شماس وعكاشة بن محصن وعبد الله بن سلام وغيرهم ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة.

---

(١) البخاري: المناقب (٣٦٧٥)؛ والترمذي: المناقب (٣٦٩٧)؛ وأبو داود: السنة (٤٦٥١)؛ وأحمد (٣/ ١١٢) .

حمزة سيد الشهداء في الجنة

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن حمزة سيد الشهداء.

الشرح : ويشهد لحمزة بالجنة. كما جاء في الحديث: «حمزة سيّد الشهداء»



جعفر الطيار في الجنة

قال المؤلف - رحمه الله - : وجعفر الطيار في الجنة.

الشرح : وجعفر الطيار شهد له النبي ﷺ.

۞ ۞ ۞

الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة

قال المؤلف - رحمه الله - : والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

الشرح : والحسن والحسين مشهود لهما بالجنة، وهذا لفظ الحديث: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»[١] .



---

(١) الترمذي: المناقب (٣٧٦٨) .

الشهادة للمهاجرين والأنصار بالجنة

قال المؤلف - رحمه الله - : ويشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنة والرضوان والتوبة والرحمة من الله.

الشرح : يشهد لهم - بالعموم - بالجنة؛ لأن الله - تعالى - قال: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[1].

فالصحابة مشهود لهم بالجنة على العموم، قال - تعالى - : ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2] والحسنى: هي الجنة، فالذين أنفقوا قبل الفتح والذين أنفقوا بعد الفتح، بعد صُلح الحديبية وقبلها، وكلهم موعودون بالجنة.

---

(١) سورة التوبة آية : ١٠٠ .

(٢) سورة الحديد آية : ١٠ .

من شاهد النبي وآمن به أفضل ممن لم يشاهده

قال المؤلف - رحمه الله - : ويستقر علمك، وتوقن بقلبك أن رجلًا رأى النبي ﷺ وشاهده وآمن به، واتبعه ولو ساعة من نهار، أفضل ممن لم يره ولم يشاهده، ولو أتى بأعمال أهل الجنة أجمعين.

الشرح : الصحابي أفضل من غيره، والصواب في تعريف الصحابي هو: من رأى النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على الإسلام ولو لحظة.

والأحسن أن يقال: هو من (لقي) النبي ﷺ، لا يقال من (رأى)؛ حتى يشمل العميان كعبد الله بن أم مكتوم؛ فهو لقي النبي ﷺ ولم يره، وهو صحابي. فيقال بأن الصحابي هو مَن لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك، أي: على الإسلام.

يقول: لا بد أن يستقر علمك، وتوقن بقلبك أن الذي رأى النبي ﷺ ولو لحظة وشاهده، وآمن به ولو ساعة أفضل ممن بعده - أفضل من التابعين - ولو أتى بأعمال أهل الجنة أجمعين؛ أي أن مَزِيَّة الصحبة لا ينالها مَن بعدهم إلى يوم القيامة، لكن قد يحصل للبعض غير الصحابة مزايا أخرى، كمن يتعب في العبادة، ونشر العلم وغيرها.

❁ ❁ ❁

الترحم على جميع أصحاب الرسول

قال المؤلف - رحمه الله - : ثم الترحم على جميع أصحاب رسول الله ﷺ صغيرهم وكبيرهم، وأولهم وآخرهم، وذكر محاسنهم، ونشر فضائلهم، والاقتداء بهديهم، والاقتفاء بآثارهم، وأن الحق فيما قالوه، والصواب فيما فعلوه.

الشرح : يجب الترحم على جميع أصحاب النبي ﷺ صغيرهم وكبيرهم، وأولهم وآخرهم، وذكر محاسنهم ونشر فضائلهم، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، والاقتداء بهديهم، والاقتفاء بآثارهم.

وقوله: أن الحق فيما قالوه، والصواب فيما فعلوه - أي: على العموم - إذا أجمعوا عليه لا يخرج الصواب عنهم؛ أما الواحد منهم، فغير معصوم، بل قد يخطئ، ومن الأدلة على ذلك قوله - تعالى - : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [1] أثنى على المتأخرين في دعائهم لمن سبقوهم.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الحشر آية : ١٠ .

حكم مرتكبي الذنوب

قال المؤلف - رحمه الله - : (حكم مرتكب الذنوب) وقد أجمعت العلماء لا خلاف بينهم أنه لا يُكَفَّر أحد من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بمعصية، نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

ولا نقول بذلك بقول المعتزلة فإنها تقول: من أتى ذنبًا واحدًا في عمره أو ظلم بحبة في عمره فقد كفر، فمن قال ذلك فقد أعظم الفرية على الله عز وجل وبرَّأه مما وصف به نفسه من الرأفة والرحمة، والتجاوز والإحسان، والغفران وقبول التوبة.

وقد زعم أن الأنبياء من لَدُن آدم كانوا كفارًا، قال الله عز وجل ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[(١)] وقد وصف ذنوب الأنبياء - صلى الله عليهم أجمعين - في كثير من آيات القرآن، وأخوة يوسف قد ظلموا أخاهم وعقوا أباهم، وعصوا مولاهم.

وهم على ذلك أخيار أبرار من أهل الجنة، وقد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[(٢)] وقال الله عز وجل: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[(٣)].

الشرح : هذا معتقد أهل السنة والجماعة في حكم مرتكب الذنوب.

---

(١) سورة طه آية : ١٢١ .
(٢) سورة الفتح آية : ٢ .
(٣) سورة التوبة آية : ٤٣ .

أجمع العلماء من غير خلاف أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة، والمراد بأهل القبلة كل من استقبل القبلة في الصلاة والذبح، والتزم بأحكام الإسلام، ولم يفعل شركًا ولا ناقضًا من نواقض الإسلام، يقال له من أهل القبلة، وهذا نحكم عليه بالإسلام، ولا نخرجهم من الإسلام بذنب ولا بمعصية؛ خلافًا لأهل البدع، وإنما يضعف إيمانه وينقص، ولا يكفر ولا يخرج عن الإسلام بمعصية، بل نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء؛ فنرجو للمحسن الخير، ونخاف على المسيء العقوبة ولا نخرجه.

ولا نجزم لمحسن أنه من أهل الجنة، إلا من شهدت له النصوص، ولا نجزم على المسيء أنه من أهل النار، إلا بدليل، ولا نقول بقول المعتزلة فإنهم يقولون: مَن أتى ذنبًا واحدًا في عمره، أو ظلم بحبة في عمره، فقد كفر. وهذا في الحقيقة قول الخوارج.

والخوارج يقولون: من فعل الكبيرة كفر، وخرج من الإيمان ودخل في الكفر؛ أما المعتزلة، فيقولون: إذا فعل الكبيرة خرج من الإسلام ولم يدخل في الكفر، وصار في منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن ولا كافر، فعبارة المؤلف ليست دقيقة، وبعضهم يخص هذا بالكبيرة؛ أما إذا فعل صغيرة، فلا.

من أتى ذنبًا واحدًا في عمره، أو ظلم حبة في عمره أي: سرق حبة يكون كافرًا. هذا على قول بعضهم: إذا فعل الصغيرة، وبعضهم يقول: لا يكفر إلا بالكبيرة، وهذا عند الخوارج؛ أما المعتزلة، فيقولون: خرج من الإيمان، ولم يدخل في الكفر، ثم يتفق المعتزلة والخوارج على أنه مُخلَّد في النار في الآخرة.

يقول المؤلف: مَن قال بهذا - أي: الذي يقول بأن مَن فعل الكبيرة كفر - فقد أعظم الفرية على الله عز وجل، وبرَّأ الله مما وصف به نفسه من الرأفة والرحمة، والتجاوز والإحسان، ويلزمه - أيضًا - أن الأنبياء في كثير من آيات القرآن - آدم فمن دونه - كانوا كفارًا؛ لأن الأنبياء لهم ذنوب؛ قال الله عز

وجل عن آدم: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ (١) وقد وصف عز وجل ذنوب الأنبياء في كثير من آيات القرآن، كإخوة يوسف الذين ظلموا أخاهم، وعقوا أباهم، وعصوا مولاهم، لكنهم تابوا بعد ذلك فهم أخيار أبرار من أهل الجنة.

فيلزم - إذن - على مذهب المعتزلة والخوارج تكفيرهم - وهذا باطل - وقد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ (٢) فأثبت له ذنبًا، لكنه مغفور، وقال الله عز وجل: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ (٣).

❁ ❁ ❁

(١) سورة طه آية : ١٢١ .

(٢) سورة الفتح آية : ٢ .

(٣) سورة التوبة آية : ٤٣ .

النهي عن الخوض في أحداث الفتنة الكبرى

قال المؤلف - رحمه الله - : (النهي عن الخوض في أحداث الفتنة الكبرى) ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم، وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه، وهو يعلم ما سيكون منهم، وأنهم سيقتتلون، وإنما فضلوا على سائر الخلق؛ لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم.

الشرح : وهذا معتقد أهل السنة والجماعة في الكف عما شجر بين الصحابة من الخلافات والنزاعات التي صدرت بينهم، فيجب الكف عنها؛ لأنهم شهدوا المشاهد مع النبي ﷺ وسبقوا الناس بالفضل، ولهم من السوابق والجهاد مع النبي ﷺ والفضائل، ونشر دين الإسلام ما يغطي ما صدر منهم من الهفوات.

وأنت مأمور بالاستغفار لهم، فلا يجوز لك أن تنشر مساوئهم، ويجب عليك أن تتقرب إلى الله بمحبتهم، وهذا فرض فرضه الله على لسان نبيه ﷺ وهو يعلم ما سيكون منهم، وأنهم سيقتتلون.

فالله يعلم ما سيحصل بينهم، قال - سبحانه - : ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[1] وإنما فضلوا على سائر الخلق؛ لأن الخطأ والعمد قد وُضع عنهم، وكل ما شجر منهم مغفور لهم؛ لأنهم ما بين مجتهد مصيب له أجران، وما بين مجتهد مخطئ له أجر، وخطأه مغفور.

---

(١) سورة محمد آية : ١٩ .

قال المؤلف - رحمه الله - : ولا تنظر في كتاب صفين والجمل، ووقعة الدار، وسائر المنازعات التي جرت بينهم، ولا تكتبه لنفسك ولا لغيرك، ولا ترويه عن أحد ولا تقرأه على غيرك، ولا تسمعه ممن يرويه.

فعلى ذلك اتفق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه، ومنهم: حماد بن زيد ويونس بن عبيد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وعبد الله بن إدريس ومالك بن أنس وابن أبي ذئب وابن المنكدر وابن المبارك وشعيب بن حرب وأبو إسحاق الفزاري ويوسف بن أسباط وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وعبد الوهاب الوراق؛ فكل هؤلاء قد رأوا النهي عنها، والنظر فيها، والاستماع إليها، وحذروا من طلبها والاهتمام بجمعها، وقد روي عنهم فيمن فعل ذلك أقوال كثيرة بألفاظ مختلفة متفقة المعاني على كراهية ذلك، والإنكار على من رواها، واستمع إليها.

الشرح : ولا ينظر في كتاب صفين والجمل: صفين: حرب ضروس بين أهل الشام وأهل العراق - بين معاوية وعلي - وكذلك الجمل: لما جاءت أم المؤمنين عائشة مع طلحة والزبير وأثار الخوارج فتنة تحت الجمل، وقتل خلق كثير.

يقول المؤلف: ولا تنشر وقعة الدار؛ أي: مقتل عثمان رضي الله عنه؛ فقد أحاطوا بداره وقتلوه، وكل هذه الأشياء لا تنظر فيها ولا تنشرها بين الناس، وسائر المنازعات والخلافات التي دارت بين الصحابة لا تكتبها لنفسك، ولا لغيرك ولا ترويها عن أحد، ولا تقرأها على غيرك، ولا تستمع ممن يرويها.

فعلى هذا اتفق سادة علماء الأمة من النهي عما وصفناه، وسرد المؤلف مجموعة من العلماء كلهم رأوا النهي عنها والاستماع إليها، وحذروا من طلبها والاهتمام بجمعها.

وقد روي عنهم فيمن فعل ذلك أشياء كثيرة حذروا منها بألفاظ مختلفة متفقة المعاني على كراهية ذلك، والإنكار على من رواها واستمع لها.

وعلى هذا فيكون أشرطة طارق السويدان وغيره كلها من هذا الباب، يجب إتلافها وتكسيرها وعدم الاستماع إليها؛ لأنها مما حذر منه العلماء.

وعلى هذا فلا يجوز أن تسجل أشرطة فيما جرى بين الصحابة من الخلاف والنزاع، بل يجب هجر هذه الأشرطة وإعدامها والتسجيل عليها حتى تزول كأشرطة «طارق السويدان» وغيره ممن يكتب النزاع والخلاف بين الصحابة، فكلها ضلال وكلها تخالف معتقد أهل السنة والجماعة، ويجب الحذر منها، وعدم الاستماع إليها، والتحذير منها.



فضل أم المؤمنين عائشة

قال المؤلف - رحمه الله - : (فضل أم المؤمنين عائشة) ثم بعد ذلك يشهد لعائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنها - أنها الصديقة المُبَرَّأة من السماء وعلى لسان جبريل - عليه السلام - إخبارًا عن الله عز وجل مَتْلُوًا في كتابه، مثبتًا في صدور الأمة ومصاحفها إلى يوم القيامة.

وأنها زوجة رسول الله ﷺ مبرأة طاهرة خيرة فاضلة، وأنها زوجته وصاحبته في الجنة، وهي أم المؤمنين في الدنيا والآخرة.

فمن شك في ذلك أو طعن فيه أو توقف عنه، فقد كذَّب بكتاب الله، وشك فيما جاء به النبي ﷺ وزعم أنه من عند غير الله عز وجل قال الله :عز وجل ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (1)؛ فمن أنكر هذا؛ فقد برئ من الإيمان.

الشرح : أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، يُشهد لها بأنها الصديقة المبرأة من السماء.

برَّأها الله من فوق سبع سماوات، وأنزل فيها قرآنًا يُتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (2).

---

(1) سورة النور آية : ١٧ .

(2) سورة النور آية : ١١ .

ثمانية عشر آية أنزلها الله عز وجل في كتابه العظيم، متلوة في الكتاب مثبتة في صدور الأمة، وأنها مُبَرَّأة طاهرة خيِّرة فاضلة، وهي زوجته ﷺ في الدنيا والآخرة؛ فمن شك في ذلك أو طعن فيه أو توقف فيه، فقد كذب بكتاب الله عز وجل.

ومن كذب بكتاب الله، فقد كفر، وبهذا قال العلماء: فمن رمى عائشة - رضي الله عنها - بما برَّأها الله منه فهو كافر بالله - عز وجل - لأنه مكذب لله العظيم وشاك فيما جاء به رسول الله ﷺ وزعم أنه من عند غير الله.

قال الله عز وجل: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1] فمن أنكر هذا، فقد كفر وبرئ من الإيمان؛ لأنه مكذب بالله عز وجل.

❁ ❁ ❁

(١) سورة النور آية : ١٧ .

حب الصحابة

قال المؤلف - رحمه الله - : (حب الصحابة) ويحب جميع أصحاب الرسول ﷺ على مراتبهم ومنازلهم، أولًا فأولًا، من أهل بدر ثم الحديبية وبيعة الرضوان وأحد، وهؤلاء هم أهل الفضائل الشريفة والمنازل المنيفة الذين سبقت لهم السوابق رحمهم الله أجمعين.

الشرح : يجب على كل مسلم حب الصحابة، وأن ينزلهم منازلهم التي أنزلهم الله بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعصب، فالأفضل أهل بدر؛ قال النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: «وما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»[(١)].

وأهل الحديبية وبيعة الرضوان، قال الله عز وجل: ﴿لَقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[(٢)] وثبت في صحيح مسلم: «لا يلج النار أحد بايع تحت الشجرة»[(٣)]، وكذلك أُحد .

فهؤلاء هم أهل الفضائل الشريفة، والمنازل المنيفة العالية الذين سبقت لهم السوابق رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين .

---

(١) البخاري: الجهاد والسير (٣٠٠٧)؛ ومسلم: فضائل الصحابة (٢٤٩٤)؛ والترمذي: تفسير القرآن (٣٣٠٥)؛ وأبو داود: الجهاد (٢٦٥٠)؛ وأحمد (١/ ٧٩) .

(٢) سورة الفتح آية : ١٨ .

(٣) الترمذي: المناقب (٣٨٦٠) .

فضائل معاوية بن أبي سفيان

قال المؤلف - رحمه الله - : (وتترحم على أبي عبد الرحمن) معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أخي أم حبيبة - رضي الله عنها - زوجة رسول الله ﷺ خال المؤمنين أجمعين، وكاتب الوحي.

وتَذكر فضائله، وتروي ما فيه عن رسول الله ﷺ فقد قال ابن عمر: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: «يدخل عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة» فدخل معاوية - رحمه الله ورضي عنه -، فتعلم أن هذا موضعه ومنزلته.

الشرح : معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه من الصحابة الذين أسلموا يوم الفتح؛ فيجب الترحم عليه والترضي عنه كغيره من الصحابة؛ ولهذا قال: نترحم على أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان أخي أم حبيبة زوج رسول الله ﷺ وهو خال المؤمنين، وهو كاتب الوحي، وتذكر فضائله، وتروي ما روي فيه عن رسول الله ﷺ وخلافًا للرافضة الذين يسبونه ويشتمونه.

أما هذا الحديث: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: «يدخل عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة» . فدخل معاوية؛ فلا أعلم أن هذا الحديث ثابت، أو أن أحدًا من أهل العلم ذكر أن معاوية مشهود له بالجنة، لكنه من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ولو ثبت لكان معاوية مشهودًا له بالجنة.

أما هذا الحديث، فلا أعلم صحته، والمحقق ترك تخريجه كأنه لم يجد له تخريجًا.

الحب في الله والبغض في الله

قال المؤلف - رحمه الله - : (الحب في الله والبغض في الله) ثم تحب في الله من أطاعه، وإن كان بعيدًا منك، وخالف مرادك في الدنيا، وتبغض في الله من عصاه، ووالى أعداءه، وإن كان قريبًا منك ووافق هواك في دنياك، وتصل على ذلك وتقطع عليه، ولا تُحدث رأيًا، ولا تصغ إلى قائله؛ فإن الرأي يخطئ ويصيب.

الشرح : الحب في الله والبغض في الله أصل من أصول الإيمان، وهو أوثق عُرى الإيمان.

ومعنى أن تحب في الله وتبغض في الله، أي: تحب ما يحب الله من شخص، أو من فعل، أو من حكم، وتبغض ما يبغضه الله من شخص، أو فعل، أو حكم.

فتحب الشخص لا لأنه قريب لك، ولا لأن بينك وبينه معاملة دنيوية ولا شراكة، وإنما تحبه في كونه مستقيمًا على طاعة الله عز وجل ولو كان بعيدًا أعجميًا؛ ولو كنت في المشرق وهو في المغرب، وتبغض العاصي ولو كان قريبًا، ولو كان أخاك لأبيك وأمك، تبغضه بغضًا دنيويًا إن كنت تعامله، والمعاملة شيء آخر.

وهذا معتقد أهل السنة والجماعة في الحب في الله؛ ولهذا قال: أن تحب في الله من أطاعه ولو كان بعيدًا منك، وخالف مرادك في الدنيا، وتبغض في الله من عصاه ووالى أعداءه، وإن كان قريبًا منك ووافق هواك في دنياك، وتصل على ذلك وتقطع عليه، ولا تحدث رأيًا ولا تصغ إلى قائله، فإن الرأي يخطئ ويصيب.

النهي عن المِراء ومجالسة أصحاب البدع

قال المؤلف - رحمه الله - : (النهي عن المِراء ومجالسة أصحاب البدع) ولا تجالس أصحاب الخصومات؛ فإنهم يخوضون في آيات الله، وإياك والمراء والجدال في الدين؛ فإن ذلك يحدث الغل ويخرج صاحبه - وإن كان سنيًا - إلى البدعة، فإن أول ما يدخل على السني من النقص في دينه إذا خاصم المبتدع مجالسته للمبتدع ومناظرته إياه.

ثم لا يأمن أن يدخل عليه من دقيق الكلام، وخبث القول ما يفتنه أو لا يفتنه، فيحتاج أن يتكلف له من رأيه مما يرد عليه من قوله مما ليس له أصل في التأويل، ولا بيان في التنزيل، ولا أثر من أخبار الرسول ﷺ ثم من بعد ذلك الكف والقعود في الفتنة ولا تخرج بالسيف على الأئمة وإن ظلموا.

الشرح : من عقيدة أهل السنة والجماعة: عدم مجالسة أصحاب الخصومات، قال - تعالى - : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾[1] لأنهم يخوضون في آيات الله عز وجل.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة - أيضًا - ترك المراء والجدال في الدين؛ فإن المراء والجدال يحدث الغل والحقد في قلب صاحبه، ويخرج

---

(١) سورة الأنعام آية : ٦٨ .

صاحبه - وإن كان من أهل السنة - إلى البدعة؛ لأن أول ما يدخل على السني من النقص في دينه أنه يخاصم المبتدع، ثم يجالسه ثم يناظره، ثم لا يأمن أن يدخل عليه من دقيق الكلام، وخبث القول ما يفتنه أو لايفتنه، فيحتاج أن يتكلف له من رأيه ما يرد عليه قوله مما ليس له أصل في التأويل، ولا بيان في التنزيل، ولا أثر من أخبار الرسول ﷺ.

والمعنى: ينبغي للإنسان أن يبتعد عن الخصام والنزاع ومجالسة أهل البدع، ولا يناظرهم إلا إذا كانت المناظرة يغلب على الظن أنها تعود بالفائدة عليهم وأنهم يرجعون عن بدعتهم، ثم بعد ذلك الكف والقعود في الفتنة.

ولا يخرج بالسيف على الأئمة وإن ظلموا: فلا تقاتلهم ولا تخرج عليهم وإن ظلموا، فاصبر على الظلم والجور؛ لأن الخروج عليهم يترتب عليه مفاسد أكبر كما سبق، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، وهو عدم الخروج على ولاة الأمور بالمعاصي، بل الصبر على جورهم وظلمهم، حتى ييسر الله زوالها؛ ولأن النصيحة مبذولة.



الصبر على ظلم ولي الأمر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن ظلمك فاصبر؛ وإن حرمك فاصبر.

الشرح : هذه المقالة لابن عمر رضي الله عنه، قوله: إن ظلمك - أي ولي الأمر - فاصبر؛ وإن حرمك، فاصبر؛ فلا تخرج عليه إن ظلمك في مال أو غيره، أو أخذ شيئًا من مالك، أو ظلمك بسجن أو ضرب، فاصبر ولا تخرج عليه؛ لأن الخروج يترتب عليه مفاسد أكبر.



عدم الخروج على ولي الأمر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال النبي ﷺ لأبي ذر: «اصبر وإن كان عبدًا حبشيًا»

الشرح : قال أبو ذر: أمرني خليلي ﷺ أن أصبر وأطيع وإن كان عبدًا حبشيًا مجدع الأطراف[1]؛ لأن الخروج على الولي كما سمعتم يترتب عليه مفاسد: من قتل، وإراقة للدماء، واختلال أحوال الناس، وتربص الأعداء بهم الدوائر، وتحصل الفتن التي لا أول لها ولا آخر، بخلاف المعصية، فإن مفسدتها قليلة يُصبر عليها، والظلم يصبر عليه.

❊ ❊ ❊

---

(١) مسلم: الإمارة (١٨٣٧)؛ وابن ماجه: الجهاد (٢٨٦٢)؛ وأحمد (٥/ ١٦١) .

صلاة الجمعة والعيدين تصلّى خلف الأئمة وولي الأمر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقد أجمع العلماء من أهل الفقه والعلم والنساك والعباد والزهاد من أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا: أن صلاة الجمعة والعيدين، ومنى وعرفات والغزو والجهاد والهدي مع كل أمير بر أو فاجر، وإعطائهم الخراج والصدقات والأعشار جائز.

والصلاة في المساجد العظام التي بنوها والمشي على القناطر والجسور التي عقدوها، والبيع والشراء وسائر التجارة والصناعة والزراعة كلها في كل عصر، ومع كل أمير جائز على حكم الكتاب والسنة، لا يضر المحتاط لدينه والمتمسك بسنة نبيه ﷺ ظلم ظالم، ولا جور جائر إذا كان ما يأتيه هو على حكم الكتاب والسنة.

كما أنه لو باع أو اشترى في زمن الإمام العادل بيعًا يخالف الكتاب والسنة لم ينفعه عدل الإمام والمحاكمة إلى قضائهم، ورفع الحدود والقصاص وانتزاع الحقوق من أيدي الظلمة لأمرائهم وشرطهم والسمع والطاعة عمن ولوه وإن كان عبدًا حبشيًا إلا في معصية الله عز وجل فليس لمخلوق فيها طاعة.

الشرح: هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، وقرر أهل العلم والعبادة والزهد من أول الأمة من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا أن الصلاة - صلاة الجمعة والعيدين - تصلّى خلف ولي الأمر، ولو كان فاجرًا. هذا معتقد أهل

السنة والجماعة.

فتصلى الجمعة والعيدين خلف الإمام ولو كان فاسقًا؛ لأن الجمعة - في الغالب - لا تكون إلا واحدة، وتصلى - أيضًا - الجُمع والعيدين خلف إمام المسلمين ولو كان عليه نقص، ويُصلى خلفه في منى في الحج وفي عرفات، وأهل السنة يرون الغزو مع الإمام ولو كان فاجرًا، أو كان فاسقًا، أو كان عاصيًا، فيجاهد المسلم معه وتحت لوائه.

ويعطوا الخراج - ليوضع على الأراضي والأوقاف - والصدقات والأعشار - العشر في الحبوب والثمار - والزكاة إذا طلبوا الزكاة؛ لتبرأ ذمتك.

ويُصلي في المساجد التي بناها ولاة الأمور، ويمشي على القناطر والجسور التي عقدوها، ويرون - أهل السنة والجماعة - البيع والشراء وسائر التجارات والزراعة والصناعة في كل عصر، ومع كل أمير.

كل هذا جائز على حكم الكتاب والسنة، والإنسان الذي يحتاط لدينه لا يضره ظلم الظالم، ولا جور الجائر؛ فإذا كنت متمسكًا بدينك وسنة نبيك، فلا يضرك أن يكون هذا الأمير ظالمًا، أو جائرًا؛ فإذا باع الإنسان أو اشترى في زمن الإمام العادل بيعًا يخالف الكتاب والسنة لم ينفعه عدل الإمام، وكذلك لو باع بيعًا صحيحًا في زمن الإمام الجائر، لم يضره جوره، وبيعه صحيح.

فالسمع والطاعة للأمراء الذين ولاهم ولاة الأمور، ولو كان عبدًا حبشيًا إلا في معصية الله؛ فلا طاعة لأحد في معصية الله؛ لقول النبي ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1].

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: المغازي (٤٣٤٠)؛ ومسلم: الإمارة (١٨٤٠)؛ والنسائي: البيعة (٤٢٠٥)؛ وأبو داود: الجهاد (٢٦٢٥)؛ وأحمد (١/ ٩٤).

النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم

قال المؤلف - رحمه الله - : (النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم) ثم من بعد ذلك اعتقاد الديانة بالنصيحة للأئمة وسائر الأمة في الدين والدنيا، ومحبة الخير لسائر المسلمين، تحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك.

الشرح : هذا معتقد أهل السنة والجماعة: أن المسلم ينصح للمسلمين وينصح لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ لقول النبي ﷺ: **«الدين النصيحة»** - كررها ثلاثًا - قلنا: لمن يارسول الله؟ قال: **«لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»**[1].

فالنصيحة لله: عبادته وإخلاص العبادة له، وأداء حقه - سبحانه وتعالى - .

والنصيحة لكتاب الله: العمل به، وتحكيمه، والإيمان بمحكمه، والإيمان بمتشابهه.

والنصيحة للرسول: محبته واتباع شرعه.

والنصيحة لأئمة المسلمين: محبة الخير لهم، وعدم الخروج عليهم، والدعاء لهم، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر والشر.

والنصيحة لسائر المسلمين: تحب لهم ما تحبه لنفسك، وتكره لهم ما

---

(١) مسلم: الإيمان (٥٥)؛ والنسائي: البيعة (٤١٩٧)؛ وأبو داود: الأدب (٤٩٤٤)؛ وأحمد (٤/ ١٠٢) .

تكرهه لنفسك؛ لقول النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١]. فلا بد أن تحب لأخيك ما تحبه لنفسك، سواء في أمور الدين أو في أمور الدنيا؛ وإذا كنت تحب لنفسك أن يوفقك الله لطلب العلم، أو يوفقك الله لزوجة صالحة، أو لمال حلال، فعليك أن تحب ذلك لأخيك؛ فإن لم تحب لأخيك ما تحبه لنفسك، فاعلم أن إيمانك يكون ناقصًا، ولا بد من الإيمان الكامل، فالواجب أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الإيمان (١٣)؛ ومسلم: الإيمان (٤٥)؛ والترمذي: صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٥)؛ والنسائي: الإيمان وشرائعه (٥٠١٧)؛ وابن ماجه: المقدمة (٦٦)؛ وأحمد (٣/ ١٧٦)؛ والدارمي: الرقاق (٢٧٤٠) .

النهي عن مخالطة المبتدعين

قال المؤلف - رحمه الله - : (النهي عن مخالطة المبتدعين) ولا تشاور أحدًا من أهل البدع في دينك، ولا ترافقه في سفرك، وإن أمكن ألا تقاربه في جوارك، ومن السنة مجانبة كل من اعتقد شيئًا مما ذكرناه، وهجرانه والمقت له، وهجران من والاه ونصره وتبعه وصاحبه، وإن كان الفاعل لذلك يظهر السُّنة.

الشرح : هذا في النهي عن مخالفة المبتدعة، وسبق أن ساق المؤلف - رحمه الله تعالى - النصوص والأدلة والآثار في ذلك .

والمعنى: لا تشاور أحدًا من أهل البدع في دينك، وإنما شاور أهل السنة، ولا ترافقه في سفرك، فلا يكن معك في السفر؛ وإن أمكنك أن لا تقاربه في جوارك، فافعل، فلا يكن جارك من المبتدعة.

ومن السنة مجانبة كل من اعتقد شيئًا مما ذكرناه وهجرانه، والمقت له؛ أي: بغضه، تجانب أهل البدع وتهجرهم وتمقتهم، تبغضهم في الله، وتهجر من والاهم ونصرهم ودافع عنهم، ولو كان من أهل السنة.

فمن ناصر أهل البدع ووالاهم، وذب عنهم وصاحبهم ولو كان من أهل السنة، فإنه يُهجر؛ لأنه بفعله هذا صار مبتدعًا، لكونه يوالي أهل البدع صار منهم.

❁ ❁ ❁

القسم الثالث
مسائل من السنة في العبادات والعادات

❁ ❁ ❁



القسم الثالث: مسائل من السنة في العبادات والمعاملات

استعرض المؤلف - رحمه الله - عدة مسائل فقهية وأدلتها من النصوص والأحاديث، تقرب من مائة وخمسين مسألة، لكنها مسائل قصيرة، ولو أردنا أن نتوسع فيها لطال بنا المقام، ولم ننه هذه المسائل، لكن نحاول - إن شاء الله - ألا نطيل.

المسألة الأولى التي ذكرها المؤلف - رحمه الله - : رفع اليدين في الصلاة

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة: رفع اليدين في الصلاة عند افتتاحها، وإذا ركع، وإذا رفع رأسه من الركوع، وهو زيادة في الحسنات، وقال النبي ﷺ: «يعطى بكل إشارة حسنة» .

الشرح : قوله: من السنة: المراد به سنة الرسول - عليه الصلاة والسلام - وتشمل الواجب والمستحب، وليس المراد من السنة هو السنة الاصطلاحية عند المتأخرين؛ فالسنة عند المتأخرين من الفقهاء هي: النوافل التي يثاب فاعلها، ولا يعاقب تاركها.

لكن السنة إذا أطلقت في عرف المتقدمين، يراد بها سنة الرسول - عليه الصلاة والسلام - قوله وفعله وتقريره، فتشمل الواجبات والمستحبات والمندوبات.

يقول: ومن السنة رفع اليدين في الصلاة، عند افتتاحها، وإذا ركع، وإذا رفع رأسه من الركوع، وهو زيادة في الحسنات: وهذه من السنن المستحبة؛ أي: من النوافل، وهذا الحديث ثابت في الصحيحين وفي غيرهما.

ذكر المؤلف رفع اليدين هنا في ثلاثة مواضع: عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع منه.

وهناك موضع رابع - أيضًا - ثابت في الأحاديث الصحيحة، وهو عند القيام من التشهد الأول؛ فتكون المواضع التي تُرفَع فيها اليدان أربعة مواضع:

الموضع الأول: عند افتتاح الصلاة، عند تكبيرة الإحرام.

والموضع الثاني: عند الركوع.

والموضع الثالث: عند الرفع من الركوع.

والموضع الرابع: عند القيام من التشهد الأول في الثلاثية والرباعية.

وهذا الرفع مستحب؛ لو تركه الإنسان فلا حرج. والسنة أن يبدأ الرفع مع التكبير، وينهيه مع التكبير؛ فهكذا وَرَدَ، وجاء في صفة رفع اليدين في الأحاديث، رفعهما حتى يحاذي منكبيه، وجاء في بعض الأحاديث رفعهما حتى يحاذي فروع أذنيه.

واختلف العلماء في الجمع بينهما، فقال بعض العلماء: إن هذا من اختلاف التنوع، فمرة يرفع يديه حتى يحاذي منكبيه، ومرة يرفع يديه حتى يحاذي فروع أذنيه، وقال آخرون من أهل العلم: يجمع بينهما بأن أطراف الأصابع تحاذي فروع الأذنين، والكف يحاذي المنكبين، والأمر في هذا واسع، وهو مستحب.

أما رفع اليدين عند السجود وعند الرفع منه، فقد جاء في سنن أبي داود وغيره، لكنه حديث ضعيف لا يثبت، فلا يشترط رفع اليدين فيهما.

وإنما الثابت في هذه المواضع الأربعة: عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع منه.

❀ ❀ ❀

قال المؤلف: وهو زيادة في الحسنات. أي: أنه مستحب، فإن فعله المسلم أثابه الله؛ وإن تركه فلا حرج عليه، وقال النبي ﷺ: «يعطى بكل إشارة حسنة» ذكر المحقق أنه رواه الطبراني من حديث عقبة، وأن الهيثمي حسَّن إسناده.



المسح على الخفين

قال المؤلف - رحمه الله - : (ومن السنة) المسح على الخفين لمن أحدث، وكان لبس خفيه وهو كامل الطهارة، إن كان مسافرًا ثلاثة أيام ولياليها، وإن كان مقيمًا يومًا وليلة، هكذا سن رسول الله ﷺ وفعله هو وأصحابه، وعلى ذلك مضت سنة الأولين المسلمين وأخذ به علماء الدين، لا ينكر ذلك ولا يرده إلا مبتدع من الناس، مخالف لرسول الله ﷺ راغب عن سنته راد لقوله.

الشرح : هذه السنة - المسح على الخفين - ثابتة في الأحاديث الصحيحة، وهي من الأحاديث المتواترة، وسبق أن ذكرنا أن الأحاديث المتواترة قليلة، تقارب أربعة عشر حديثًا، أو خمسة عشر حديثًا.

منها حديث المسح على الخفين، ومنها حديث الحوض، ومنها حديث الشفاعة، ومنها -حديث: «من بنى لله مسجدًا، بنى الله له بيتًا في الجنة»[1].

ومنها حديث: «من كذب عليّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار»[2].

وأحاديث المسح على الخفين متواترة، وقد أجمع عليها أهل السنة والجماعة؛ للمسافر ثلاثة أيام ولياليها، كما في حديث علي قال: «للمسافر

---

(١) البخاري: الصلاة (٤٥٠)؛ ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٣)؛ والترمذي: الصلاة (٣١٨)؛ وابن ماجه: المساجد والجماعات (٧٣٦)؛ وأحمد (١/ ٦١)؛ والدارمي: الصلاة (١٣٩٢) .

(٢) البخاري: أحاديث الأنبياء (٣٤٦١)؛ والترمذي: العلم (٢٦٦٩)؛ وأحمد (٢/ ١٥٩)؛ والدارمي: المقدمة (٥٤٢) .

ثلاثة أيام ولياليها، وللمقيم يوم وليلة»[1]. إذا لبس الخف على طهارة؛ لما ثبت في حديث المغيرة بن شعبة الصحيح، لما توضأ النبي ﷺ وغسل وجهه وكفيه فقال: فأهويت لأنزع خفيه فقال: «دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين» فمسح عليهما[2].

وهذه السنة المتواترة أنكرها الرافضة فأنكروا المسح على الخفين، وقالوا: لا يجوز المسح على الخفين، ولا يجوز غسل الرجل في الوضوء، بل إذا كانت الرجلان مكشوفتين، فإن المتوضئ يمسح ظاهر قدميه مسحًا، وهو إمرار اليد على العضو مبلولة بالماء، وإن كان عليه خفان وجب خلع الخفين، ومسح ظهور القدمين.

وهذه من مخالفات الرافضة لأهل السنة والجماعة؛ ولهذا فإن العلماء يثبتون هذه المسألة في كتب العقائد، ويقولون: «ونرى - أي: نعتقد - المسح على الخفين»؛ أي: خلافًا للروافض. - فهي وإن كانت مسألة فرعية - تذكر في كتب التوحيد وفي كتب أصول الدين؛ للرد على الرافضة الذين أنكروا هذه السنة المتواترة.

والمسح على الخفين - كما سبق - ثابت، والذين نقلوا كيفية غسل الوضوء - الغسل في وضوء النبي ﷺ مسحًا للخفين، وغسلًا للرجلين المكشوفتين - أكثر من الذين نقلوا لفظ الآية، وهي آية المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾[3] فما كان الصحابة كلهم يحفظون الآية، ولكن كان كل واحد منهم يتوضأ؛ إما

---

(١) مسلم: الطهارة (٢٧٦)؛ والنسائي: الطهارة (١٢٩)؛ وابن ماجه: الطهارة وسننها (٥٥٢)؛ وأحمد (١/ ١٢٠)؛ والدارمي: الطهارة (٧١٤).

(٢) البخاري: الوضوء (٢٠٦)؛ ومسلم: الطهارة (٢٧٤)؛ وأحمد (٤/ ٢٤٥).

(٣) سورة المائدة آية: ٦.

شاهد وضوء النبي ﷺ أو نقله عمن شاهده، فصار نقل كيفية الوضوء أكثر تواترًا من نقل لفظ الآية.

فالذي ينكر هذه السنة منكر لأمر متواتر والذي ينكر الأمر المتواتر إذا قامت عليه الحجة يكفر. نسأل الله السلامة والعافية!!

ولهذا قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة المسح على الخفين لمن أحدث، ولا يُمسح على الخفين إلا في الحدث الأصغر؛ أما الجنابة، فلا بد من خلع الخفين.

وكان لبس خفيه وهو كامل الطهارة، وقال: هكذا سن رسول الله ﷺ وفعله هو وأصحابه، وعلى ذلك مضت سنة الأولين من المسلمين وأخذ به علماء الدين، لا ينكر ذلك ولا يرده إلا مبتدع من الناس - وهم الرافضة - مخالف لرسول الله ﷺ راغب عن سنته راد لقوله.



تعجيل الإفطار وتأخير السحور

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة تعجيل الإفطار، وتأخير السحور. . .

الشرح : من السنن المستحبة للصائم تعجيل الإفطار وتأخير السحور؛ لقول الله عز وجل في الحديث القدسي: «أحب عبادي إلي أعجلهم فطرًا»[١]. ولقول النبي - عليه الصلاة والسلام - : «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر»[٢] .

فمن السنة للصائم تعجيل الفطر بشرط أن يتحقق الغروب، وتأخير السحور بشرط ألا يخشى طلوع الفجر؛ فيبادر بالفطر بعد التحقق من الغروب، ويؤخر السحور ما لم يخش طلوع الفجر.

❁ ❁ ❁

---

(١) الترمذي: الصوم (٧٠٠)؛ وأحمد (٢/ ٣٢٩) .

(٢) البخاري: الصوم (١٩٥٧)؛ ومسلم: الصيام (١٠٩٨)؛ والترمذي: الصوم (٦٩٩)؛ وابن ماجه: الصيام (١٦٩٧)، وأحمد (٥/ ٣٣١)؛ ومالك: الصيام (٦٣٨)؛ والدارمي: الصوم (١٦٩٩) .

التبكير بصلاة المغرب إذا غاب حاجب الشمس

قال المؤلف - رحمه الله - : والمبادرة بصلاة المغرب إذا غاب حاجب الشمس، قبل ظهور النجوم؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما عجلت الإفطار وأخرت السحور»(١). وقال ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما لم يؤخروا صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم»(٢).

الشرح: من السنة المبادرة بصلاة المغرب، والتبكير بصلاة المغرب إذا غاب حاجب الشمس قبل ظهور النجوم؛ لحديث سلمة بن الأكوع: كان النبي ﷺ يصلي المغرب إذا غربت الشمس وتوارت بالحجاب(٣)، ولما ثبت أيضًا عن الصحابة أنهم قالوا: كنا ننصرف من صلاة المغرب وأحدنا يبصر موقع نبله(٤)؛ أي: إذا رمى نبله يرى مكانه، والمعنى: أنه يبكر في صلاة المغرب.

والرافضة يخالفون هذه السنة، فإنهم يؤخرون صلاة المغرب إلى اشتباك النجوم، فلا يفطرون ولا يصلون المغرب إلا إذا اشتبكت النجوم، والواجب

---

(١) أحمد (٥/ ١٤٧).

(٢) أبو داود: الصلاة (٤١٨)؛ وأحمد (٤/ ١٤٧).

(٣) البخاري: مواقيت الصلاة (٥٦١)؛ ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٦)؛ والترمذي: الصلاة (١٦٤)؛ وأبو داود: الصلاة (٤١٧)؛ وابن ماجه: الصلاة (٦٨٨)؛ وأحمد (٤/ ٥١)؛ والدارمي: الصلاة (١٢٠٩).

(٤) البخاري: مواقيت الصلاة (٥٥٩)؛ ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٧)؛ وابن ماجه: الصلاة (٦٨٧)؛ وأحمد (٤/ ١٤١).

مخالفتهم؛ قال النبي ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر»[1]. أي: بعد تحقق الغروب.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: الصوم (١٩٥٧)؛ ومسلم: الصيام (١٠٩٨)؛ والترمذي: الصوم (٦٩٩)؛ وابن ماجه: الصيام (١٦٩٧)؛ وأحمد (٥/ ٣٣١)؛ ومالك: الصيام (٦٣٨)؛ والدارمي: الصوم (١٦٩٩).

المبادرة بأداء صلاة المغرب

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال سليمان بن داود الأودي: كنت أصلي مع علي بن أبي طالب المغرب، وأنا لا أدري أغربت الشمس أم لا؟

الشرح : أي: أنهم يبادرون بأداء صلاة المغرب، لكن هذا الأثر محمول على أنه من الممكن أن يكون الشك عند سليمان بن داود، فلا يدري غربت الشمس أم لا؟ لكن علي وغيره لا يصلون إلا بعد التحقق من غروب الشمس.



طلاق السنة وطلاق البدعة

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة لمن أراد طلاق زوجته: ألا يطلقها إلا تطليقة واحدة إذا طهرت من الحيض، ولم يصبها في ذلك الطهر، ثم يتركها حتى تنقضي عدتها. فإن طلقها ثلاثًا في لفظ واحد أو في طُهر واحد أصابها فيه، أو وهي حائض، فقد طلقها طلاق البدعة. وهي حرام عليه، لا تحل له أبدًا حتى تنكح زوجًا غيره، فيموت عنها أو يطلقها، وقد أصابها ودخل بها.

الشرح : السنة أن يطلق زوجته - إذا أراد أن يطلق - طلقة واحدة؛ فإذا طلقها طلقتين أو ثلاث طلقات في لفظ واحد، فهذا بدعة.

ولا بد أن يكون الطلاق وهي طاهرة؛ فإن كانت حائضًا فهو بدعة، ولا بد أن يكون في طهر لم يمسها فيه؛ فإن طلقها في طهر جامعها فيه، فهو بدعة. فيكون طلاق البدعة على أحوال: أولًا: أن يطلقها بالثلاث. ثانيًا: أن يطلقها في الحيض. ثالثًا: أن يطلقها في طهر جامعها فيه.

والسنة: أن يطلقها طلقة واحدة لا يطلقها ثلاثًا، ولا بد أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه، أو يطلقها وهي حامل وقد تبين حملها.

فإذا طلقها ثلاثًا، حرمت عليه ولا تحل له إلا إذا تزوجها زوج آخر، ثم بعد ذلك يطلقها الزوج الآخر أو يموت عنها، وقد دخل بها وجامعها، فإن تزوجها الزوج الآخر ولم يجامعها - أي: طلقها قبل الدخول - فلا تحل للأول؛ لقول النبي ﷺ في حديث امرأة رفاعة لما جاءت إليه، وقد تزوجت

بزوج آخر، وتريد أن ترجع إلى الأول قال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة ؟ لا، حتى تذوقي عُسَيلته ويذوق عُسيلتك»[1]؛ أي: الجماع.

وإن تزوجها الزوج الآخر بنية التحليل - يحللها للأول - فهذا هو التيس المستعار - (لعن الله التيس المستعار) - ولا تحل للأول.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: الشهادات (٢٦٣٩)؛ ومسلم: النكاح (١٤٣٣)؛ والترمذي: النكاح (١١١٨)؛ والنسائي: النكاح (٣٢٨٣)؛ وابن ماجه: النكاح (١٩٣٢)؛ وأحمد (٦/ ٣٤)؛ والدارمي: الطلاق (٢٢٦٧) .

التكبير في صلاة الجنازة

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة التكبير على الجنائز أربع تكبيرات؛ فإن كبر إمامك أكثر، فمن السنة أيضًا أن تتبعه بعد أن ترى أنت أنها أربع، فقد قال ابن مسعود: كبر ما كبر إمامك.

الشرح : السنة في التكبير على الجنائز أربع تكبيرات: التكبيرة الأولى يقرأ الفاتحة، والتكبيرة الثانية يصلي على النبي ﷺ، والثالثة الدعاء للميت، والرابعة يسكت قليلًا ثم يسلم، هذا هو السنة.

وجاء في بعض الأحاديث في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كبر خمسًا، وجاء في بعضها أنها ستٌّ، وبعضها سبع. لكن ذكر النووي وغيره أن هذا منسوخ، وأن الشريعة استقرت على الاقتصار على أربع تكبيرات، وهذا هو الذي عليه الجمهور.

والمسألة ليس فيها إجماع، لكن هذا هو مذهب الجمهور وهو الأقرب، الاقتصار على أربع تكبيرات. جاء عن بعض الصحابة أنه كبر خمس تكبيرات، وست تكبيرات، وسبعًا، لكن الأرجح أنه يقتصر على أربع، وأن هذا هو الذي استقرت عليه الشريعة.

وليس في هذه المسألة إجماع، لكن النووي - رحمه الله - متساهل في نقل الإجماع، ومقصوده بالإجماع: قول الجمهور أو قول الأكثر.

فالنووي وابن المنذر وابن عبد البر كل هؤلاء يتساهلون في الإجماع يقولون: أجمع العلماء، ويريدون قول الأكثر، أو قول الجمهور.

والسنة الاقتصار في التكبير في الجنائز على أربع تكبيرات، وهذا ما عليه الجمهور.

يقول المؤلف: فإن كبر إمامك أكثر فمن السنة أن تتبعه - لا تخالف - بعد أن ترى أنت أنها أربع، فقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: كبر ما كبر إمامك؛ فلا تخالف الإمام، كما أن الإمام إذا قنت في صلاة الفجر تابِعْه، وأَمِّن على دعائه، وإن كنت لا ترى القنوت.

والصواب أنه لا يشرع القنوت في صلاة الفجر إلا في النوازل - كما سيأتي - لكن إذا صليت خلف من يقنت، تتابعه ولا تخالفه.



الإسرار بالبسملة

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة ألا تجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم».

الشرح : من السنة ألا تجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» بل تسر؛ لما جاء في الأحاديث، كحديث أنس: أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين[١]. وفي رواية: لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في أول القراءة ولا في آخرها[٢] وفي لفظ: كانوا يسرون[٣].

فالسنة الإسرار بالبسملة؛ وإن جهر بها بعض الأحيان، فلا حرج؛ لما ثبت أن أبا هريرة جهر بها مرة للتعليم، والشافعية يرون مشروعية الجهر بالبسملة، والصواب عدم الجهر بالبسملة.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الأذان (٧٤٣)؛ ومسلم: الصلاة (٣٩٩)؛ والترمذي: الصلاة (٢٤٦)؛ والنسائي: الافتتاح (٩٠٢)؛ وأبو داود: الصلاة (٧٨٢)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٨١٣)؛ وأحمد (٣/ ١٠١)؛ والدارمي: الصلاة (١٢٤٠) .

(٢) البخاري: الأذان (٧٤٣)؛ ومسلم: الصلاة (٣٩٩)؛ والترمذي: الصلاة (٢٤٦)؛ والنسائي: الافتتاح (٩٠٢)؛ وأبو داود: الصلاة (٧٨٢)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٨١٣)؛ وأحمد (٣/ ٢٢٣)؛ ومالك: النداء للصلاة (١٧٩)؛ والدارمي: الصلاة (١٢٤٠) .

(٣) البخاري: الفتن (٧١١٣) .

القنوت في صلاة الفجر

قال المؤلف - رحمه الله - : ولا تقنت في الفجر، إلا أن يدهم المسلمين أمر من عدوهم، فيقنت الإمام فتتبعه.

الشرح : هذا هو السنة، خلافًا للشافعية الذين يرون القنوت في صلاة الفجر، والصواب أن القنوت إنما يكون عند النوازل، إذا نزلت بالمسلمين نازلة قنت الإمام، ويُؤَمِّن الناس على دعائه؛ لحديث أبي مالك الأشجعي أنه سأل أباه قال: قلت لأبي: يا أبت، قد صليتَ خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فهل كانوا يقنتون؟ فقال: أي بني محدث. قال: فهل كانوا يقنتون في صلاة الفجر؟ فقال: أي بني محدث[(١)]. والحديث لا بأس بسنده، رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي، وهو ثابت.

فدل على أن القنوت في صلاة الفجر غير مشروع، لكن الشافعية استدلوا بحديث أنس: كان النبي ﷺ يقنت ما زال يقنت حتى فارق الدنيا. لكن المراد طول القيام، ما زال يقنت، أي: يطيل القيام، هذا هو الصواب.

لكن إذا صليت خلف من يقنت تؤمِّن على دعائه، ولا تخالف لأن الخلاف شر، كما كان الإمام أحمد يفعل هذا، إذا صليتَ خلف من يقنت، أو يدعو دعاء ختمة في رمضان، صلِّ خلفه ولا تخالف، ولو كنت لا ترى ذلك.

---

(١) الترمذي: الصلاة (٤٠٢)؛ والنسائي: التطبيق (١٠٨٠)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٤١)؛ وأحمد (٣/ ٤٧٢) .

صلاة الوتر والقنوت فيها

قال المؤلف - رحمه الله - : والوتر ركعة مفصولة مما قبلها من الصلاة، والقنوت فيها بعد الركوع.

الشرح : الوتر ركعة، تقرأ فيها الفاتحة وقل هو الله أحد، ثم تركع، ترفع، ثم تسجد، والقنوت ورفع اليدين سنة.

والوتر ركعة، ولا علاقة له بالقنوت، فالقنوت مستقل مستحب؛ إذا صليت ركعة فقد أتيت بالوتر، سواء قنتَّ - دعوت - أو لم تقنت. وأقل الوتر ركعة مفصولة مما قبلها، وأدنى الكمال ثلاث ركعات، توتر بثلاث ركعات.

ولك أن تصلي ركعتين ثم تسلم، ثم تصلي ركعة ثم تسلم، ولك أن تسردها سردًا، فتوتر بثلاث ولا تجلس إلا في آخرها، حتى لا تشبهها بصلاة المغرب، ولك أن توتر بخمس؛ ثبت عن النبي أنه أوتر بخمس، فتسرد خمسًا لا تجلس إلا في آخرها.

ولك أن توتر بسبع، فتجلس في السادسة وتتشهد، ثم تقوم وتأتي بالسابعة، ولك أن توتر بتسع أيضًا، تسردها سردًا، تجلس في الثامنة، وتتشهد وتقوم، ثم تأتي بالتاسعة تنويها وترًا. هذا كله ثابت في الأحاديث.

وقال بعض العلماء مثل الحنابلة وغيرهم: لك أن توتر بإحدى عشرة ركعة بسلام واحد، تسردها سردًا، فتجلس في العاشرة وتتشهد، وتقوم وتأتي بالحادية عشرة. هذا إذا كان الإنسان يصلي وحده.

أما إذا كان إمامًا ما ينبغي أن يسرد خمسًا أو سبعًا أو تسعًا؛ لأن هذا يشق

على الناس؛ لأن الناس يكون لهم حاجات، ربما يكون الإنسان محتاجًا إلى الحمام، لكن إذا كان الإنسان يصلي وحده في الليل فله هذا، والأفضل أن يسلم من كل ركعتين، ثم يوتر بركعة.

وصلاة الليل ليس لها حد محدد، يقول النبي ﷺ: «صلاة الليل مثنى مثنى؛ فإذا خشي أحدكم الصبح، فليوتر بواحدة»(١). ولو تصلي مائة ركعة، لكن الأفضل إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة ركعة، هذا هو أكثر وتر النبي ﷺ.

وثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ أوتر بسبع وأوتر بتسع، ومنه قول عائشة: ما كان النبي ﷺ يزيد في رمضان، ولا في غيره، على إحدى عشرة ركعة(٢). تعني: في الأغلب، وثبت في حديث ابن عباس: أنه أوتر بثلاث عشرة ركعة(٣).

والقنوت فيها بعد الركوع؛ أما أن تصلي في صلاة الليل أربع ركعات، أو ست ركعات بسلام واحد، فإن هذا لا يجوز؛ إذ لا بد أن تسلم من كل ركعتين؛ لقول النبي ﷺ: «صلاة الليل مثنى مثنى»(٤). وهذا خبر بمعنى الأمر.

---

(١) البخاري: الجمعة (٩٩١)؛ ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٤٩)؛ والترمذي: الصلاة (٤٣٧)؛ والنسائي: قيام الليل وتطوع النهار (١٦٧٠)؛ وأبو داود: الصلاة (١٤٢١)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١١٧٥)؛ وأحمد (٢/ ٩)؛ ومالك: النداء للصلاة (٢٦٩)؛ والدارمي: الصلاة (١٤٥٨) .

(٢) البخاري: الجمعة (١١٤٧)؛ ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٣٨)؛ والترمذي: الصلاة (٤٣٩)؛ والنسائي: قيام الليل وتطوع النهار (١٦٩٧)؛ وأبو داود: الصلاة (١٣٤١)؛ وأحمد (٦/ ٣٦)؛ ومالك: النداء للصلاة (٢٦٥) .

(٣) مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٥)؛ وأبو داود: الصلاة (١٣٦٦)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٦٢)؛ وأحمد (٥/ ١٩٣)؛ ومالك: النداء للصلاة (٢٦٨).

(٤) البخاري: الجمعة (٩٩١)؛ ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٤٩)؛ والترمذي: الصلاة (٤٣٧)؛ والنسائي: قيام الليل وتطوع النهار (١٦٧٠)؛ وأبو داود: =

أما في النهار، فإن الجمهور اتفقوا على جواز الصلاة أربع ركعات بسلام واحد، وبعض العلماء يرى أنه لا يجوز، ومنشأ الخلاف حديث: «**صلاة الليل والنهار مثنى مثنى**»[(١)]. بزيادة: «والنهار» طعن فيها بعض العلماء من الحفاظ، وغيرهم كالنسائي، وقال: إن هذه الرواية وَهْمٌ، وعلى هذا فيجوز في النهار أن تصلي أربع ركعات بسلام واحد.

وقال آخرون: إن زيادة «**والنهار**» ثابتة؛ فلا يجوز أن تصلي أربع ركعات بسلام واحد.

* * *

= الصلاة (١٤٢١)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٢٢)؛ وأحمد (٢/ ٩)؛ ومالك: النداء للصلاة (٢٦٩)؛ والدارمي: الصلاة (١٤٥٨).

(١) صحيح البخاري: كتاب الجمعة (٩٩١)، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٤٩)؛ وسنن الترمذي: كتاب الصلاة (٤٣٧)؛ وسنن النسائي: كتاب قيام الليل وتطوع النهار (١٦٧٠)؛ وسنن أبي داود: كتاب الصلاة (١٣٢٦)؛ وسنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٢٠)؛ ومسند أحمد (٢/ ٤٠)؛ وموطأ مالك: كتاب النداء للصلاة (٢٦٩)؛ وسنن الدارمي: كتاب الصلاة (١٤٥٩).

إفراد الإقامة

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة إفراد الإقامة.

الشرح : ومن السنة إفراد الإقامة؛ لما ثبت من حديث أنس قال: أُمر بلال أن يشفع الأذان، ويوتر الإقامة[١]. فالأذان شفع، الله أكبر الله أكبر ثنتين، الله أكبر الله أكبر، هذه شفع. الشهادة: أشهد أن لا إله إلا الله ثنتين، الشهادة للنبي بالرسالة ثنتين، حي على الصلاة ثنتين، حي على الفلاح ثنتين، شفع الله أكبر ثنتين، إلا التهليلة الأخيرة فرد.

أما الإقامة تجدها مفردة، إلا التكبير في الأول، الله أكبر الله أكبر، ثم أشهد أن لا إله إلا الله - فرد - أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، إلا قد قامت الصلاة، والتكبير في أولها، والتكبير في آخرها فيشفع. وفي أذان أبي محذورة الذي علمه النبيُّ ﷺ شفع في الإقامة، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله.

والأذان في حديث أبي محذورة تسع عشرة جملة؛ أما في حديث بلال، فخمس عشرة جملة؛ لأن في أذان أبي محذورة الترجيع، وهو أنك في الشهادتين ترجع، تقول: أشهد أن لا إله إلا الله سرًا مرتين. ثم ترفع صوتك وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، ترجع إليها.

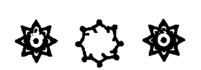
وفي الشهادة الثانية تقول: أشهد أن محمدًا رسول الله - سرًا مرتين، ثم

---

(١) البخاري: الأذان (٦٠٣)؛ ومسلم: الصلاة (٣٧٨)؛ والترمذي: الصلاة (١٩٣)؛ والنسائي: الأذان (٦٢٧)؛ وأبو داود: الصلاة (٥٠٨)؛ وابن ماجه: الأذان والسنة فيه (٧٣٠)؛ وأحمد (٣/١٠٣)؛ والدارمي: الصلاة (١١٩٤) .

يرفع ويقول: أشهد أن محمدًا رسول الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، هذا أذان أبي محذورة.

وأما أذان بلال، فليس فيه ترجيع، تقول: أشهد أن لا إله إلا الله مرتين، و أشهد أن محمدًا رسول الله مرتين، ويرفع الصوت، والأفضل أذان بلال؛ لأنه هو الذي يؤذن به بين يدي النبي ﷺ وأما أذان أبي محذورة، فجائز، علمه النبي ﷺ لأبي محذورة يؤذن به في مكة؛ فالسنة - إذن - إفراد الإقامة، وهذا هو إقامة بلال وإقامة أبي محذورة فيها شفع، وهذا كله ثابت.



تحية المسجد

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة أن تركع ركعتين إذا دخلت المسجد، قبل أن تجلس، إن كنت على وضوء، وإن كان يوم الجمعة والإمام يخطب.

الشرح : من السنة أن تركع ركعتين إذا دخلت المسجد قبل الجلوس، إذا كنت على وضوء، وهذه تسمى تحية المسجد؛ لحديث أبي قتادة: «إذا دخل أحدكم المسجد، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين»(١). وهاتان الركعتان مستحبتان عند الجمهور، وذهب بعض العلماء إلى أنهما واجبتان، وهم الظاهرية وقالوا: إن لهما سببًا خاصًا وهو دخول المسجد، وهذا قول قوي.

وأما الجمهور، فذهبوا إلى أنه لا يجب إلا الصلوات الخمس، لحديث: هل علي غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطَّوع»(٢).

وإن كان يوم الجمعة والإمام يخطب؛ فإذا دخلت والإمام يخطب تصلي ركعتين؛ لما ثبت في الحديث الصحيح أن سُلَيْكًا الغطفاني دخل والنبي ﷺ

---

(١) البخاري: الجمعة (١١٦٧)؛ ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧١٤)؛ والترمذي: الصلاة (٣١٦)؛ والنسائي: المساجد (٧٣٠)؛ وأبو داود: الصلاة (٤٦٧)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠١٣)؛ وأحمد (٥/ ٣١١)؛ والدارمي: الصلاة (١٣٩٣) .

(٢) البخاري: الإيمان (٤٦)، ومسلم: الإيمان (١١)؛ والنسائي: الصلاة (٤٥٨)؛ وأبو داود: الصلاة (٣٩١)؛ وأحمد (١/ ١٦٢)، ومالك: النداء للصلاة (٤٢٥)؛ والدارمي: الصلاة (١٥٧٨) .

يخطب، فجلس فقال النبي ﷺ: «أصليت ركعتين؟» قال: لا. قال: «قم فاركع ركعتين، وتَجَوَّز فيهما»[1]. أي: خففهما.

فإذا كان المسلم مأمورًا بصلاة الركعتين والإمام يخطب وهو مأمور باستماع الخطبة؛ فمن باب أولى أن يكون مأمورًا بها في غير هذا المقام.

❋ ❋ ❋

(١) البخاري: الجمعة (٩٣٠)؛ ومسلم: الجمعة (٨٧٥)؛ والترمذي: الجمعة (٥١٠)؛ والنسائي: الجمعة (١٤٠٩)؛ وأبو داود: الصلاة (١١١٥)؛ وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١١١٢)؛ وأحمد (٣/٣٠٨)؛ والدارمي: الصلاة (١٥٥٥) .

الإقبال بوجهه على الخطيب والإنصات له

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة الإنصات للخطبة والاستماع لها، والإقبال بوجهك على الخطيب إن كنت بحيث تعاينه، أو لا تعاينه فالإنصات، وقد قال النبي ﷺ: «من قال صه، والإمام يخطب فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له»[1].

الشرح : من السنة الإقبال بوجهك على الخطيب، سواء كان الإنسان يشاهده أو لا يشاهده، إن كان لا يشاهده فالإنصات، وإن كان يشاهده يقبل عليه بوجهه، ويستمع لما يقوله؛ لحديث عبد الله بن مسعود قال: كان النبي ﷺ إذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا[2]، والحديث الثاني قول النبي ﷺ: «من قال صه والإمام يخطب فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له»[3] وهذا حديث صحيح ثابت، رواه الجماعة.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الجمعة (٩٣٤)، ومسلم: الجمعة (٨٥١)، والترمذي: الجمعة (٥١٢)، والنسائي: الجمعة (١٤٠١)، وأبو داود: الصلاة (١١١٢)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١١١٠)، وأحمد (٢/ ٢٤٤)، ومالك: النداء للصلاة (٢٣٢)، والدارمي: الصلاة (١٥٤٨) .

(٢) الترمذي: الجمعة (٥٠٩) .

(٣) تقدم تخريجه .

الكلام والإمام يخطب

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال: «من تكلم والإمام يخطب، كان كالحمار يحمل أسفارًا»[١].

الشرح : وهذا أيضًا ورد في حديث ضعيف، ولكن الثابت: «من قال لصاحبه أنصت، والإمام يخطب، فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له»[٢] صه: اسم فعل أمر بمعنى اسكت، أو أنصت.

وعلى هذا إذا رأيت من يتحدث في يوم الجمعة لا تكلمه، لكن تشير إليه بالإشارة، لا تشمت العاطس، ولا تتكلم، ولا تتسوك والإمام يخطب.

فالإنصات في الخطبة مثل الصلاة، لكن تشير باليد، كما تشير باليد في الصلاة وترد السلام باليد، وإذا رأيت من يتكلم تشير إليه، وتنصحه بعد الصلاة، ولا تتكلم معه.



(١) أحمد (١/ ٢٣٠) .

(٢) تقدم تخريجه .

من لغا فلا جمعة له

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال: «من تكلم والإمام يخطب، كان حظه من الجمعة كف تراب»[١].

الشرح : هذا الحديث يحتاج إلى ثبوت، وجاء في حديث أبي بن كعب

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الشروط (٢٧٣٤)؛ وصحيح مسلم: كتاب صلاة الاستسقاء (٨٩٧)؛ وسنن الترمذي: كتاب الجمعة (٥١١)؛ وسنن النسائي: كتاب الإمامة (٨٧٣)، وكتاب الافتتاح (٩٥٥، ٩٥٦)، وكتاب السهو (١٢٥٧، ١٣٤٤)، وكتاب الجمعة (١٣٦٨، ١٣٧٩، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٩٢، ١٣٩٤، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٧، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩)، وكتاب الاستسقاء (١٥٠٨، ١٥١٥، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥٢٨)، وكتاب صلاة العيدين (١٥٦٨، ١٥٧٤، ١٥٧٧، ١٥٩٠)، وكتاب الصيام (٢٣٦٥، ٢٣٦٦، ٢٣٦٨)، وكتاب الزكاة (٢٥٣٦)، وكتاب الطلاق (٣٤٧٣)، وكتاب تحريم الدم (٤٠٢٠)، وكتاب قسم الفيء (٤١٤٨)؛ وسنن أبي داود: كتاب الصلاة (١١١١)؛ وسنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ١٠٨٢، ١٠٩٢، ١١٠١، ١١٠٥، ١١٠٧، ١١١٠، ١١١٧، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٤، ١٣١٠، ١٤١٤)، وكتاب الأحكام (٢٤٢٦)، وكتاب الطب (٣٤٧٠، ٣٤٨٨)؛ ومسند أحمد (١/ ٢٣٠، ٢/ ٢٧٢، ٢/ ٣٤٣، ٢/ ٤٩٠، ٢/ ٥١٨، ٢/ ٥٣٢، ٣/ ٣٠٠، ٤/ ٣٢٨، ٥/ ٩٢، ٥/ ٩٤)،؛ وموطأ مالك: كتاب النداء للصلاة (٢٣٢، ٢٣٥)؛ وسنن الدارمي: كتاب المقدمة (٣٦، ٤١، ٢٠٧)، وكتاب الطهارة (٦٥٢)، وكتاب الصلاة (١٣٩٧، ١٤٣٧، ١٤٤٥، ١٥٣٩، ١٥٤٢، ١٥٤٤، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥١، ١٥٥٣، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥)، وكتاب الأضاحي (١٩٦٢)، وكتاب النكاح (٢٢٣١) .

قال: ما لك من جمعتك إلا ما لغوت، فأخبر النبي ﷺ فقال: «صدق أبي»[(١)] أما هذا الحديث «حظه من الجمعة كف تراب» فهذا يحتاج إلى ثبوت، لكن الثابت: «من تكلم والإمام يخطب فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له»[(٢)] أي: لا ثواب له، لكن الجمعة صحيحة، فلا يعيد الصلاة.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح البخاري: كتاب الشروط (٢٧٣٤)، وكتاب المناقب (٣٩٠٦)، وكتاب المغازي (٤٠٣٤، ٤٣٢٢)، وكتاب اللباس (٥٨٠٧)؛ وصحيح مسلم: كتاب الحج (١٢١١، ١٢١٨)، وكتاب الأشربة (٢٠٤٠)، وكتاب التوبة (٢٧٦٩)، وكتاب الفتن وأشراط الساعة (٢٩٣١)، وسنن الترمذي: كتاب الزهد (٢٣٦٩)، وكتاب تفسير القرآن (٣١٤٩)؛ وسنن النسائي: كتاب الإمامة (٧٨٤)، وكتاب التطبيق (١١٦٤)، وكتاب السهو (١٢٣٠، ١٣٠٠)، وكتاب الجمعة (١٤٣٠)، وكتاب الجنائز (١٩٥٣)، وكتاب النكاح (٣٢٨٤)، وكتاب الطلاق (٣٥٤٥)، وكتاب القسامة (٤٧٢٧، ٤٧٣١)، وكتاب الزينة (٥١٩٠)؛ وسنن أبي داود: كتاب الصلاة (١٢٩٧)، وكتاب المناسك (١٩٠٥)، وكتاب الطلاق (٢٢٩٠)، وكتاب الأيمان والنذور (٣٣١٦)؛ وسنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (١١١١)، ومسند أحمد (٥/ ١٤٣، ٥/ ١٩٨)، وموطأ مالك: كتاب النداء للصلاة (٢٤٣)؛ وسنن الدارمي: كتاب المناسك (١٨٥٠) .

(٢) أبو داود: الصلاة (١٠٥١)، وأحمد (١/ ٩٣) .

إفشاء السلام

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة أن تسلم على من دخلت عليه، في مسجد أو غيره، وتسلم إذا خرجت؛ لحديث أبي هريرة مرفوعًا: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة»[(١)].

الشرح : هذه هي السنة، أن يسلم الإنسان إذا دخل وإذا خرج؛ ولما ورد في الأحاديث الصحيحة من الأمر بإفشاء السلام، فقال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أَوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[(٢)] فإفشاء السلام سبب في المحبة، والمحبة دليل على الإيمان، والإيمان سبب في دخول الجنة.

❁ ❁ ❁

---

(١) الترمذي: الاستئذان والآداب (٢٧٠٦)، وأبو داود: الأدب (٥٢٠٨)، وأحمد (٢/ ٢٣٠) .

(٢) مسلم: الإيمان (٥٤)، والترمذي: الاستئذان والآداب (٢٦٨٨)، وأبو داود: الأدب (٥١٩٣)، وابن ماجه: المقدمة (٦٨)، وأحمد (٢/ ٤٤٢) .

عدم تحريم ما أحل الله

قال المؤلف - رحمه الله - : ولا نحرم شيئًا مما أحله الله عز وجل فإن فاعل ذلك مفترٍ على الله، رادٌّ لقوله معتدٍ ظالم؛ قال الله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾(١) وقال في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(٢).

وعاب اليهود بتحريم الجزور التي أحلها لهم ولسائر الخلق، فقال عز وجل: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٣) ثم قال عز وجل: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾(٤).

ثم إن الروافض تشبهت باليهود في تحريم ما أحل الله، وردوا على الله عز وجل قوله، وافتروا عليه البهتان، وحرموا الجِرِّيَّ - الجِرِّيَّ: على وزن الذمي نوع من السمك - من السمك، ولحم الجزور.

---

(١) سورة يونس آية : ٥٩ .
(٢) سورة المائدة آية : ٨٧ .
(٣) سورة آل عمران آية : ٩٣ .
(٤) سورة آل عمران آية : ٩٤ .

. . . .

الشرح : هذه المسألة - وهي تحريم ما أحل الله - أمر خطير؛ فإذا حرم العبد ما أحل الله عن عمد، وقامت عليه الحجة، وهو يعرف الدليل، فهذا قد يكون ردة - والعياذ بالله - لأنه مكذب لله. لكن قد يحرم عن غير عمد، أو عن جهل؛ ولهذا قال المؤلف: إن فاعل ذلك مفتر على الله، راد لقوله، معتد ظالم، متجاوز للحد، ظالم لنفسه، واستدل بالآية: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ (١) ثم أنكر الله عليهم فيقول: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (٢) فجعل تحريم ما أحله الله افتراء على الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣) وقال في موضع آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ (٤) فجعله عدوانًا.

وعاب اليهود، أي: عاب الله - سبحانه وتعالى - على اليهود وأنكر عليهم تحريم الجزور، التي أحلها لهم ولسائر الخلق، فقال عز وجل: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (٥) ثم قال عز وجل: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (٦) فدل على أن من حرم ما أحل الله، فقد افترى على الله، وهو ظالم.

---

(١) سورة يونس آية : ٥٩ .
(٢) سورة يونس آية : ٥٩ .
(٣) سورة النحل آية : ١١٦ - ١١٧ .
(٤) سورة المائدة آية : ٨٧ .
(٥) سورة آل عمران آية : ٩٣ .
(٦) سورة آل عمران آية : ٩٤ .

قال المؤلف: ثم إن الروافض تشبهت باليهود في تحريم ما أحل الله، وردوا على الله عز وجل قوله، وافتروا عليه البهتان، وحرموا الجِرِّيَّ من السمك، ولحم الجزور، مشابهة لليهود.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه (منهاج السنة) أن الروافض شابهوا اليهود في سبعين خصلة، منها تحريم السمك، وتحريم الجزور، ومنها أن كلا منهما لا يصلي المغرب إلا عند اشتباك النجوم.



من يستهين لتحريم ما أحل الله

قال المؤلف - رحمه الله - : وقد قال رسول الله ﷺ: «المحرم ما أحل الله كالمحلل ما حرم الله» ولعل الأكثر منهم ممن يحرم هذا ويعيب أكله، يزني ويشرب الخمر، ويأخذ أموال الناس ظلمًا، وفي الناس من يستهين لتحريم هذه المآكل، ويستصغره من فعلهم، وهذا عند العلماء من الكبائر العظيمة، والفواحش العظيمة، لمبارزة الله ورَدِّ قوله في تحريم ما أحله الله، وتضييق ما وسعه، وحظر ما أطلقه، وقد عدد علينا نعمه، وأحصى لدينا مننه في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[(١)].

الشرح : ساق المؤلف - رحمه الله - حديث: «المحرم ما أحل الله كالمحلل ما حرم الله» وذكر المحقق أن هذا الحديث رواه الشهاب القضاعي في مسنده.

يقول المؤلف: ولعل الأكثر منهم، ممن يحرم هذا - لحم الجزور، والجِرِّيّ من السمك - ويعيب أكله، تجده مع ذلك يفعل الكبائر، يزني ويشرب الخمر، ويأكل أموال الناس بالباطل.

وفي الناس من يستهين بتحريم هذه المآكل، ويستصغره من فعلهم - يرى أنها أمر هين - وهذا عند العلماء من الكبائر العظيمة، والفواحش العظيمة،

---

(١) سورة النحل آية : ١٤ .

لمبارزة الله، ورد قول الله في تحريم ما أحله الله، وتضييق ما وسعه الله، وحظر؛ أي: منع ما أطلقه الله.

والله تعالى عدد علينا نعمه، وأحصى لدينا مننه، فقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[1] وهذا عام، فكيف يحرمون الجِرِّيَّ من السمك؟! والله تعالى امتن علينا وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾[2] ولم يستثن شيئًا.

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة النحل آية : ١٤ .

(٢) سورة النحل آية : ١٤ .

ميتة البحر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ في البحر: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته»[1].

الشرح : هذا الحديث رواه أصحاب السنن وأحمد، وفيه الدليل على أن ميتة البحر حلال، ولم يستثن الجِرِّيَّ كما استثنت الروافض.

❁ ❁ ❁

(١) الترمذي: الطهارة (٦٩)، والنسائي: المياه (٣٣٢)، وأبو داود: الطهارة (٨٣)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٣٨٦)، وأحمد (٢/ ٣٦١)، ومالك: الطهارة (٤٣)، والدارمي: الطهارة (٧٢٩) .

مناقشة الروافض في تحريم بعض أنواع السمك

قال المؤلف - رحمه الله - : وقد علم الله أن الجِرِّيَّ في البحر، وكيف لا يعلمه وهو خلقه؟! وعلم رسول الله ﷺ أن الجِرِّيَّ في البحر، أَفَتَرَاهُمَا أعياهما أن يستثنيا لتحريم الجِرِّيَّ؟ ولقد جعل نحر الجزور من أعظم ما تُقُرب به إليه، وابتغي به الفوز لديه، فقد قال عز وجل: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ (١) وجعل جزاء من انتهك حَجَّه بأعظم المحارم، وهو الوطء، أن ينحر البدن.

الشرح : هذا مناقشة المؤلف للرأي الروافض في تحريم نوع من السمك، وهو الجِرِّيُّ، وتحريم لحم الجزور، يقول: إن الله تعالى قد علم أن الجِرِّيَّ في البحر، ومع ذلك قال النبي ﷺ: «**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**» (٢) وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ (٣).

فهو يعلم سبحانه أن الجِرِّيَّ في البحر ولم يستثنه، فكيف تحرمونه؟ وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ (٤)، ونبيه ﷺ

---

(١) سورة الحج آية : ٣٦ .

(٢) الترمذي: الطهارة (٦٩)، والنسائي: المياه (٣٣٢)، وأبو داود: الطهارة (٨٣)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٣٨٦)، وأحمد (٢/ ٣٦١)، ومالك: الطهارة (٤٣)، والدارمي: الطهارة (٧٢٩) .

(٣) سورة النحل آية : ١٤ .

(٤) سورة النحل آية : ١٤ .

يعلم أن في البحر هذا النوع من السمك، ومع ذلك قال في البحر: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته»[١] ولم يقل: إلا الجِرِّيّ، لا تأكلوه.

ولهذا قال: وعلم رسول الله ﷺ أن الجِرِّيّ في البحر، أفتراهما أعياهما - الرب - سبحانه وتعالى، ونبيه ﷺ - أن يستثنيا لتحريم الجِرِّيّ، وهل الله عاجز أن يقول: إلا الجِرِّيّ لا تأكلوه، أو الرسول قال: الحل ميتته إلا الجِرِّيّ، لا تأكلوه؟ فلما لم يستثن فكيف تستثنون أيها الرافضة ؟

ثم ناقش رأيهم في تحريم أكل لحم الجزور؛ قال: ولقد جعل الرب - سبحانه - نحر الجزور من أعظم ما تقرب به إليه، وَابْتُغِيَ به الفوز لديه في ذبح الضحايا والهدايا، فالجزور أفضل شيء يذبح؛ لكثرة ثمنه، وكثرة لحمه، وأنفع للفقراء، فهو أفضل من الشاة، وأفضل من البقرة؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾[٢].

ثم قال: وجعل جزاء من انتهك حجه بأعظم المحارم، وهو الوطء، أن ينحر البدن:

ومن المعلوم أن الإنسان إذا أحرم بالحج فإنه يحرم عليه تسعة أشياء كما ورد وهي:

أخذ شيء من الشعر، وتقليم الأظفار، وتغطية الرأس، ولبس المخيط، والطيب، والصيد، وعقد النكاح، ومباشرة المرأة، والجماع. وأعظمها وأشدها الجماع، فإذا جامع المحرم وهو محرم، قبل التحلل الأول - يعني: قبل أن يرمي جمرة العقبة - وجب عليه أربعة أشياء:

الأمر الأول: فسد الحج.

---

(١) الترمذي: الطهارة (٦٩)، والنسائي: المياه (٣٣٢)، وأبو داود: الطهارة (٨٣)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٣٨٦)، وأحمد (٢/ ٣٦١)، ومالك: الطهارة (٤٣)، والدارمي: الطهارة (٧٢٩) .

(٢) سورة الحج آية : ٣٦ .

والأمر الثاني: أن يكمل الحج الفاسد.

والأمر الثالث: أن يقضيه في العام المقبل.

والأمر الرابع: أن يذبح بعيرًا - جزورًا - جزاءً.

وهذا معنى قول المؤلف: وجعل جزاء من انتهك حجه بأعظم المحارم، وهو الوطء، أن ينحر البدن، مع فساد الحج، ومع مضيه فيه، وقضائه.

فكيف تقولون أيها الروافض - تبعًا لليهود - إن الجزور حرام، والله أوجب على المحرِم الذي جامع زوجته قبل التحلل الأول، أن يذبح الجزور؟!



تحريم الرافضة لبعض أنواع السمك على أهل البيت

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال إسرائيل بن أبي إسحاق: حملت جريًا إلى منزل يزيد بن علي - رضي الله تعالى عنه - ثم لقيته من الغد، فقال لي: لقد أعجبني ذلك السمك، ولقد بلغني أن قومًا يحرمونه، ويدعون تحريمه علينا، ألا فمن قال ذلك أو فعله، فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين..

الشرح : هذا الأثر عن إسرائيل بن إسحاق قال: حملت جريًا - الجِرِّيُّ: نوع من السمك - إلى منزل يزيد بن علي - من آل البيت، وهو يزيد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب - ثم لقيته من الغد، فقال؛ أي: يزيد بن علي : لقد أعجبني ذلك السمك.

ثم قال: ولقد بلغني أن قومًا - وهم الروافض - يحرمونه، ويدعون تحريمه علينا؛ أي: نحن أهل البيت.

فمن خبث الرافضة أنهم يحرمونه على أهل البيت؛ ولذا أنكر عليهم يزيد ابن علي ذلك، وقال: ألا فمن قال ذلك أو فعله، فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين.

❁ ❁ ❁

الرد على الروافض الذين يحرمونه على آل البيت

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الحسن بن صالح: قلت لجعفر بن محمد رضي الله عنه: يا ابن رسول الله ﷺ كيف رأيك في الجِرِّيّ؟ فقال: إنه لطعام يعجبني، ولقلما أتى علي وقت يفوتني.

الشرح : لا زال المؤلف يناقش رأي الرافضة في تحريمهم الجِرِّيّ، قال الحسن بن صالح: قلت لجعفر بن محمد - جعفر بن محمد الصادق وهو من ولد علي بن أبي طالب، فهو من أهل البيت - : يا ابن رسول الله - لأنه من سلالة فاطمة بنت الرسول - كيف رأيك في الجِرِّيّ؟؛ لأن الروافض يحرمونه، فقال: إنه لطعام يعجبني، ولقلما أتى علي وقت يفوتني - أي آكله كثيرًا - .

فالأثر فيه الرد على من يحرمه على أهل البيت من الرافضة مشابهةً لليهود.



إنكار الأعمش على الرافضة تحريمهم لبعض أنواع السمك

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أبو أسامة: خرج علينا الأعمش ذات يوم فقال: أكلتُ اليوم طعامًا طيبًا، عرف الشيطان طيبته فحرمه على النَّوْكَى، قال: قلت: ما هو يا أبا محمد ؟ قال: أكلت قريض جري..

الشرح : وهذا - أيضًا - فيه الرد على الروافض؛ قال أبو أسامة: خرج علينا الأعمش ذات يوم فقال: أكلت اليوم طعامًا طيبًا، عرف الشيطان طيبته، فحرمه على النَّوْكَى - أي: الحمقى؛ كالرافضة - قلت: ما هو يا أبا محمد؟ قال: أكلت قريض جري.

والقريض: نوعُ أكْلٍ من السمك، أي: أنه أكله مشويًا.

والمقصود أن الأعمش ينكر على من حرمه.



تفاضل الناس في الأعمال وزيادة الإيمان ونقصانه

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة أن تعلم أن الذين شاهدوا النبي ﷺ وصدّقوا بما أتت به أئمتهم، يتفاضلون في الخوف من الله عز وجل والتعظيم والتبجيل، لرؤيتهم الشواهد والدلائل، وكذلك أهل الإيمان في التصديق، يعلو بعضهم بعضًا، وكذلك وجود الأعمال على قدر ما أُوطن في الصدور من العلم بالله والإيمان. .

الشرح : هذا فيه بيان معتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الناس يتفاضلون في الإيمان والخوف من الله عز وجل؛ وأنهم ليسوا على مرتبة واحدة، فالذين شاهدوا النبي ﷺ أعظم الناس إيمانًا، والذين صدقوا بما أتت به أئمتهم يتفاضلون في الخوف من الله، ويتفاضلون في تعظيم الله وتبجيله، لرؤيتهم الشواهد والدلائل.

وأهل الإيمان يتفاضلون في التصديق والإيمان، فتصديق أبي بكر وعمر أقوى من تصديق غيرهما.

وكذلك الناس يتفاضلون في الأعمال، فمن أكثر من الأعمال الصالحة زاد إيمانه.

قوله: على قدر ما أُوطِن في الصدور؛ أي: على قدر ما تَوَطَّن في الصدور وثبت من العلم بالله والإيمان به يزداد الناس إيمانًا، فإذا ثبت العلم بالله والإيمان به وقوي زاد الإيمان، وإذا ضعف العلم والإيمان نقص وهكذا.

❁ ❁ ❁

زواج المتعة

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة أن يُعلم أن المتعة حرام إلى يوم القيامة..

الشرح : والمتعة حرام؛ لحديث علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر[١]، وفي حديث سمرة: أن النبي ﷺ حرم متعة النساء[٢] وفي رواية: نهى عنها[٣].

---

(١) البخاري: المغازي (٤٢١٦)، ومسلم: النكاح (١٤٠٧)، والترمذي: النكاح (١١٢١)، والنسائي: النكاح (٣٣٦٦)، وابن ماجه: النكاح (١٩٦١)، وأحمد (١/ ٧٩)، والدارمي: الأضاحي (١٩٩٠).

(٢) مسلم: النكاح (١٤٠٦)، وأبو داود: النكاح (٢٠٧٣)، وأحمد (٣/ ٤٠٤)، والدارمي: النكاح (٢١٩٦).

(٣) صحيح البخاري: كتاب الجمعة (١٢٣٣)، وكتاب بدء الخلق (٣٣١٣)، وكتاب المغازي (٤٠١٧، ٤٢٢٠، ٤٣٧٠)، وكتاب الحيل (٦٩٦١)؛ وصحيح مسلم: كتاب النكاح (١٤٠٥، ١٤٠٧)، وكتاب البيوع (١٥٤٧، ١٥٤٩، ١٥٥٠)، وكتاب الأيمان (١٦٤٦)، وكتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان (١٩٣٧)؛ وسنن الترمذي: كتاب الصلاة (١٨٤)، وكتاب الصوم (٧٦٧)، وكتاب الحج (٨٢٣، ٨٢٤)؛ وسنن النسائي: كتاب مناسك الحج (٢٧٢٣)، وكتاب النكاح (٣٣٦٥)، وكتاب الأيمان والنذور (٣٩٠٠، ٣٩١١)؛ وسنن أبي داود: كتاب النكاح (٢٠٧٢)، وكتاب البيوع (٣٣٤٢، ٣٣٨٩)؛ وسنن ابن ماجه: كتاب المقدمة (١٧)، وكتاب الأحكام (٢٤٦٢)؛ ومسند أحمد (١/ ١٧، ١/ ١٨، ١/ ١٤٢، ١/ ٢٩٢، ١/ ٣١٣، ١/ ٣١٤، ٤/ ٥٥، ٤/ ٩٩، ٤/ ٣٨١، ٤/ ٣٩٢، ٥/ ٥٥، ٥/ ١١٦، ٦/ ٢٨٢)؛ وموطأ مالك: كتاب الضحايا (١٠٤٨).

والمتعة معناها: أن يتزوج امرأة إلى أجل، فيتزوجها أسبوعًا أو شهرًا أو سنة، يتفق معها.

وقد أبيحت المتعة في أول الإسلام للضرورة؛ فقد احتاج إليها الصحابة لما اشتدت عليهم العزبة في الأسفار فأباح لهم النبي ﷺ المتعة، ثم حرمت، فنهى الرسول ﷺ عن المتعة يوم خيبر إلى يوم القيامة، لكن الروافض باقون على إباحتها، فهم يتزوجون زواج المتعة، وهذا حرام، وهو من الزنا - والعياذ بالله - .



عمر يعامل من ينكح نكاح المتعة معاملة الزاني

قال المؤلف - رحمه الله - : وقد قال عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - : لا أوتيت بناكح متعة، قد علم بتحريمها، إلا رجمته إن كان ثيبًا، أو جلدته إن كان بكرًا. .

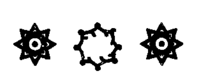
الشرح : قال عمر رضي الله عنه: لا أوتي بناكح متعة؛ أي: بشخص تزوج نكاح المتعة قد علم تحريمها - وهذا قيد - إلا رجمته إن كان ثيبًا، أو جلدته إن كان بكرًا؛ لأنه زانٍ، فعامله معاملة الزاني؛ فالزاني إن كان ثيبًا قد تزوج، ولو مرة في العمر ولم يكن معه زوجة، فإنه يرجم بالحجارة حتى يموت. والبكر الذي لم يتزوج يجلد مائة جلدة، ويغرّب عن البلد التي فعل فيها الفاحشة عامًا كاملًا.

❁ ❁ ❁

توبة من ينكح نكاح المتعة

قال المؤلف - رحمه الله - : وأتي علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه - برجل قد نكح متعة فقال: لو كنتَ تقدمت لرجمتك.

الشرح : أتي علي برجل قد نكح متعة - يعني: لعله تاب -، وقال: لو كنت تقدمت لرجمتك، لكن من تاب تاب الله عليه.



شروط صحة النكاح

قال المؤلف - رحمه الله - : ولا نكاح إلا بولي وشاهدين، والخاطب هو المتزوج..

الشرح : لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل؛ لقول النبي ﷺ في الحديث: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل»(١).

والنكاح لا يصح إلا بوجود أربعة: الولي الذي يعقد، والزوج، وشاهدي عدل. وفي الحديث: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل»(٢) وفي الحديث الآخر: «لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها، فإن الزانية هي التي تزوج نفسها»(٣).

---

(١) الترمذي: النكاح (١١٠١)، وأبو داود: النكاح (٢٠٨٥)، وابن ماجه: النكاح (١٨٨١)، وأحمد (٤/٤١٨)، والدارمي: النكاح (٢١٨٢) .

(٢) الترمذي: النكاح (١١٠٢)، وأبو داود: النكاح (٢٠٨٣)، وابن ماجه: النكاح (١٨٧٩)، وأحمد (٦/٦٦)، والدارمي: النكاح (٢١٨٤) .

(٣) ابن ماجه: النكاح (١٨٨٢) .

العدة لازمة لكل مطلقة

قال المؤلف - رحمه الله - : والعدة فرض من الله عز وجل لازمة لكل مطلقة أو مختلعة مدخول بها، وكل متوفًى عنها زوجها، مدخول بها أو غير مدخول بها، لا ينكر العدة على النساء إلا مبتدع مخالف لله ولرسوله، رادٌّ لقولهما، كافر بكتاب الله عز وجل..

الشرح : العدة فرض لكل مطلقة أو مختلعة مدخول بها؛ لقول الله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾(١)، فلا بد لكل مطلقة أن تعتد، إن كانت تحيض ثلاث حيض ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾(٢) وإن كانت لا تحيض ثلاثة أشهر، وإن كانت حاملًا فالعدة وضع الحمل؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ﴾(٣) وهذا عامّ، حتى المتوفى عنها الحامل عدتها وضع الحمل، كل مطلقة وكذلك المختلعة.

المختلعة: التي خالعت نفسها من زوجها بمال، فقالت: خالعني وأعطيك كذا وكذا، هذه لا بد أن تعتد، والعدة هذه لحق الزوج، ولبراءة الرحم.

وكل متوفى عنها زوجها مدخول بها أو غير مدخول، لا بد أن تعتد، بخلاف المطلقة؛ فإن كان دخل بها فعليها العدة، وإن كان لم يدخل بها فلا

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٢٨ .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٢٨ .

(٣) سورة الطلاق آية : ٤ .

عدة عليها، لقول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾(١).

فالمطلقة قبل الدخول لا تعتد، والمتوفى عنها قبل الدخول أو بعد الدخول لا بد من العدة، إذن العدة عامة، للمتوفى عنها مدخول بها أو غير مدخول بها، وللمطلقة وللمختلعة، ولا يعفى من العدة إلا المطلقة قبل الدخول.

ومن أنكر ذلك يُبَيّن له النصوص من عند الله، فإذا بلغه الدليل وأصر فإنه يحكم بكفره؛ لأنه مكذب لله، فالنصوص واضحة؛ ولهذا قال المؤلف - رحمه الله - : لا ينكر ذلك إلا مبتدع، مخالف لله ورسوله، راد لقولهما، كافر بكتاب الله، بعد قيام الحجة عليه.



(١) سورة الأحزاب آية : ٤٩ .

التسمية عند أول الوضوء

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة اتباع رسول الله ﷺ والاقتفاء لأمره، والاقتداء بهديه، والأخذ بأفعاله، والانتهاء إلى أمره، وإكثار الرواية عنه في كل ما سنه واستحسنه وندب إليه، وحرض أمته عليه؛ ليتأدبوا به، فتحسن بذلك في الدنيا آدابهم، ويعظم عند الله قدرهم. ومما أمر به وصحت به الروايات، استعمال ذكر الله عز وجل في المواطن وعند الحركات، مثل: التسمية عند أول الوضوء..

الشرح : من السنة الواجبة اتباع الرسول - عليه الصلاة والسلام - والاقتفاء لأمره، والاقتداء بهديه، والأخذ بأفعاله، والانتهاء إلى أمره؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (١) ولقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ (٢) ولقوله - عليه الصلاة والسلام - : «إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم» (٣).

هذه السنة، فالواجب اتباع الرسول، والاقتفاء لأمره، والاقتداء بهديه،

---

(١) سورة الحشر آية : ٧ .

(٢) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٣) البخاري: الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٨)، ومسلم: الفضائل (١٣٣٧)، والنسائي: مناسك الحج (٢٦١٩)، وابن ماجه: المقدمة (٢)، وأحمد (٢/ ٢٤٧) .

والأخذ بأفعاله، والانتهاء إلى أمره، وإكثار الرواية عنه في كل ما سنه واستحسنه وندب إليه، وحرض أمته عليه؛ ليتأدبوا به، فتحسن بذلك في الدنيا آدابهم؛ فلا شك أن المقتدي بالرسول - عليه الصلاة والسلام - تحسن آدابه، ويعظم عند الله قدره، ومما أمر به، وصحت به الروايات استعمال ذكر الله عز وجل في المواطن؛ فذكر الله مطلوب في كل وقت، ولكن هناك مواطن جاءت النصوص بذكر الله عندها، ومن ذلك التسمية عند أول الوضوء.

وقد جاءت في التسمية عند الوضوء أحاديث ضعيفة، كلها لا تخلو من مقال، كحديث: «**لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه**»[1]؛ ولهذا ذهب الجمهور إلى أن التسمية عند الوضوء مستحبة، وذهب الحنابلة إلى وجوب التسمية.

وقد ساق الحافظ ابن كثير - رحمه الله - الأحاديث في آية الوضوء، وهي أحاديث كثيرة، لكنها لا تخلو من مقال، لكن قال: (إن بعضها يشد بعضًا) فالأحاديث وإن كانت ضعيفة - أحاديث التسمية عند الوضوء - لكن يشد بعضها بعضًا؛ ولهذا ذهب الإمام أحمد في رواية إلى أنها واجبة، والجمهور على أنها مستحبة، فلو ترك التسمية فلا حرج.

❁ ❁ ❁

(١) أبو داود: الطهارة (١٠١)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٣٩٩).

المبالغة في الاستنشاق

قال المؤلف - رحمه الله - : والمبالغة في الاستنشاق..

الشرح : المبالغة في الاستنشاق هذه سنة؛ لقول النبي ﷺ في حديث لقيط بن صبرة: «**وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائما**»[(١)].

❁ ❁ ❁

---

(١) الترمذي: الصوم (٧٨٨)، والنسائي: الطهارة (٨٧)، وأبو داود: الصوم (٢٣٦٦)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٤٠٧)، وأحمد (٤/ ٣٢) .

الدعاء عند غسل الأعضاء

قال المؤلف - رحمه الله - : والدعاء بما روي عنه عند غسل الأعضاء..

الشرح : وهذا ليس بصحيح، فليس له أصل، الدعاء عند غسل الأعضاء ليس فيه دليل، ولا يثبت الذكر في الوضوء إلا عند البدء بالتسمية، وعند الانتهاء من الوضوء، يشرع بعد أن تنتهي من الوضوء أن تقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»(١) كما ثبت في صحيح مسلم من حديث عمر: «من قال ذلك فتحت له أبواب الجنة الثمانية»(٢) زاد الترمذي بسند لا بأس به: «اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين»(٣).

أما الذكر عند غسل الأعضاء - اللهم بيض وجهي يوم تسود وجوه، اللهم أعطني كتابي بيميني - كل هذه أحاديث ضعيفة لا تثبت.

---

(١) الترمذي: الطهارة (٥٥)، والنسائي: الطهارة (١٤٨)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٤٧٠).

(٢) نفسه.

(٣) نفسه.

التيامن في غسل أعضاء الوضوء ولبس الثياب

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يبدأ الرجل في غسل أعضائه، ولبس ثيابه وخفه ونعله، وكل ملابسه بيمينه، ولا يبدأ بيساره..

الشرح: من السنة أن يبدأ الرجل باليمين؛ لحديث عائشة عند مسلم: كان النبي ﷺ يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره، وفي شأنه كله[١] فإذا غسل أعضاءه يبدأ باليمين، وإذا لبس ثوبه يبدأ باليد اليمنى، وإذا لبس نعله يبدأ باليمنى، والخلع بالعكس، إذا خلع يبدأ باليسرى، إذا خلع ثوبه يبدأ باليسرى وهكذا.

---

(١) البخاري: الوضوء (١٦٨)، ومسلم: الطهارة (٢٦٨)، والترمذي: الجمعة (٦٠٨)، والنسائي: الغسل والتيمم (٤٢١)، وأبو داود: اللباس (٤١٤٠)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٤٠١)، وأحمد (٦/ ٩٤) .

الأكل والشرب باليمين

قال المؤلف - رحمه الله - : وكذلك الأكل باليمين والشرب كذلك، وتركهما بالشمال. .

الشرح : الأكل باليمين واجب، وكذلك الشرب، ولا يجوز الأكل بالشمال؛ ثبت أن النبي ﷺ أكل عنده رجل بشماله فقال له: «كل بيمينك» فقال: لا أستطيع - وهو كذاب - . فقال: «لا استطعت» . قال الراوي: فما رفعها إلى فيه[1] شلت يده في الحال عقوبةً.

فيجب الأكل باليمين، والشرب باليمين، وتركهما بالشمال أي: ترك الأكل والشرب بالشمال.



---

(١) مسلم: الأشربة (٢٠٢١)، وأحمد (٤/ ٤٥)، والدارمي: الأطعمة (٢٠٣٢) .

الاستنجاء بالشمال وتركه باليمين

قال المؤلف - رحمه الله - : والاستنجاء بالشمال، وتركه باليمين. . .

الشرح : الاستنجاء بالشمال، ولا يجوز الاستنجاء باليمين؛ لما ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ نهى أن يستنجي الرجل بيمينه[١]، والنهي للتحريم، فالاستنجاء يكون باليد اليسار.

۞ ۞ ۞

---

(١) البخاري: الوضوء (١٥٤)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٣١٠)، وأحمد (٥/ ٣٠٠).

دخول الخلاء برجله اليسرى

قال المؤلف - رحمه الله - : وإدخاله رجله اليسرى عند دخول الخلاء، وقوله - بعد ذكر اسم الله - : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث..

الشرح : إذا دخل بيت الخلاء يقدم رجله اليسرى، وإذا خرج يقدم رجله اليمنى، ويقول: باسم الله.

وباسم الله هذه ليست ثابتة، ولكن من النصوص العامة، لكن الثابت عند دخول الحمام: «اللهم إني أعوذ بك من الخُبُثِ والخبائث»[1] والخُبُث: ذكران الشياطين، والخبائث: إناثهم.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: الوضوء (١٤٢)، ومسلم: الحيض (٣٧٥)، والترمذي: الطهارة (٦)، والنسائي: الطهارة (١٩)، وأبو داود: الطهارة (٤)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٢٩٦)، وأحمد (٣/٩٩)، والدارمي: الطهارة (٦٦٩) .

الخروج من الخلاء برجله اليمنى

قال المؤلف - رحمه الله - : وإخراج الرجل اليمنى إذا خرج، وقوله: «الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني»[١].

الشرح : السنة إذا خرج من الحمام، أن يخرج عكس المسجد، فيقدم رجله اليمنى، ويقول: «الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني»[٢] وهذا الحديث رواه ابن ماجه بسند ضعيف، لكن الثابت أن يقول: «غفرانك»[٣] أي: أسألك غفرانك.

❁ ❁ ❁

---

(١) ابن ماجه: الطهارة وسننها (٣٠١) .

(٢) ابن ماجه: الطهارة وسننها (٣٠١) .

(٣) الترمذي: الطهارة (٧)، وأبو داود: الطهارة (٣٠)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٣٠٠) .

سنن الفطرة

قال المؤلف - رحمه الله - : واستعمال العشر التي قيل إنها من الفطرة، وهي سنة أبينا إبراهيم وهي خمس في الرأس، وخمس في البدن، فأما اللواتي في الرأس: فالمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب والفرق، وأما اللواتي في البدن: فالاستنجاء والختان وحلق العانة وتقليم الأظفار ونتف العطفين.

الشرح : استعمال العشر التي قيل إنها من الفطرة، وهذا جاء في الحديث في صحيح مسلم وغيره - والحديث له روايات مختلفة - قال: **«عشر من الفطرة**[(١)] - وذكر منها - **المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب»**[(٢)] وفي بعضها: **«وغسل البراجم»**[(٣)] والبراجم: عقد الأصابع.

وإعفاء اللحية، وقص الشارب، والختان، وحلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظفار، هذه العشر من الفطرة، بعضها واجب وبعضها مستحب.

المؤلف قال: خمس في الرأس، وخمس في الجسد.

فالتي في الرأس: المضمضة والاستنشاق - وهذا واجب في الوضوء وفي

---

(١) مسلم: الطهارة (٢٦١)، والترمذي: الأدب (٢٧٥٧)، والنسائي: الزينة (٥٠٤٠، ٥٠٤١)، وأبو داود: الطهارة (٥٣)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٢٩٣)، وأحمد (١٣٧/٦) .

(٢) ابن ماجه: الطهارة وسننها (٢٩٤)، وأحمد (٤/ ٢٦٤) .

(٣) مسلم: الطهارة (٢٦١)، والترمذي: الأدب (٢٧٥٧)، والنسائي: الزينة (٥٠٤٠)، وأبو داود: الطهارة (٥٣)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٢٩٣)، وأحمد (٦/ ١٣٧) .

الغسل -، والسواك مستحب، وقص الشارب واجب، وإعفاء اللحية - أيضًا - واجب، وما ذكر هنا إعفاء اللحية، والفرق - فرق شعر الرأس أي يجعله فرقتين -، وهذا لا أذكر أنه من الفطرة، لكن المعروف بدلها إعفاء اللحية وهي من الفطرة الواجبة.

واللواتي في البدن: الاستنجاء، وهذا واجب لا بد منه، والختان، وحلق العانة، وتقليم الأظفار، ونتف العطفين: أي: الإبطين، وجاء في حديث أنس: أن النبي ﷺ وقت في تقليم الأظفار، وحلق العانة، ونتف الإبط، وقص الشارب، ألا يترك أكثر من أربعين ليلة[1] فإذا أخرها أكثر من أربعين فهو أقله وهو مكروه كراهة شديدة.

❊ ❊ ❊

(١) مسلم: الطهارة (٢٥٨)، والترمذي: الأدب (٢٧٥٨)، والنسائي: الطهارة (١٤)، وأبو داود: الترجل (٤٢٠٠)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٢٩٥)، وأحمد (٣/ ١٢٢).

تقديم الرجل اليمنى عند دخول المسجد وتأخيرها إذا خرج

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة تقديم الرجل اليمنى عند دخول المسجد، وتأخيرها إذا خرج، وقوله عند الدخول: «اللهم صل على محمد النبي وسلم، واغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك»(١) وإذا خرج مثل ذلك إلا أن يقول: «وافتح لي أبواب فضلك»(٢).

الشرح : من السنة تقديم الرجل اليمنى عند دخول المسجد، وتقديم الرجل اليسرى عند الخروج، ومن السنة - أيضًا - أن يصلي على النبي ﷺ ويقول عند الدخول: **«اللهم افتح لي أبواب رحمتك»**(٣) وعند الخروج يقول: **«اللهم افتح لي أبواب فضلك»**(٤) والمناسبة في هذا أنه عند الدخول يطلب رحمة الله، وعند الخروج يبتغي من فضل الله، فقد انتهت العبادة، كما قال

---

(١) الترمذي: الصلاة (٣١٤)، وابن ماجه: المساجد والجماعات (٧٧١)، وأحمد (٦/ ٢٨٢) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧١٣)، والنسائي: المساجد (٧٢٩)، وأبو داود: الصلاة (٤٦٥)، وابن ماجه: المساجد والجماعات (٧٧٢)، وأحمد (٣/ ٤٩٧)، والدارمي: الصلاة (١٣٩٤) .

(٤) المرجع السابق .

الله - سبحانه وتعالى - : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[1].

وهذا ثابت من حديث أبي حُمَيْد الساعدي وأبي أُسَيْد أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك»[2] رواه مسلم والترمذي وهذا من السنن المستحبة.



(١) سورة الجمعة آية : ١٠ .

(٢) مسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧١٣)، والنسائي: المساجد (٧٢٩)، وأبو داود: الصلاة (٤٦٥)، وابن ماجه: المساجد والجماعات (٧٧٢)، وأحمد (٣/٤٩٧)، والدارمي: الصلاة (١٣٩٤) .

المشي إلى الصلاة بسكينة ووقار

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة الوقار في المشي، والسكينة عند المشي إلى الصلاة. .

الشرح : من السنة أن يمشي الإنسان بوقار وسكينة إلى الصلاة؛ لأنه يمشي إلى أداء العبادة، فهو في حكم المصلي؛ ولهذا منهي عن التشبيك بين أصابعه.



النهي عن فرقعة الأصابع عند الصلاة

قال المؤلف - رحمه الله - : وألا يفرقع الرجل أصابعه إذا أراد الصلاة . .

الشرح : ولا يفرقع الإنسان أصابعه؛ لأنه في ذهابه إلى المسجد في حكم المصلي، ولا يشبك أصابعه؛ لما ثبت في حديث كعب بن عجرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا توضأ أحدكم ثم خرج عامدًا إلى المسجد أو إلى الصلاة - فلا يشبك بين أصابعه، فإنه في صلاة**»[1] فهو في حكم المصلي.

أما إذا انتهت الصلاة فلا بأس من التشبيك بين الأصابع.

❁ ❁ ❁

(١) الترمذي: الصلاة (٣٨٦)، وأبو داود: الصلاة (٥٦٢)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٦٧)، وأحمد (٤/ ٢٤١)، والدارمي: الصلاة (١٤٠٤) .

النهي عن تشبيك الأصابع عند الصلاة

قال المؤلف - رحمه الله - : ولا يشبك يديه فيها..

الشرح : لا يشبك يديه؛ لما سبق في الحديث: «فلا يشبك بين يديه»[١] لأنه في حكم المصلي، أما إذا انتهت الصلاة فلا بأس، ولو كان في المسجد؛ لما ثبت أن النبي ﷺ لما صلى إحدى صلاتي العشي سلم من ركعتين، ثم ذهب إلى خشبة في مؤخرة المسجد، فاتكأ عليها، وشبك بين أصابعه كأنه غضبان[٢] يعتقد أنه انتهى من الصلاة، وكان قد بقي ركعتين؛ فدل على أنه إذا انتهى من الصلاة فلا بأس بالتشبيك، إنما هذا قبل الصلاة.

۞ ۞ ۞

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الصلاة (٤٨٢)، وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٧٣)، وسنن الترمذي: كتاب الصلاة (٣٨٦)، وسنن النسائي: كتاب السهو (١٢٢٤)، وسنن أبي داود: كتاب الصلاة (١٠٠٨)، وسنن ابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢١٤)، ومسند أحمد (٢/ ٢٣٤)، وسنن الدارمي: كتاب الصلاة (١٤٩٦) .

الخشوع في الصلاة وترك العبث فيها

قال المؤلف - رحمه الله - : ويترك العبث فيها، والالتفات، وترك العبث بالخاتم واللحية، ودوام الخشوع، والنظر إلى موضع السجود..

الشرح : الحركات الكثيرة إذا توالت وكثرت في الصلاة، فإنها تبطل الصلاة عند أهل العلم، وكذلك الالتفات **«اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد»**[(١)] والالتفات بالرأس إذا كان لحاجة فلا بأس؛ لما ثبت أن النبي ﷺ لما ذهب يصلح بين بني عوف وتأخر، وقدّم الناس أبا بكر وجاء النبي ﷺ جعل الناس يصفقون، وكان أبو بكر لا يلتفت، فلما أكثروا من التصفيق التفت، فإذا النبي ﷺ فتأخر[(٢)] فهذا لحاجة.

أما إذا التفت بالجسم حتى استدبر القبلة، بطلت الصلاة، فالالتفات

---

(١) البخاري: الأذان (٧٥١)، والترمذي: الجمعة (٥٩٠)، والنسائي: السهو (١١٩٦)، وأبو داود: الصلاة (٩١٠)، وأحمد (٦/ ٧٠) .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان (٦٨٤)، وصحيح مسلم: كتاب الصلاة (٤٢١)، وسنن الترمذي: كتاب الطهارة (٦٩) وكتاب الصلاة (٣٢٣) وكتاب الجنائز (١٠١١) وكتاب تفسير القرآن (٣١٤٩، ٣١٨٠، ٣٢٥٠) وكتاب المناقب (٣٦٦٠، ٣٦٧٢، ٣٨٤٦)، وسنن النسائي: كتاب الإمامة (٧٨٤، ٧٩٣) وكتاب السهو (١١٨٣)، وسنن أبي داود: كتاب الصلاة (٩٤٠)، وسنن ابن ماجه: كتاب تعبير الرؤيا (٣٩١٨) وكتاب الفتن (٤٠٧٧)، ومسند أحمد (٥/ ٣٣٢، ٥/ ٣٣٨)، وموطأ مالك: كتاب النداء للصلاة (٣٩٢)، وسنن الدارمي: كتاب المقدمة (٤٥، ٨١) وكتاب الصلاة (١٢٥٧، ١٣٦٢) وكتاب الرقاق(٢٧٩٧) .

بالجسم لا يجوز، لكن الالتفات بالعنق فقط للحاجة فلا بأس، ولغير الحاجة لا ينبغي.

وترك العبث بالخاتم واللحية، ودوام الخشوع، فينبغي للإنسان أن يخشع بقلبه وجوارحه، وأن ينظر إلى موضع سجوده، وفي التشهد ينظر إلى سبابته، حتى ولو كان يشاهد الكعبة في المسجد الحرام فالأفضل النظر إلى موضع سجوده.



وضع اليمين على الشمال في الصلاة

قال المؤلف - رحمه الله - : ووضع اليمين على الشمال تحت السرة، كفعل علي رضي الله عنه وأمره بذلك..

الشرح : حديث علي - من السنة في الصلاة وضع الكف تحت السرة[1] - ضعيف، والصواب ما ثبت فيه من حديث وائل بن حجر قال: صليت مع رسول الله ﷺ فوضع يده اليمنى على يده اليسرى على صدره، أما وضعهما تحت السرة فهذا ضعيف، وهو رأي عند الحنابلة استدلوا فيه بحديث علي.



(١) أبو داود: الصلاة (٧٥٦)، وأحمد (١/ ١١٠) .

الجهر بـ «آمين» عند قول الإمام «ولا الضالين»

قال المؤلف - رحمه الله - : والجهر بـ «آمين» عند قول الإمام: «ولا الضالين»، ومد الصوت بها..

الشرح : الجهر بـ «آمين» هذا سنة، وجاء في الحديث أن اليهود ما حسدونا على شيء مثل ما حسدونا على قولنا خلف الإمام «آمين»، وآمين معناها: اللهم استجب، والأحاديث في هذا صريحة منها: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[1] وهذا رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن، ومد الصوت بها؛ ليوافق تأمينه تأمين الملائكة.

❊ ❊ ❊

---

(١) البخاري: الأذان (٧٨٠)، ومسلم: الصلاة (٤١٠)، والترمذي: الصلاة (٢٥٠)، والنسائي: الافتتاح (٩٢٧)، وأبو داود: الصلاة (٩٣٥)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٥١)، وأحمد (٢/ ٢٣٣)، ومالك: النداء للصلاة (١٩٥)، والدارمي: الصلاة (١٢٤٦) .

العلم وذكر الله تعالى في المسجد وترك الخوض وحديث الدنيا

قال المؤلف - رحمه الله - : وكثرة ذكر الله عز وجل وذكر العلم في المسجد، وترك الخوض والفضول وحديث الدنيا فيه، فإن ذلك مكروه، وقد رويت فيه أحاديث غليظة صعبة، وطرق جياد صحاح ورجال ثقات منها. . . .

الشرح : ذكر الله في المسجد، وذكر العلم في المسجد هذا مطلوب ومشروع؛ لقول الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [١]، وقوله - سبحانه وتعالى - : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [٢] وقال - عليه الصلاة والسلام - : «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» [٣] رواه مسلم في صحيحه.

فالمشروع في المسجد الذكر والعلم، ويكره أن يخوض الإنسان في حديث الدنيا، لكن الشيء القليل قد يعفى عنه.

يقول المؤلف: رويت فيه أحاديث غليظة صعبة، بطرق جياد صحاح ورجال ثقات. . .

---

(١) سورة النور آية : ٣٦ .

(٢) سورة النور آية : ٣٧ .

(٣) مسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٦٩٩)، والترمذي: القراءات (٢٩٤٥)، وأبو داود: الصلاة (١٤٥٥)، وابن ماجه: المقدمة (٢٢٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٢) .

كراهية الجلوس في المسجد والخوض في أمور الدنيا

قال المؤلف - رحمه الله - : منها ما رواه عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «يكون في آخر الزمان قوم يجلسون في المساجد، أمامهم الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة»[1].

وهذا رواه الطبراني من حديث ابن مسعود، لكن الجلوس في المساجد، والخوض في الدنيا لا شك أنه مكروه.



(١) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة (٢٥٣٥)، وسنن ابن ماجه: كتاب الصيد (٣٢١٧)، ومسند أحمد (١٥٦/١) .

من علامات الساعة الحديث في أمور الدنيا في المساجد

قال المؤلف - رحمه الله - : ومنها ما روى عبد الله بن عمرو أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يجلس الناس في المساجد، ليس فيهم مؤمن، حديثهم الدنيا»[(١)].

ولا أعلم صحة الحديث، فهو يحتاج إلى البحث عن سنده.



(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٤٨٩). وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

حديث الدنيا وأهلها في المساجد

قال المؤلف - رحمه الله - : ومنها ما قاله الحسن: سيأتي على الناس زمان يجلسون في المساجد حلقًا حلقًا، حديثهم الدنيا، لا تجالسوهم فإن الله عز وجل قد تركهم من بين يديه، فهذا كله من حديث الدنيا وأهلها في المساجد..

الشرح: وهذا من قول الحسن، ولا شك أن الخوض في حديث الدنيا في المسجد مكروه ولا ينبغي؛ لأن المساجد بنيت للصلاة والذكر، وتعليم العلم، لكن الشيء القليل قد يعفى عنه.



البيع والشراء في المسجد

قال المؤلف - رحمه الله - : والبيع والشراء بالجدال والخصومة..

الشرح: وهذا منهي عنه في المسجد.



إنشاد الضالة والشعر والغزل ورفع الصوت في المسجد

قال المؤلف - رحمه الله - : وإنشاد الضوال، وإنشاد الشعر والغزل، ورفع الصوت، وسل السيوف وكثرة اللغط..

الشرح: «إذا رأيتم المبيع يبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح الله تجارتك، وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا: لا ردها الله عليك»[1] جزاءً له بنقيض قصده؛ لأن المساجد إنما بنيت لما بنيت له؛ فما بنيت المساجد لإنشاد الضوال أو البيع والشراء.

أما إنشاد الشعر فهذا فيه تفصيل؛ فإن كان في الشعر محظور فإن هذا ممنوع، أما الشعر الحسن الذي فيه بيان الحق، ورد الباطل والبدع، وكذلك النظم فهذا لا بأس به؛ لأن حسان بن ثابت رضي الله عنه كان ينشد الشعر في مسجد النبي ﷺ ولا ينكِر عليه.

وثبت أن حسان كان ينشد الشعر في المسجد بعد وفاة النبي ﷺ فلحظه عمر كأنه ينكر عليه، فقال له حسان: قد كنت أنشد فيه، وفيه من هو خير منك، يعني: النبي ﷺ فسكت عمر.

أما الشعر الذي يحتوي على الهجاء أو الغزل، أو قلب الحق بالباطل، أو وصف النساء، فهذا ممنوع، ولا ينبغي في المسجد.

---

(١) مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٦٨)، والترمذي: البيوع (١٣٢١)، وأبو داود: الصلاة (٤٧٣)، وابن ماجه: المساجد والجماعات (٧٦٧)، وأحمد (٢/ ٣٤٩)، والدارمي: الصلاة (١٤٠١) .

ومن المنهي عنه رفع الصوت في المساجد، وسل السيوف، وكثرة اللغط؛ لحديث جبير بن مطعم: «لا تسل السيوف، ولا ينثر النبل في المساجد، ولا يحلف بالله في المساجد»[1] وإن كان الحديث في سنده ضعف، لكن كل هذا ليس محلًا للمسجد.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٣٩) .

دخول الصبيان والنساء والمجانين والجنب إلى المسجد

قال المؤلف - رحمه الله - : ودخول الصبيان والنساء والمجانين والجنب، والارتفاق بالمسجد، واتخاذه للصنعة والتجارة كالحانوت، مكروه كله، والفاعل له آثم؛ لنهي رسول الله ﷺ وتغليظه على فاعله..

الشرح : دخول الصبيان والنساء في المسجد لا بأس به، فقد كانت النساء يصلين مع النبي ﷺ الصلوات الخمس والجمعة، ففي الحديث: أن النبي ﷺ كان يصلي الفجر، ويصلي معه نساؤه، متلفعات بمروطهن، ما يعرفهن أحد من الغلس[1]. لكن بشرط أن تخرج المرأة متسترة متحجبة، ليست متطيبة، وليس عليها ثياب تلفت أنظار الرجال، أي: تعمل بالضوابط الشرعية.

وكذلك الأطفال، لكن إذا كانوا لا يلهون في المسجد فلا بأس، ثبت أن الحسن والحسين كانا يدخلان المسجد مع النبي ﷺ وكانا يرتحلانه إذا سجد، وقد جاء إليه الحسن - أيضًا - وهو في الخطبة فأخذه ﷺ، وثبت أنه كان يصلي بالناس ومعه أمامة بنت ابنته زينب، وكان إذا قام حملها وإذا سجد

---

(١) البخاري: مواقيت الصلاة (٥٧٨)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٦٤٥)، والترمذي: الصلاة (١٥٣)، والنسائي: المواقيت (٥٤٥)، وأبو داود: الصلاة (٤٢٣)، وابن ماجه: الصلاة (٦٦٩)، وأحمد (٦/ ٣٧)، ومالك: وقوت الصلاة (٤)، والدارمي: الصلاة (١٢١٦) .

وضعها[1]، لكن إذا كان الصبي الطفل يؤذي، وله أصوات أو يلوث المسجد، فلا ينبغي الإتيان به، لكن لو جاء بدون اختيار الإنسان وكان لا يؤذي فلا بأس أن يضعه في مؤخرة المسجد.

والمجانين والجنب: لا يدخلون المسجد؛ فالجنب لا يدخل المسجد؛ قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾[2] الجنب والحائض لا يدخل المسجد، وإذا كان يعبر من باب إلى باب فلا بأس، أما الجلوس فلا.

والارتفاق: أي الاتكاء على مرفق يده، وهذا ليس فيه دليل، ولو اتكأ على مرفق يده وليس في المسجد أحد فلا أعلم في هذا مانعًا.

واتخاذه للصنعة: يكره اتخاذ المسجد للصنعة - نجارة أو حدادة... إلخ - أو اتخاذه للتجارة؛ أي: يجعله دكانًا يبيع ويشتري فيه؛ فكل هذا مكروه كراهة تحريم، والفاعل له آثم؛ لنهي رسول الله ﷺ وتغليظه على فاعله.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الصلاة (٥١٦)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٤٣)، والنسائي: السهو (١٢٠٤)، وأبو داود: الصلاة (٩١٧)، وأحمد (٥/٣٠٣)، ومالك: النداء للصلاة (٤١٢)، والدارمي: الصلاة (١٣٦٠).

(٢) سورة النساء آية: ٤٣.

مباشرة الرجل الرجل في ثوب واحد

قال المؤلف - رحمه الله - : ومما نهى عنه الرسول ﷺ وغلظ على فاعله «أن يباشر الرجل الرجل في ثوب واحد»[١] ليس بينهما غيره..

الشرح : يباشر الرجل الرجل في الاضطجاع، بأن يضطجع الرجل بجانب الرجل، ويمس اللحم اللحم، بحيث يفضي إلى الرجل؛ لقول النبي ﷺ: «لا يفضي الرجل للرجل في ثوب واحد»[٢] أي: ما بينهما شيء، فهذا منهي عنه؛ لأنه يؤدي إلى الشر والفساد والفتنة.

۞ ۞ ۞

(١) مسلم: النكاح (١٤٠٣) .
(٢) مسلم: الحيض (٣٣٨)، وأحمد (٣/ ٦٣) .

لعن المتجردين في إزار واحد

قال المؤلف - رحمه الله - : ولعن أيضًا المتجردين في إزار..

الشرح : أي المتعرِّين، والتجرد هو التعرية من الثياب.

بأن يكون الرجلان متجردين، وعليهما ثوب واحد، فهذا حرام؛ لما فيه من كشف العورة



النهي عن المكامعة

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى عن المكامعة: وهو أن يتعرى الرجلان في ثوب واحد..

الشرح : المكامعة أن يتعرى الرجلان في ثوب واحد، أي: يضطجعان ويكون عليهما ثوب واحد، قطعة واحدة، مثل الشرسف وما أشبه ذلك، لما فيه من التعري، فهذا محرم؛ لأنه يجب على الإنسان أن يستر عورته، حتى ولو لم يكن عنده أحد، من السرة إلى الركبة.



نهي الرجل أن يتعرى في بيت أو غيره

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى أن يتعرى الرجل في بيت أو غيره..

الشرح : نهى عن كون الإنسان يتعرى لقوله: (لا تمشوا عراة) يعني: يكون عاريًا، فلا يجوز، ولو لم يكن عنده أحد، بل يجب ستر العورة.



النظر إلى عورة الغير

قال المؤلف - رحمه الله - : أو ينظر إلى عورة أحد غيره . .

الشرح : لحديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده : «احفظ عورتك إلا من زوجك، أو ما ملكت يمينك» ، فقال : أرأيت إذا كان القوم بعضهم في بعض؟ قال : «إن استطعت ألا يراها أحد - يعني عورتك - فلا يراها» ، قال : أرأيت إن كان أحدنا خاليًا؟ - يعني ليس عنده أحد - قال : «الله أحق أن يستحيا منه» [1] رواه أبو داود. فلا يجب للإنسان أن يكشف عورته، ولو كان وحده، فالواجب ستر العورة.



(١) الترمذي : الأدب (٢٧٦٩)، وابن ماجه : النكاح (١٩٢٠) .

حديث الرجل بما يحدث بينه وبين أهله

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يحدث الرجل بما يخلو به مع امرأته . .

الشرح : كون الإنسان يتحدث بما يحصل بينه وبين أهله من الكلام أو الجماع فهذا من القبائح، التي ما يفعلها إلا الأراذل من الرجال، الذين ليس لديهم خلق ولا دين؛ فهو محرم؛ لما فيه من نشر للسر الذي بين الزوجين، نسأل الله السلامة والعافية.

وقد مَثَّل النبي ﷺ هذا في الحديث فقال: **«إنما مثل الإنسان الذي يتكلم مع أهله، ويحدث بما كان بينهما، مثل ذلك كمثل شيطان لقي شيطانة في الطريق، فغشيها والناس ينظرون»**[1] هذا الذي ستره الله، يحدث بما حصل بينه وبين أهله مثله كمثل شيطان لقي شيطانة فغشيها أي: جامعها، والناس ينظرون، وهذا ما يفعله إلا الأراذل من الرجال.

۞ ۞ ۞

(١) أبو داود: النكاح (٢١٧٤)، وأحمد (٢/ ٥٤٠) .

النهي عن الخذف

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يخذف الرجل بالحجر، ويرمي بالمدر في الأمصار..

الشرح : أن يخذف الرجل الحصاة وهي التي تكون بين الإصبعين؛ لأنها قد تصيب العين وتفقؤها.

والمدر: هو الشيء المدور من الطين مثل الحجر. ويرمي به في الأمصار أي: بين الناس، فهذا منهي عنه؛ ففي حديث عبد الله بن مغفل قال: نهى النبي ﷺ عن الخذف وقال: **«إنه لا يقتل الصيد، ولا ينكأ العدو، وإنما يفقأ العين، ويكسر السن»**[1].

وكان عبد الله بن مغفل قد رأى بعض أقاربه يرمي بالحجر، فنهاه وقال: نهى النبي ﷺ عن الخذف، وقال: **«إنها تفقأ العين، وتكسر السن»**[2] فهي إذا أصابت العين فقأتها، وإذا أصابت السن كسرتها، فلا تفيد في شيء، ولا تؤثر في العدو، ولا تصيد الصيد، ثم رآه بعد ذلك يخذف، فهجره وقال: أخبرك أن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، ثم تخذف، لا أكلمك أبدًا، ثم هجره.

وهذا الحديث فيه هجر من ترك السنة ومن خالف النصوص؛ فلا يجوز للإنسان أن يخذف بالحجر.

---

(١) البخاري: الأدب (٦٢٢٠)، ومسلم: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان (١٩٥٤)، والنسائي: القسامة (٤٨١٥)، وأبو داود: الأدب (٥٢٧٠)، وابن ماجه: الصيد (٣٢٢٧)، وأحمد (٤/٨٦)، والدارمي: المقدمة (٤٣٩) .

(٢) البخاري: الذبائح والصيد (٥٤٧٩)، ومسلم: الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان (١٩٥٤)، وأبو داود: الأدب (٥٢٧٠)، وابن ماجه: الصيد (٣٢٢٧)، وأحمد (٥/ ٥٤)، والدارمي: المقدمة (٤٣٩) .

اليمين الكاذبة

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى عن اليمين الكاذبة. . .

الشرح : اليمين الكاذبة منهي عنها، وهي اليمين الغموس التي تغمس صاحبها - والعياذ بالله - في الإثم، ثم في النار، ولا سيما إذا اقتطع بها مال امرئ مسلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١) وفي الحديث: «من حلف على مال امرئ مسلم بغير حق، لقي الله وهو عليه غضبان»(٢).

---

(١) سورة آل عمران آية : ٧٧ .

(٢) البخاري: الخصومات (٢٤١٧)، ومسلم: الإيمان (١٣٨)، والترمذي: البيوع (١٢٦٩)، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٤٣)، وابن ماجه: الأحكام (٢٣٢٣)، وأحمد (١/ ٤٤٢) .

بيع الثمر قبل بدو صلاحه

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن تباع الثمرة حتى تزهو. .

الشرح : وهذا منهي عنه؛ ففي الحديث: أن النبي ﷺ نهى أن تباع الثمرة حتى تزهو[١].

وفي اللفظ الآخر: نهى النبي ﷺ أن تباع الثمار حتى يبدو صلاحها[٢]؛ لأنها معرضة للآفات قبل بدو الصلاح وقبل الزهو، فكيف يبيع شيئًا وهو قد تصيبه الآفة ثم يخسر المشتري؟ بخلاف ما إذا بدا الصلاح، وبدا الزهو، فإنه - في الغالب - تسلم من الآفات.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: البيوع (٢١٩٥)، ومسلم: المساقاة (١٥٥٥)، والنسائي: البيوع (٤٥٢٦)، وابن ماجه: التجارات (٢٢١٧)، وأحمد (٣/ ٢٥٠)، ومالك: البيوع (١٣٠٤) .

(٢) البخاري: الزكاة (١٤٨٧)، ومسلم: البيوع (١٥٣٦)، والنسائي: الأيمان والنذور (٣٩٢١)، وأبو داود: البيوع (٣٣٧٣)، وابن ماجه: التجارات (٢٢١٦)، وأحمد (٣/ ٣٨١) .

بيع الكلب والقرد والخنزير

قال المؤلف - رحمه الله - : وعن بيع الكلب والقرد والخنزير.

الشرح : أما بيع الكلب ففيه نص صريح في حديث ابن مسعود: نهى النبي عن ثمن الكلب، ومهر البغي، وحلوان الكاهن[١].

ومهر البغي: الزانية، فهذا سحت. وحلوان الكاهن: ما يعطى على كهانته، وسُمي حلوانًا؛ لأنه يأخذه حلوًا بغير تعب.

وثمن الكلب؛ فالكلب لا يباع ولو كان كلب صيد، لكنه يهدى.

والخنزير محرم مثل الكلب، فلا يباع، والقرود لا تباع، فليس لها ثمن فهي محرَّمة.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: البيوع (٢٢٣٧)، ومسلم: المساقاة (١٥٦٧)، والترمذي: النكاح (١١٣٣)، والنسائي: الصيد والذبائح (٤٢٩٢)، وأبو داود: البيوع (٣٤٢٨)، وابن ماجه: التجارات (٢١٥٩)، وأحمد (١١٨/٤)، ومالك: البيوع (١٣٦٣)، والدارمي: البيوع (٢٥٦٨) .

اللعب بالنرد والشطرنج

قال المؤلف - رحمه الله - : ولعب النرد والشطرنج. .

الشرح : كذلك اللعب بالنرد والشطرنج منهي عنه، وهو نوع من القمار، وقد جاء في أحاديث تحريم النرد والشطرنج والملاهي، وأن أصحاب الشطرنج أكذب الناس.



الخلوة بالمرأة الأجنبية

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يخلو الرجل بامرأة غير ذات محرم..

الشرح : وإذا خلا الرجل بامرأة غير ذات محرم فالشيطان ثالثهما، لقوله ﷺ: **«لا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما»**(١) بأن يخلو بها في بيت أو في سيارة واحدة، أو في المصعد كل هذا خلوة، وهو مُحرم، فلا بد أن يكون معهما ثالث؛ فإذا كان معهما ثالث وليس هناك ريبة فإن الخلوة تزول به.

أما إذا كان هناك ريبة ولو كانوا ثلاثة أو مائة وهم فسقة يخشى الشر منهم، ما تزول الخلوة، هذا إذا كان في البلد.

أما السفر فهذا لا يجوز إلا مع محرم.



(١) الترمذي: الفتن (٢١٦٥)، وأحمد (١/١٨) .

فلا تزكوا أنفسكم

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يقول الرجل: لا نزال بخير ما بقيت لنا..

الشرح : لأن هذا تزكية للإنسان ومدح له، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[1]، وأمر النبي ﷺ بإحثاء التراب في وجه المداحين.

❁ ❁ ❁

(١) سورة النجم آية : ٣٢ .

قول الرجل ما شاء الله وشئت

قال المؤلف - رحمه الله - : وما شاء الله وشئت.

الشرح : وهذا من المحظورات وهو من الأقوال الشركية؛ لقول النبي ﷺ في حديث حذيفة: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا: ما شاء الله وحده»(١) وهذا شرك أصغر، ففيه التشريك بين الخالق والمخلوق بالمشيئة.



(١) أخرجه الطيالسي في المسند (١/ ٥٧) .

الحلف بغير الله

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يحلف الرجل بغير الله.

الشرح : وهذا - أيضًا - شرك أصغر؛ لحديث عمر أن النبي ﷺ قال: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[1]؛ ولحديث: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الأدب (٦١٠٨)، ومسلم: الأيمان (١٦٤٦)، والترمذي: النذور والأيمان (١٥٣٤)، والنسائي: الأيمان والنذور (٣٧٦٦)، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٤٩)، وابن ماجه: الكفارات (٢٠٩٤)، وأحمد (٢/٧)، ومالك: النذور والأيمان (١٠٣٧)، والدارمي: النذور والأيمان (٢٣٤١) .

(٢) الترمذي: النذور والأيمان (١٥٣٥)، وأبو داود: الأيمان والنذور (٣٢٥١)، وأحمد (١٢٥/٢) .

حد الشفرة والشاة تنظر إليه

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يحد الشفرة والشاة تنظر إليه.

الشرح : هذا من الأشياء المكروهة، أن يحد الرجل الشفرة - أي السكين -، ليذبح الشاة، وهي تنظر إليه؛ لأن هذا يؤلمها، وجاء في حديث ابن عباس أن النبي ﷺ مر على رجل وهو واضع رجله على صفحة شاة، وهو يحد شفرته، وهي تلحظ إليه ببصرها، قال: «أفلا قتلها هذا - أو - يريد أن يميتها ميتتين؟».



إعلام الأجير بأجرته قبل استعماله

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يستعمل الأجير حتى يعلم كم أجرته؟ .

الشرح : كونه يُعلم الأجير بأجرته فأحسن، حتى ما يكون بينهم نزاع ولا شقاق، وجاء في حديث فيه ضعف: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[1] أما حديث: «إذا استأجر أحدكم أجيرًا فليعلمه أجرته» فهذا يحتاج إلى ثبوت السند، لكن كونه يعلم أجره فهذا أحسن؛ لأن هذا فيه قطع للنزاع، لكن لو عمل عنده ولم يعلمه أجرته كم هي، وهو يعلم أنه سيعطيه ما يطلبه فلا بأس.



(١) ابن ماجه: الأحكام (٢٤٤٣) .

النهي عن النجش

قال المؤلف - رحمه الله - : وعن النجْش: وهو أن يزيد الرجل في السلعة وليست من حاجته..

الشرح : وعن النجْش - بإسكان الجيم - : هو أن يزيد في السلعة وهو لا يريد شراءها، حتى يضر المشتري أو ينفع البائع؛ فهذا حرام؛ لما فيه من إيغار الصدور؛ ولأنه من أسباب العداوة والبغضاء.

والنجْش: مأخوذ من نجش الصيد إذا أثاره عن مكانه، وهذا كأنه يثير السلعة، وهذا الناجش الذي يزيد في السلعة كأنه أثار السلعة ورفعها.



لحوم الجلالة وألبانها وبيضها

قال المؤلف - رحمه الله - : وعن أكل لحوم الجلالة وألبانها وبيضها من الإبل والبقر والغنم والدجاج، وقيل: تحبس الإبل أربعين يومًا، والبقر ثلاثين يومًا، والغنم سبعة أيام، والدجاج ثلاثة أيام. .

الشرح : الجلالة: هي التي تأكل العذرة - النجاسات -، فلا يؤكل لحمها ولا ألبانها حتى تحبس وتطعم الطعام الطيب، حتى يزول الخبث، فسواء الجلالة من الإبل أو البقر أو الغنم أو الدجاج التي تأكل النجاسة فهذه تحبس وتُطعَم طعامًا طيبًا حتى يزول الخبث منها.

أما قوله: تحبس الإبل أربعين يومًا، والبقر ثلاثين يومًا، والغنم سبعة أيام، والدجاج ثلاثة أيام: فهذا يحتاج إلى دليل، في حديث ابن عمر كان إذا ذبح دجاجة حبسها ثلاثة أيام. لكن هذا التحديد يحتاج إلى دليل.

لكن المهم في ذلك أنها تحبس وتطعم طعامًا طيبًا حتى يزول ما في بطنها من الخبث.



بيع الغرر

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى عن بيع الغرر.

الشرح : نهى النبي ﷺ عن بيع الغرر، والغرر: كل ما فيه جهالة، كالشيء الغير معلوم، مثل أن يبيع سلعة غير معلومة الثمن، أو يبيع شيئًا مجهولاً، أو يبيع سلعة وهو لا يعلم ثمنها، أو مقدار الثمن أو مقدارها أو وصفها، فهذا كله منهي عنه لما فيه من الغرر.



بيع ما لا يملك وما ليس عنده

قال المؤلف - رحمه الله - : وبيع ما لا تملك، وبيع ما ليس عندك وعن شرطين في بيع.

الشرح : وقد جاء هذا في الحديث، قول النبي ﷺ: «لا يحل سلف وبيع، ولا شرطان في بيع ولا ربح ما لم يضمن، ولا بيع ما ليس عندك» (١) رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

فلا يجوز للإنسان أن يبيع السلعة وهو لا يملكها؛ فبعض الناس إذا جاءه أحد يشتري منه سلعة باعه السلعة وهي ليست عنده ثم يذهب إلى السوق ويشتري السلعة؛ فهذا حرام.

ونهى - أيضًا - عن الشرطين في البيع؛ لأنه يفضي إلى النزاع والشقاق، أما الشرط بالواحد فلا بأس؛ ففي الصحيحين أن جابر رضي الله عنه باع على النبي جملًا واشترط حملانه إلى المدينة(٢) فهذا بيع وشرط.

أما الشرطان ففيهما خلاف، قيل: إن المراد الشرطان يعني غير الصحيحين، وقيل: ولو صحيحين؛ لما أنهما يفضيان إلى النزاع.

❁ ❁ ❁

---

(١) الترمذي: البيوع (١٢٣٤)، والنسائي: البيوع (٤٦١١)، وأبو داود: البيوع (٣٥٠٤)، وابن ماجه: التجارات (٢١٨٨)، وأحمد (٢/ ٢٠٥)، والدارمي: البيوع (٢٥٦٠) .

(٢) البخاري: الشروط (٢٧١٨)، ومسلم: المساقاة (١٥٢٠)، والنسائي: البيوع (٤٦٣٧)، وأبو داود: البيوع (٣٥٠٥)، وأحمد (٣/ ٢٩٩) .

ضرب وجه الدابة

قال المؤلف - رحمه الله - : وعن ضرب وجه الدابة، وعن السمة فيه.

الشرح : لا يجوز للإنسان أن يضرب الوجه، سواء كان وجه آدمي أو دابة؛ لأن الوجه مجمع المحاسن، والضرب يؤثر فيه؛ فلا يجوز للإنسان أن يضرب وجه إنسان أو دابة أو حيوان، وعن السمة فيه: يعني الوسم الذي يجعل في الوجه، وهو العلامة التي يُعلم بها أن هذا البعير أو البقرة أنها للقبيلة الفلانية، فيسمها مثلًا في الفخد أو في الظهر أو في الأذن في الغنم، أما الوسم في الرأس أو الوجه؛ فهذا حرام؛ لأن هذا يؤثر عليها. ولذلك نهى النبي ﷺ عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه[1]. رواه الإمام مسلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم: اللباس والزينة (٢١١٦)، والترمذي: الجهاد (١٧١٠)، وأبو داود: الجهاد (٢٥٦٤)، وأحمد (٣/٣١٨) .

البصق في وجه الإنسان

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يبصق في وجه إنسان.

الشرح : ونهى عن البصق فيه؛ أي: الوجه لأن هذا من الإهانة.



لا تمنع المرأة زوجها الفراش

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن تمنع المرأة زوجها الفراش.

الشرح : وهذا منهي عنه كما في الحديث: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»[1] رواه الشيخان، فلا يجوز للمرأة أن تمنع زوجها الفراش.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: بدء الخلق (٣٢٣٧)، ومسلم: النكاح (١٤٣٦)، وأبو داود: النكاح (٢١٤١)، وأحمد (٢/٣٨٦)، والدارمي: النكاح (٢٢٢٨) .

قول الرجل ما لا يفعل

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يقول الرجل ما لا يفعل، وأن يعد فيخلف.

الشرح : من صفات المنافقين العملية إذا وعد أخلف، قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف»[1].

وأن يقول الرجل ما لا يفعل: فينبغي للإنسان أن يقول شيئًا فعله.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الإيمان (٣٣)، ومسلم: الإيمان (٥٩)، والترمذي: الإيمان (٢٦٣١)، والنسائي: الإيمان وشرائعه (٥٠٢١)، وأحمد (٢/٣٥٧) .

حفظ السر

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يحدث بسر أخيه.

الشرح : ونهى أن يحدث الرجل بسر أخيه لأن هذا من الأمانة، وفي الحديث: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دِين لمن لا عهد له»[(١)] فهذا من السر، إذا استحفظك أخوك على سر فعليك أن تحفظ السر، وفي حديث أنس: أن النبي ﷺ أرسله في حاجة، ثم جاء إلى أمه، فقالت له: ما الذي أبطأ بك؟ قال: بعثني النبي ﷺ في حاجة - وكان أنس صغيرًا، لما هاجر النبي ﷺ كان أنس ابن عشر سنين - فقالت: ما حاجة رسول الله؟ فقال لأمه: إنها سر، فقالت: لا تحدث بسر رسول الله ﷺ[(٢)] فلا يحدث بالسر.

---

(١) أحمد (٣/ ١٣٥) .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الحوالات (٢٢٩٨)، وكتاب الشروط (٢٧٣٤)، وكتاب بدء الخلق (٣٢٠٧)، وكتاب أحاديث الأنبياء (٣٣٦٤)، وكتاب المناقب (٣٩٠٦، ٣٩١١)، وكتاب المغازي (٤١٤١، ٤٤١٨)، وكتاب تفسير القرآن (٤٥٥٣، ٤٥٦٦، ٤٧٥٠)؛ وصحيح مسلم: كتاب الحج (١٢١٨)، وكتاب الجهاد والسير (١٧٥٧)، وكتاب فضائل الصحابة (٢٤٧٣)، وكتاب التوبة (٢٧٦٩، ٢٧٧٠)، وكتاب الزهد والرقائق (٣٠١٤)؛ وسنن الترمذي: كتاب الطهارة (١٢، ٦١، ١٢٨)، وكتاب الصلاة (١٤٩، ١٥٥، ١٥٩، ١٧٥، ١٨٤، ٢٠٣، ٢٢٨، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٢٧، ٣٤٦، ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٩١، ٣٩٩، ٤١٠، ٤٢٦، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٨١)، وكتاب الجمعة (٥١١، ٥٢٣، ٥٣٧، ٥٤٤، ٥٤٨، ٥٥٣، ٥٦٠، ٥٦٤)، وكتاب الزكاة (٦٢١)، وكتاب الصوم (٧١٦، ٧٥٩، ٧٧٧)، وكتاب الحج (٨٢٥، ٨٨٠، ٨٨٢، ٩٢٨، ٩٥٠)، وكتاب الجنائز (٩٧٧، ١٠٠٩، ١٠٤٤، ١٠٤٦، ١٠٥٠، ١٠٧١)، وكتاب النكاح (١١٠٢، ١١٠٥، ١١١٦)، =

النهي عن الإسراف والإقتار

قال المؤلف - رحمه الله - : وعن الإسراف والإقتار.

الشرح : الإسراف: الزيادة في النفقة عن الحاجة، والإقتار: البخل ومنع النفقة الواجبة، وكلا الطرفين ذميم، فلا يبذر الإنسان ولا يبخل في الواجب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [1] ولكن بين ذلك، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [2] فهم وسط بين الإسراف وبين التقتير.

❁ ❁ ❁

= وكتاب الطلاق (١١٧٦، ١٢٠٢)، وكتاب البيوع (١٢٤٠، ١٢٤١)، وكتاب الأحكام (١٣٤٨، ١٣٥٧، ١٣٦٣، ١٣٧٣)، وكتاب الحدود (١٤٣٣)، وكتاب الأضاحي (١٥٠٩)، وكتاب السير (١٥٦١، ١٦١٠)، وكتاب الجهاد (١٧٠٥)، وكتاب اللباس (١٧٤١)، وكتاب الأشربة (١٨٦٤، ١٨٨٠، ١٨٩٣)، وكتاب البر والصلة (١٩٣٠، ٢٠١٥)، وكتاب الطب (٢٠٣٩، ٢٠٨٢)، وكتاب الفتن (٢١٦٠، ٢١٦٥، ٢٢٤٠، ٢٢٤٩)، وكتاب الرؤيا (٢٢٩٣)، وكتاب الزهد (٢٣٦٩، ٢٤١٣)؛ وسنن النسائي: كتاب الصلاة (٤٤٨)، .

(١) سورة الإسراء آية : ٢٩ .

(٢) سورة الفرقان آية : ٦٧ .

الحزن للدنيا والفرح لها

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يحزن للدنيا ويفرح لها.

الشرح : نهى أن يحزن الرجل للدنيا؛ لأن الدنيا فانية، فلا ينبغي للإنسان أن يحزن للدنيا ولا أن يفرح بها، بل يكون فرح الإنسان وحزنه لما يكون في دينه، فيفرح بفضل الله بتعليم العلم وبالقرآن، وبتوفيقه للعمل الصالح، ويحزن للمصيبة في الدِّين، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(١).



(١) سورة يونس آية : ٥٨ .

خروج الزوجة إلى العرسات والنياحات

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يطيع عرسه في الخروج إلى العرسات والنياحات.

الشرح : وأن يطيع عرسه - يعني زوجته - في الخروج في العزسات - جمع عرس، وهو طعام الوليمة - والنياحات.

والمعنى: إذا استأذنت زوجته أن تخرج إلى الأعراس - وهو طعام الوليمة - والنياحة فلا يطيعها.

وهذا فيه تفصيل؛ فإذا لم يكن في حفلات الزواج اختلاط، أو منكر، وليس فيه أغان ولا سهر فلا بأس. وأما الخروج للنياحة فممنوع؛ لأن النياحة حرام، وليس له أن يطيعها في ذلك.



خروج الزوجة إلى الحمامات

قال المؤلف - رحمه الله - : والحمامات وأن يطيعها في هواها.

الشرح : ولا يأذن لها أن تذهب إلى الحمامات؛ لقول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حبيبته الحمامات» وجاء في الحديث الآخر: «من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فلا يدخلن الحمام إلا بإزار»[١].

والمراد بالحمامات: التي كانت تؤجر في الشوارع، فقد كانت الحمامات قديمًا في الشام تؤجر، وكان بها الماء الحار والبارد، وأحيانًا يكون عند الإنسان من يدلكه ويغسل جسمه؛ ولهذا جاء في الحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فلا يدخلن الحمام إلا بإزار»[٢] يعني إزار يستر العورة؛ لأن معه من يدلكه، فلا يكشف عورته.

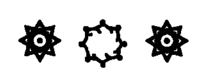
وكذلك المرأة لا يأذن لها أن تدخل الحمامات التي تؤجر في الشوارع؛ لأن في هذا فتنة، وقد تكون هذه الحمامات غير محفوظة، أما الحمام الذي في البيت فخارج عن هذا النهي، فكون الإنسان يدخل الحمام الذي في بيته فإن هذا ما يسمى حمامًا، وإنما يسمى مكانًا للوضوء، وقول النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فلا يدخلن الحمام إلا بإزار»[٣] فهذا من أعلام

---

(١) الترمذي: الأدب (٢٨٠١)، وأحمد (٣/ ٣٣٩) .
(٢) الترمذي: الأدب (٢٨٠١)، وأحمد (٣/ ٣٣٩) .
(٣) الترمذي: الأدب (٢٨٠١)، وأحمد (٣/ ٣٣٩) .

النبوة، فقد قاله - عليه الصلاة والسلام - قبل أن تفتح الشام ثم فُتحت ووجد فيها الحمامات.

ومثله المواقيت التي وقتها ﷺ؛ فوقت لأهل الشام الجحفة وهم لم يسلموا بعد، فهذا من أعلامه أنهم سيسلمون ويحجون فيكون هذا ميقاتهم.



طاعة الزوجة في هواها

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يطيعها في هواها.

الشرح : ولا يطيع الرجل زوجته في هواها إذا كان مخالفًا للشرع.



عدم طاعة المرأة في كل ما تريد

قال المؤلف - رحمه الله - : قال: وإن أطاع امرأته في كل ما تريد أكبَّته على وجهه في النار.

الشرح : هذا القول يحتاج إلى ثبوت، فإذا أطاع الرجل زوجته في أمر مباح ولا محظور فيه فلا بأس، فقد كان النبي ﷺ لينًا رفيقًا، وكان إذا هويت عائشة شيئًا هويه. أما كونه يطيعها في كل شيء حتى في المعاصي فهذا ممنوع.



لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يطيعها في عقوق والديه، وقطع رحمه، ومواساة أخيه في الله.

الشرح : ليس للرجل أن يطيع زوجته في عقوق الوالدين؛ لأن هذا طاعة في المعصية، فإذا أمرته بعقوق والديه أو قطع رحمه فلا يطيعها؛ لأن هذا منكر، فليس له أن يطيعها في المعصية: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»** (١).

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: المغازي (٤٣٤٠)، ومسلم: الإمارة (١٨٤٠)، والنسائي: البيعة (٤٢٠٥)، وأبو داود: الجهاد (٢٦٢٥)، وأحمد (١/ ٩٤) .

خالفوهن ترشدوا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال: خالفوهن ترشدوا ويبارك لكم.

الشرح : فهذا الحديث لا أصل له، فلا يثبت: خالفوهن ترشدوا ويبارك لكم.

لكن هذا فيه تفصيل، فإن أمرته في المعصية فيخالفها، وإن أمرته في الطاعة فيوافقها، وإذا أمرت في أمر مباح فينظر فيه.



معاشرتها بالمعروف ولا يضرها

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى عن ضرارهن والاعتداء عليهن.

الشرح : قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾(١) وقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾(٢) فلا يجوز للإنسان أن يضار زوجته، ولا أن يعتدي عليها، بل يجب عليه أن يعاشرها بالمعروف ويحسن إليها، وقال عليه الصلاة والسلام: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»(٣).



---

(١) سورة الطلاق آية : ٦ .
(٢) سورة النساء آية : ١٩ .
(٣) الترمذي: المناقب (٣٨٩٥)، والدارمي: النكاح (٢٢٦٠) .

العدل والتسوية في القسمة بين الزوجات

قال المؤلف - رحمه الله - : وأمر بالعدل والتسوية في القسمة بينهن.

الشرح : العدل بين الزوجات واجب، ولا يجوز للإنسان إذا كان له زوجتان فأكثر أن يجور على إحداهن؛ ففي الحديث: **«من كان عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط»**[1] وفي لفظ: **«وأحد شقيه مائل»**[2].

فيجب العدل بين الزوجتين والزوجات في أربعة أمور: في النفقة، والكسوة، والسكنى، والقَسْم، فكل واحدة لها ليلة، ينام عندها، ولو كانت حائضًا أو نفساء، ولا يشترط الجماع، المهم البيتوتة، يبيت عندها، أما محبة القلب وما ينشأ عن الوطء والجماع فهذا لا يملكه الإنسان؛ ولهذا كان النبي - عليه الصلاة والسلام - يعدل في هذه الأمور ويقول: **«اللهم إن هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»**[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) الترمذي: النكاح (١١٤١)، والنسائي: عشرة النساء (٣٩٤٢)، وأبو داود: النكاح (٢١٣٣)، وابن ماجه: النكاح (١٩٦٩)، وأحمد (٢/٣٤٧)، والدارمي: النكاح (٢٢٠٦) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) الترمذي: النكاح (١١٤٠)، والنسائي: عشرة النساء (٣٩٤٣)، وأبو داود: النكاح (٢١٣٤)، وابن ماجه: النكاح (١٩٧١)، وأحمد (٦/ ١٤٤)، والدارمي: النكاح (٢٢٠٧) .

أذية الجار

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى عن أذى الجار.

الشرح : في الحديث أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»[1] فمن الأمور المحرمة أن يؤذي الرجل جاره.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: النكاح (٥١٨٦)، ومسلم: الإيمان (٤٧)، وأحمد (٢/ ٢٦٧) .

التطاول والطعن في الأنساب

قال المؤلف - رحمه الله - : وعن التطاول والطعن في الأنساب، والهمز والغمز.

الشرح : فالتطاول في الأنساب، والتفاخر بالأحساب، كل هذا من أمور الجاهلية؛ ففي الحديث أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهم: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة على الميت»(١).

والهمز واللمز: العيب، والغمز: الإشارة باليد أو بالعين، يشير بيده أو بعينه لأخيه، يحتقره، فهذا حرام؛ إذ ليس لك أن تحتقر أخاك، فقد يكون خيرًا منك عند الله، ولا تلمزه أو تعيبه بنسب أو بقلة مال أو ما أشبه ذلك، أو تشير إليه باليد أو بالعين تستهزئ به، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾(٣).

۞ ۞ ۞

---

(١) مسلم: الجنائز (٩٣٤)، وأحمد (٥/ ٣٤٢) .

(٢) سورة الهمزة آية : ١ .

(٣) سورة القلم آية : ١٠ - ١١ .

المملوك لا يكلف من العمل ما لا يطيق

قال المؤلف - رحمه الله - : وشتم المماليك وضربهم وأمر أن يطعمهم مما يأكل ويكسوهم مما يلبس، ولا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون.

الشرح : المماليك: العبيد الذين يملكهم الإنسان، ويجب الإحسان إليهم، ولا يجوز شتم المماليك ولا ضربهم ولا إيذاؤهم، ويطعمهم مما يأكل، ويكسوهم مما يلبس، ولا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون؛ لما ثبت في الصحيحين: أن النبي ﷺ قال لأبي ذر - لما عيَّر رجلًا - : **«يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية»**[1] .

وقال: **«إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم - يعني الأرقاء - فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل مالا يطيق، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه عليه»**[2].

فالأفضل أن يكسو الإنسان عبده مثل كسوته، ويطعمه ما يطعم، لكن يجوز له أن يلبس أحسن منه، ويجوز له أن يأكل طعامًا خاصًا أحسن، لكن الأفضل أن يساويه.

---

(١) البخاري: الإيمان (٣٠)، ومسلم: الأيمان (١٦٦١)، والترمذي: البر والصلة (١٩٤٥)، وأبو داود: الأدب (٥١٥٧)، وابن ماجه: الأدب (٣٦٩٠)، وأحمد (٥/ ١٦١) .

(٢) البخاري: الأدب (٦٠٥٠)، ومسلم: الأيمان (١٦٦١)، والترمذي: البر والصلة (١٩٤٥)، وأبو داود: الأدب (٥١٥٧)، وابن ماجه: الأدب (٣٦٩٠)، وأحمد (٥/ ١٦١) .

والآن ليس فيه مماليك عبيد، وهذا يدل على ضعف المسلمين، وإنما يوجد المماليك إذا قوي المسلمون وجاهدوا في سبيل الله، وقاتلوا الأعداء، وغنموا وسبوا الذراري والنساء، فيصيرون عبيدًا لنا رجالهم ونساؤهم، لكن الآن ليس فيه عبيد إذ ليس فيه جهاد - نسأل الله أن يقيم عَلَم الجهاد - فلو انتصر الشيشان مثلًا على الروس وغنموهم يصيرون عبيدًا لنا وأرقاء يباعون ويشترون، فوجود العبيد يدل على قوة المسلمين ووجود الجهاد نسأل الله أن يرفع علم الجهاد.



العفو عن المملوك إذا أذنب

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يعفو عنهم ولو أذنبوا في اليوم سبعين ذنبًا.

الشرح : ينبغي للإنسان أن يعفو عن المماليك؛ ففي الحديث أن رجلًا قال للنبي ﷺ: كم أعفو عن الخدم؟ قال: «كل يوم سبعين مرة»[(١)] وهذا يحتاج إلى نظر في سنده.



(١) الترمذي: البر والصلة (١٩٤٩)، وأبو داود: الأدب (٥١٦٤) .

الطمأنينة في الصلاة

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى أن ينقر الرجل في صلاته كنقر الديك.

الشرح : نهى أن ينقر الإنسان الصلاة نقرًا كنقر الديك أو نقر الغراب، فلا بد من الطمأنينة في الركوع والسجود والخفض والرفع، حتى يعود كل مفصل إلى موضعه؛ ولما كان النبي ﷺ في المسجد دخل رجل فصلى ركعتين ونقر صلاته كنقر الغراب؛ قال له ﷺ: «ارجع فصل فإنك لم تصل» فرجع الرجل فصلى مثل صلاته، فقال له: «ارجع فصل فإنك لم تصل» حتى فعل هذا ثلاثًا[١] فعلمه وأرشده إلى الطمأنينة، قال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تطمئن قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم ارفع حتى تعتدل جالسًا، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»[٢].

۞ ۞ ۞

---

(١) البخاري: الأذان (٧٥٧)، ومسلم: الصلاة (٣٩٧)، والترمذي: الصلاة (٣٠٣)، والنسائي: الافتتاح (٨٨٤)، وأبو داود: الصلاة (٨٥٦)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٠٦٠)، وأحمد (٢/ ٤٣٧) .

(٢) المرجع السابق .

الطمأنينة عند الرفع من الركوع

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يسجد قبل أن يرفع رأسه من الركوع.

الشرح : هذا إذا سجد قبل أن يرفع رأسه من الركوع أي أنه لم يرفع رأسه، ترك ركنًا وهو الرفع من الركوع، وإذا ترك ركنًا من أركان الصلاة بطلت الصلاة.



عدم افتراش الرجلين في السجود والإقعاء

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يفترش ذراعيه في السجود كافتراش الكلب، وأن يقعي كإقعاء القرد.

الشرح : كون الإنسان يفترش ذراعيه في السجود فإن هذا منهي عنه؛ فلا بد أن يجافي عضديه عن جنبيه، وبطنه عن فخذيه.

قوله: وأن يقعي كإقعاء الكلب: أن يلصق الرجل وأليتيه بالأرض وينصب ساقيه ويجعل يديه خلفه.

أما إقعاء القرد فإن هذا يحتاج إلى دليل، إذ المعروف في الحديث النهي عن الإقعاء كإقعاء الكلب[١].



(١) أحمد (٢/ ٣١١) .

عدم مسابقة الإمام في أفعاله

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يرفع رأسه ويضعه قبل الإمام.

الشرح : لأن هذا من مسابقة الإمام، قال عليه الصلاة والسلام: «إني إمامكم، فلا تسبقوني في الركوع ولا في السجود، ولا بالانصراف»[١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إنما جعل الإمام ليؤتم به، إذا كبر فكبروا وإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده قولوا: ربنا ولك الحمد، وإذا صلى جالسًا فصلوا جلوسًا أجمعون»[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم: الصلاة (٤٢٦)، والنسائي: السهو (١٣٦٣)، وأبو داود: الصلاة (٦٢٤)، وأحمد (٣/ ١٠٢)، والدارمي: الصلاة (١٣١٧) .

(٢) البخاري: الأذان (٧٣٤)، ومسلم: الصلاة (٤١٤)، والنسائي: الافتتاح (٩٢١)، وأبو داود: الصلاة (٦٠٣)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٤٦)، وأحمد (٢/ ٣١٤)، والدارمي: الصلاة (١٣١١) .

عدم موافقة الإمام في الركوع والسجود

قال المؤلف - رحمه الله - : أو يشاركه في فعله.

الشرح : موافقة الإمام مكروهة، فالإنسان لا يوافق الإمام ولا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه، فهذه ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يتقدم على الإمام، يسبقه بركن أو ركنين، وهذا يبطل الصلاة إذا كان عن عمد، وإذا كان ناعسًا أو غافلًا فإنه يعود ويأتي به بعد الإمام.

الحالة الثانية: أن يوافق الإمام، فيركع ويسجد معه، وهذا مكروه.

الحالة الثالثة: أن يتأخر عنه كثيرًا، فبعض الناس يجلس والإمام يقرأ الفاتحة وهو جالس في السجود يدعو، ويقرأ الفاتحة وهو جالس، أو بعضهم يجلس فيستريح وليس به علة، حتى يقرأ الإمام الفاتحة، فهذا يبطل الصلاة؛ لأنه ترك القيام مع القدرة.

والحالة الرابعة: المتابعة، وهي أن تأتي بأفعالك بعد أفعال الإمام وهذه هي السنة.

❁ ❁ ❁

إذا رفع رأسه من الركوع قبل الإمام

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار».

الشرح : وهذا حديث ثابت رواه الشيخان: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار»[1] فهذا وعيد، وفي اللفظ الآخر: «أو يجعل رأسه رأس كلب»[2] نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) البخاري: الأذان (٦٩١)، ومسلم: الصلاة (٤٢٧)، والترمذي: الجمعة (٥٨٢)، والنسائي: الإمامة (٨٢٨)، وأبو داود: الصلاة (٦٢٣)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٩٦١)، وأحمد (٢/ ٤٦٩)، والدارمي: الصلاة (١٣١٦) .

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأذان (٦٩١)؛ وصحيح مسلم: كتاب الإيمان (٢٧، ٩٧، ١٦٩، ١٧١)، وكتاب الطهارة (٢٢٦، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٧٤، ٢٨٠)، وكتاب الحيض (٢٩٧، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢١، ٣٢٩، ٣٦٧)، وكتاب الصلاة (٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٤٠٠، ٤٢٧، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٩٨)، وكتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٦٩، ٦٠٥، ٦٤٢، ٦٧٥، ٦٧٩، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣)، وكتاب صلاة المسافرين وقصرها (٧٣٥، ٧٧١، ٨٠٦، ٨٣٢، ٨٤٠)، وكتاب الجمعة (٨٤٩)، وكتاب الكسوف (٩٠١، ٩٠٤، ٩٠٦)، وكتاب الجنائز (٩٤٠)، وكتاب الصيام (١١٢٢، ١١٦٧)، وكتاب الحج (١١٨٠، ١١٩٠، ١٢٠١، ١٢٠٣، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٦٠، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٥٧)، وكتاب النكاح (١٤٢٥)، وكتاب الطلاق (١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨٨)، وكتاب المساقاة (١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥)، وكتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات (١٦٧٢)، وسنن الترمذي: كتاب الطهارة (٣٢) .

من رفع أو وضع قبل إمامه

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال: من رفع أو وضع قبل إمامه فلا صلاة له.

الشرح : وهذا يحتاج إلى ثبوت؛ ففيه تفصيل: إذا رفع أو وضع قبل الإمام وسبقه بركن وكان متعمدًا بطلت الصلاة، وإن كان ناعسًا أو ناسيًا يعود ويأتي به بعده وصلاته صحيحة.



الاحتكاك في الصلاة

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى عن الاحتكاك في الصلاة.

الشرح : ذُكِرَ هذا عن سعيد بن جبير أنه قال: خمس ينقصن من الصلاة: الالتفات والاحتكاك. وفي الاحتكاك تفصيل؛ فإذا كان مضطرًا إلى الاحتكاك فلا بأس، لكن الاحتكاك من دون حاجة هذا عبث.



غسل باطن قدمه بباطن كفه اليمنى مرة بعد مرة

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى أن يغسل باطن قدمه بباطن كفه اليمنى مرة بعد مرة.

الشرح : لا أعلم أن هذا ثابت، قال المحشي: لعل هذا إنما هو لتكريم اليمين.



التثاؤب والنفخ

قال المؤلف - رحمه الله - : وعن التثاؤب والنفخ.

الشرح : لم يرد النهي عن التثاؤب؛ لأنه ليس باختيار الإنسان، لكن الذي جاء: «إذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع»[١] ومعنى يكظم: يضع يده على فمه يخفف الصوت، لكن منع التثاؤب ليس باختيار الإنسان.

والنفخ كذلك منهي عنه، وهو أن ينفخ الإنسان في الطعام وفي الشراب.

---

(١) البخاري: بدء الخلق (٣٢٨٩)، ومسلم: الزهد والرقائق (٢٩٩٤)، والترمذي: الصلاة (٣٧٠)، وأبو داود: الأدب (٥٠٢٨)، وأحمد (٢/٣٩٧) .

تقليب الحصى ومسح الجبهة في الصلاة

قال المؤلف - رحمه الله - : وتقليب الحصى فيها، وأن يمسح جبهته من التراب قبل أن يسلم.

الشرح : نهى أن يقلب الرجل الحصى وهو في الصلاة؛ لأن هذا من العبث، ومسح الجبهة من التراب أيضًا قبل أن يسلم، وإنما يمسح جبهته إذا سلم.



رفع البصر إلى السماء في الصلاة

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يرفع بصره إلى السماء في الصلاة.

الشرح : جاء في الحديث النهي عن ذلك؛ قال ﷺ: «لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء في الصلاة أو لتخطفن أبصارهم» (١) رواه مسلم في صحيحه.



(١) مسلم: الصلاة (٤٢٩)، والنسائي: السهو (١٢٧٦)، وأحمد (٢/ ٣٣٣) .

إغماض العينين في السجود

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يغمض عينيه في السجود.

الشرح : أن يغمض عينيه: هذا منهي عنه، وقد ورد ما يدل على أنه نهى عن إغماض العينين وأنه من فعل اليهود فلا ينبغي للإنسان أن يغمض عينيه، لكن بعض الناس يقول: أنا أخشع إذا أغمضت عيني، فهذا لا بد أن يعود نفسه أن لا يغمض عينيه في الصلاة إلا إذا كان أمامه شيء يؤذيه أو صور أو مشاهد تشوش عليه فلا بأس، وإلا فإنه لا ينبغي له أن يغمض عينيه.



القراءة في الركوع

قال المؤلف - رحمه الله - : ويقرأ في الركوع.

الشرح : وهذا منهي عنه، في صحيح مسلم: «نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا»[(١)] ففي الركوع عظموا فيه الرب، والدعاء في السجود؛ فليس في الركوع ولا في السجود قراءة.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم: الصلاة (٤٧٩)، والنسائي: التطبيق (١٠٤٥)، وأبو داود: الصلاة (٨٧٦)، وأحمد (١/٢١٩)، والدارمي: الصلاة (١٣٢٥) .

كف الشعر أو الثوب في الصلاة

قال المؤلف - رحمه الله - : ويكف شعرًا أو ثوبًا.

الشرح : وقد جاء النهي عنه؛ قال النبي ﷺ: «نهيت أن أكف شعرًا أو ثوبًا في الصلاة» بعض الناس يكف الثوب أو يرفع الشعر؛ فاسجد بثوبك وشعرك.

❁ ❁ ❁

السدل واشتمال الصماء

قال المؤلف - رحمه الله - : وعن السدل واشتمال الصماء.

الشرح : السدل: كونه يسدل ثوبه ويرخيه، واشتمال الصماء: أن يتجلل بثوب واحد، أي يكون عاريًا ويجعل عليه قطعة كاملة مثل الشرشف، ويجعلها عليه ثوبًا واحدًا، أي: ثوب واحد ليس عليه غيره، ما تحته سراويل ولا ثياب.

اشتمال الصماء المنهي عنه عند أهل اللغة بأن يشتمل الرجل بثوب واحد كالكيس يؤدي إلى احتباس النفس، وأما المحدثون فإنهم يفسرون اشتمال الصماء بأن يشتمل الرجل بثوب واحد - أي قطعة واحدة - ليس عليه ثوب مثل الشرشف، ويكون عاريًا ليس عليه إزار ولا رداء ولا سروال، فإذا حرك يديه ظهرت العورة، فنُهي عن اشتمال الصماء، أما إذا كان عليه سروال والعورة مستورة فلا حرج.



حل الإزار في الصلاة

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يصلي محلول الإزار، إذا لم يكن على قميصه رداء ومن تحته إزار.

الشرح : وهذا النهي - كونه يصلي محلول الإزار - لا أعلم فيه حديثًا، لكن فيه تفصيل: إذا كانت العورة تظهر فهذا ممنوع، أما إذا كان عليه قميص أو سروال أو تحته رداء فلا حرج.



الصلاة في ثوب يصف البشرة

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يصلي في قميص رقيق ليس تحته غيره.

الشرح : لا يجوز أن يصلي المرء في ثوب رقيق يصف البشرة؛ لأن البشرة تُرى من ورائها، أما إذا كان القميص صفيقًا بحيث لا تُرى لون البشرة - حمرتها - من ورائه فلا بأس، أو كان عليه سروال أو ثوب آخر فلا حرج.



تخطي رقاب الناس في الصلاة

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يتخطى الناس في الصلاة.

الشرح : ثبت في الحديث النهى عن التخطي، لما رأى النبي رجلًا يتخطى قال: «اجلس فقد آذيت وآنيت» [1] فلا يتخطى رقاب الناس؛ لأن هذا فيه أذية.

۞ ۞ ۞

(١) النسائي: الجمعة (١٣٩٩)، وأبو داود: الصلاة (١١١٨) .

سد الفرجة في الصف الأول

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يقوم الرجل في الصف الثاني وله في الصف الأول فرجة.

الشرح : وهذا يحتاج إلى دليل، لكن سد الفرجة مشروع، أما كونه يُنهى أن يكون الرجل في الصف الثاني وله في الصف الأول فرجة؛ فالأحاديث جاءت في إتمام الصف الأول فالأول، وإذا وجد فرجة فله أن يسدها، وإذا لم يسدها فلا بأس، وكونه يسدها أفضل؛ ولهذا جاء فضل من سد الفرجة في الحديث.



اعتماد الرجل على الحائط في الصلاة

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يعتمد الرجل على الحائط في الصلاة.

الشرح : ليس للإنسان أن يعتمد على الحائط، ولا على عصا إلا إذا كان كبير السن أو كان مريضًا فلا بأس أن يتكئ على الحائط، أما إذا كان صحيحًا وليس به علة فلا يتكئ وهو قائم في الصلاة، لا على الحائط ولا على العصا؛ فالقيام ألا يعتمد على شيء.



أماكن منهي عن الصلاة فيها

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يصلي الرجل في الحمام، ومعاطن الإبل، وقارعة الطريق، والمقبرة، والمجزرة، والمزبلة، وفوق ظهر بيت الله الحرام.

الشرح : هذا الأمور السبعة جاءت في أحاديث النبي ﷺ في حديث ابن عمر: أن النبي ﷺ نهى أن يُصلى في سبعة مواطن: في المزبلة، والمجزرة، والمقبرة، وقارعة الطريق، والحمام، وأعطان الإبل، وفوق ظهر بيت الله(١).

فالحمام؛ لأنه محل للاغتسال واختلاط الناس.

ومعاطن الإبل: وهي أماكن مباركها عند الماء وفي المراح؛ لأنها قد تأتيه وتؤذيه.

وقارعة الطريق؛ لأنه مكان للناس فقد يؤذيه أحد، أو يمر عليه ويلهيه؛ لأنه ليس مكانًا للصلاة.

والمقبرة؛ لأن الصلاة فيها من وسائل الشرك، فمنهي عنها، نهى النبي ﷺ قال: «لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها»(٢).

والمجزرة؛ لما فيها من الدماء وهو وسيلة لتنجيس ثيابه، وكذلك المزبلة.

وفوق ظهر بيت الله - فوق الكعبة -؛ لأنه لم يستقبل جميعها، بل استقبل

---

(١) الترمذي: الصلاة (٣٤٦)، وابن ماجه: المساجد والجماعات (٧٤٦) .

(٢) مسلم: الجنائز (٩٧٢)، والترمذي: الجنائز (١٠٥٠)، والنسائي: القبلة (٧٦٠)، وأبو داود: الجنائز (٣٢٢٩)، وأحمد (٤/ ١٣٥) .

بعضها، وكذلك لا تصح في داخل الكعبة؛ لأنه إنما استقبل جزءًا منها، هذا الذي قرره كثير من الفقهاء.

والمحققون على أنه لا بأس بالصلاة داخل الكعبة، والجمهور على أن صلاة الفريضة داخل الكعبة أو فوقها لا تصح، وإنما التي تصح النافلة، والصواب أنه لا بأس.



انصراف الرجل من الصلاة وهو شاك فيها

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن ينصرف الرجل من الصلاة وهو شاك فيها.

الشرح : إذا انصرف الرجل وهو شاك لا بد أن يسجد السهو، فإن كان عنده غلبة ظن بنى على غلبة الظن ويتمم صلاته ويصلي ركعتين، وإن لم يكن عنده غلبة ظن بنى على اليقين - وهو الأقل - ويسجد سجدتين، لما في حديث أبي سعيد: **«إذا شك أحدكم فلم يدر كم صلى؟ - ثلاثًا أم أربعًا - فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم»**[(١)].

وكما جاء في حديث ابن مسعود: **«فليتحر الصواب وليبن عليه ثم يسلم ثم ليسجد سجدتين بعد أن يسلم»**[(٢)].

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٧١)، والترمذي: الصلاة (٣٩٦)، والنسائي: السهو (١٢٣٨)، وأبو داود: الصلاة (١٠٢٤)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٠٤)، وأحمد (٣/ ٥٠)، ومالك: النداء للصلاة (٢١٤)، والدارمي: الصلاة (١٤٩٥) .

(٢) البخاري: الصلاة (٤٠١)، ومسلم: المساجد ومواضع الصلاة (٥٧٢)، والنسائي: السهو (١٢٤٤)، وأبو داود: الصلاة (١٠٢٠، ١٠٢٢)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢١١)، وأحمد (١/ ٤٥٥) .

ما يحرم من الزينة

قال المؤلف - رحمه الله - : ولعن ﷺ الواشمة والمستوشمة: وهي التي تضرب الخضرة وتُضرَب لها، والواصلة والمستوصلة: وهي التي تشد القرامل وتُشَدُّ لها، والنامصة والمتنمصة: وهي التي تنتف الشعر ويُنْتَفُ لها، والواشرة والموتشرة: وهي التي تفلج الأسنان وتُفْلَج لها.

الشرح : لعن النبي ﷺ فاعل كل هذه المعاصي؛ فدل هذا على أنها من الكبائر.

الواشمة: التي تفعل الوشم، والمستوشمة: التي يُفعَل بها، وهي أن يشق الجلد وتُغرس فيه إبرة ويُجعل فيه نوع من الكحل من الخضرة ويختلط بالدم ولا يزول أبدًا، وبعضهم يجعل الوشم في صورة طير، كالصقر مثلاً.

الواصلة: التي تصل الشعر، والمستوصلة: التي يفعل بها؛ فتصل شعرها بشعر آخر أو بغيره، وهي التي تشد القرامل، أي: أطراف الشعر.

النامصة: الفاعلة، والمتنمصة: المفعول بها، وهي التي تأخذ من الشعر.

الواشرة: التي تفلج الأسنان للحسن، تحك الأسنان حتى تكون فتحات بين الأسنان للجمال، فالواشرة ملعونة والمستوشرة المفعول بها ملعونة أيضًا.

✵ ✵ ✵

وضع المرأة ثوبها في غير بيت زوجها

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال النبي ﷺ: «أيما امرأة وضعت ثوبها في غير بيت زوجها فقد هتكت سترها المستور بينها وبين ربها»(١).

الشرح : وهذا الحديث في صحته نظر، يقول المحشي : رواه أبو داود عن عائشة، وهذا فيه تفصيل؛ فإذا وضعت ثوبها في غير بيت زوجها فإن كان فيه ريبة ويُخشى عليها من أن يراها أحد أو تتكشَّف عند الأجانب فهذا لا يجوز، أما إذا كانت مستورة في مكان فيه ستر وليس هناك محظور فلا بأس.

٭ ٭ ٭

(١) الترمذي: الأدب (٢٨٠٣)، وأبو داود: الحمام (٤٠١٠)، وابن ماجه: الأدب (٣٧٥٠)، وأحمد (٦/ ٢٦٧)، والدارمي: الاستئذان (٢٦٥١) .

آداب الأكل

قال المؤلف - رحمه الله - : ومما أدب به أمته ﷺ وندبهم فيه إلى معالي الأخلاق ومكارم الأفعال نهيُه ﷺ أن يأكل الرجل مما بين يدي أخيه، أو أن يأكل من ذروة القصعة، وقال: «وإن البركة تنزل في وسطها»[(١)].

الشرح : هذا من الآداب: أن لا يأكل الرجل مما بين يدي أخيه؛ لأن هذا مناف للآداب.

وأن لا يأكل من ذروة القصعة - أي وسط الصحن -، إنما يأكل مما يليه، وفي قوله: إن البركة تنزل في وسطها هذا يحتاج إلى ثبوت.

❊ ❊ ❊

---

(١) الترمذي: الأطعمة (١٨٠٥)، وأبو داود: الأطعمة (٣٧٧٢)، وابن ماجه: الأطعمة (٣٢٧٧)، وأحمد (١/ ٢٧٠)، والدارمي: الأطعمة (٢٠٤٦) .

غسل اليد قبل الطعام وبعده

قال المؤلف - رحمه الله - : وأمر بغسل اليد قبل الطعام وبعده وقال: إنه ينفي الفقر.

الشرح : الأمر بغسل اليد قبل الطعام وبعده، وهذا في ثبوته نظر، لكن كون المرء يغسل يده فإن هذا من باب النظافة فلا بأس.

أما قوله: إنه ينفي الفقر؛ فهذا لا يصح؛ إذ ليس عليه دليل.

أما غسل اليد قبل الطعام وبعده؛ فإذا وجد في اليد ما يحتاج إلى غسل بأن كانت غير نظيفة فلا بأس، وإن كانت نظيفة وترك الغسل فلا حاجة إلى الغسل، وكذلك بعد الطعام فلا بد من غسلها وإزالة الدسومة والدهان ولا سيما إذا أراد الصلاة.



الوضوء قبل الطعام وبعده

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أيضًا: «أيما قوم أدمنوا الوضوء قبل الطعام وبعده إلا أذهب الله بذلك عنهم الفقر»

الشرح : وهذا ليس بصحيح؛ إذ الوضوء قبل الطعام وبعده ليس له علاقة بالفقر والغنى؛ فالفقر بيد الله والغنى بيد الله.



ما يسقط من الطعام

قال المؤلف - رحمه الله - : وأمر أن يأكل الرجل مما ينتثر تحت الخوان، وقال: من أكل ذلك نُفِيَ عنه الفقر وعن ولده الحمق.

الشرح : وهذا ليس بصحيح، لكن إذا سقطت اللقمة فلا يتركها الإنسان؛ جاء في الحديث: «إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط ما بها من الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان»[1].

أما كونه إذا أكل ينفي عنه الفقر وينتفي عن ولده الحمق فهذا ليس بصحيح، وليس عليه دليل؛ فلا يثبت هذا.



(١) مسلم: الأشربة (٢٠٣٣)، وابن ماجه: الأطعمة (٣٢٧٠)، وأحمد (٣/ ٣١٥) .

نوم الرجل وهو أغمر اليد

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى أن ينام الرجل وهو أغمر اليد.

الشرح : نهى أن ينام الرجل وهو أغمر اليد أي: في يده طلاء من الورس، وهذا - أيضًا - يحتاج إلى ثبوت، والحديث الذي فيه: «من نام وفي يده غمر ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه»[1] في صحة الحديث نظر.

۞ ۞ ۞

---

(١) الترمذي: الأطعمة (١٨٦٠)، وأبو داود: الأطعمة (٣٨٥٢)، وابن ماجه: الأطعمة (٣٢٩٧)، وأحمد (٢/ ٢٦٣)، والدارمي: الأطعمة (٢٠٦٣) .

الوضوء للجنب إذا أراد أن يأكل أو يشرب

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يطعم وينام وهو جنب.

الشرح : جاء هذا في حديث عمر رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ: أينام أحدنا وهو جنب؟ قال: «نعم إذا توضأ»[١] .

ويستحب للمرء إذا أراد أن يأكل أو يشرب وهو على جنابة أن يتوضأ وضوءه للصلاة، وإن ترك فلا حرج، لكنه مكروه كراهة شديدة.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الغسل (٢٨٧)، ومسلم: الحيض (٣٠٦)، والترمذي: الطهارة (١٢٠)، والنسائي: الطهارة (٢٥٩)، وأبو داود: الطهارة (٢٢١)، وأحمد (١/ ٣٥)، ومالك: الطهارة (١٠٩) .

الوضوء للجنب إذا أراد أن ينام

قال المؤلف - رحمه الله - : وكان يحب لمن أراد أن ينام أو يأكل وهو جنب أن يتوضأ وضوءه للصلاة.

الشرح : كما ثبت الوضوء للجنب في حديث البخاري المتقدم، يستحب إذا أراد الإنسان النوم والأكل والشرب .



النهي عن القران بين التمرتين

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى ﷺ عن القران بين التمرتين؛ وذلك لما يدخل على فاعل ذلك من سوء المؤاكلة.

الشرح : ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ نهى أن يقرن الرجل بين التمرتين حتى يستأذن أصحابه[1] أي: يأكل التمرتين في وقت واحد، وإذا كان عنبًا يأكل حبتين سويًا؛ فهذا منهي عنه، إلا إذا استأذن أصحابه فلا بأس.

❁ ❁ ❁

---

(١) البخاري: الشركة (٢٤٨٩)، ومسلم: الأشربة (٢٠٤٥)، والترمذي: الأطعمة (١٨١٤)، وأبو داود: الأطعمة (٣٨٣٤)، وابن ماجه: الأطعمة (٣٣٣١)، وأحمد (٢/ ٦٠).

النهي عن النظر للقمة مؤاكله

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن ينظر الرجل إلى لقمة مؤاكله.

الشرح : النهي عن كونه ينظر إلى لقمة مؤاكله هذا يحتاج إلى دليل، لكن لا شك أن هذا من حسن الآداب أن الإنسان يأكل مما بين يديه، ولا ينظر إلى لقمة غيره.



تغطية الثريد

قال المؤلف - رحمه الله - : وكان ﷺ يحب أن يغطى الثريد، وقال: إن البركة تنزل فيه.

الشرح : الثريد: طعام.. خبز فيه لحم، كونه يغطى الثريد، هذا يحتاج إلى ثبوت، ولا أعلم دليلًا ثابتًا فيه استحباب هذا.



النهي عن أكل الطعام حارًّا

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى عن أكله حارًّا.

الشرح : ورد هذا في حديث ضعيف، قال: «أبردوا بالطعام، فإن الطعام الحار غير ذي بركة» وعلى هذا فإذا استطاع الإنسان أن يأكله حارًّا فلا بأس، وإذا لم يستطع صبر حتى يبرد، فبعض الناس لا يناسبه إلا الحار.

❁ ❁ ❁

النهي عن الشرب من فم السقاء

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى ﷺ عن الشرب من فم السقاء؛ وذلك لأن الشارب من فيه لا يعلم ما داخله، وقيل: إن رجلا شرب من سقاء سطيحة وكان فيها حية، فلم يعلم بها حتى دخلت حلقه، وقيل أيضا: إن الشرب من فم السقاء يغير ريحه.

الشرح : نهى النبي - عليه الصلاة والسلام - عن اختناث الأسقية، وأن يشرب من أفواهها[١] . رواه مسلم.

وإنما المشروع له أن يصب في إناء ثم يشرب، أما أن يأخذ فم القربة ويشرب فيها فهذا منهي عنه، لهذا الحديث.

ويقول المؤلف: إن رجلًا شرب وكان في داخل القربة حية، فخرجت الحية ودخلت في حلقه، يعني: إنه قد يخرج الدواب وبعض الحشرات والهوام، وقد يكون في القربة - أيضًا - بعض الجراثيم أو العيدان فتدخل إلى الحلق فتضره، فينبغي للإنسان أن يصب الماء من القربة.

وكان هذا قديمًا أما الآن وجدت الثلاجات، والمقصود أنه لا يشرع للإنسان أن يشرب من فم القربة؛ لأن هذا منهي عنه، بل يصب في إناء ثم يشرب.

---

(١) البخاري: الأشربة (٥٦٢٥)، ومسلم: الأشربة (٢٠٢٣)، والترمذي: الأشربة (١٨٩٠)، وأبو داود: الأشربة (٣٧٢٠)، وابن ماجه: الأشربة (٣٤١٨)، وأحمد (٣/ ٦)، والدارمي: الأشربة (٢١١٩) .

النهي عن تعريس المسافر على قارعة الطريق

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن نهيه ﷺ أن يُعَرّس الناس على قارعة الطريق؛ وإنما ذلك لأن قارعة الطريق مدرجة الناس والهوام والجن؛ ولأن ذلك يضيق على المارّة، ثم إن النائم لا يدري ما يطرقه فيه، ونهى أن يتغوط على قارعة الطريق.

الشرح : التعريس: هو نزول المسافر آخر الليل للاستراحة، يقال: عرَّس المسافر: إذا نزل في آخر الليل للاستراحة والنوم، فنهي المسافر أن ينام في قارعة الطريق؛ لأن قارعة الطريق مدرجة الناس والهوام والجن.

فقديمًا لما كانت الأسفار على الإبل، كان الطريق مدرجة الناس والهوام والسباع والجن؛ فكان لا بد للمسافر إذا أراد أن ينام ويستريح في مكان آمن أن يبتعد عن الطريق، فإنه إذا نام في الطريق ضيَّق على الناس، ثم إن النائم لا يدري ما يطرقه فيه، ومثل هذه - الآن - خطوط السيارات، فلا ينام الإنسان في الخط؛ فقد تأتي سيارة وتدهسه.

وكذلك نهى أن يتغوط الإنسان على قارعة الطريق؛ لأن هذا حرام، وستأتي الأحاديث في النهي عن ذلك، ويتغوط: يقضي حاجته في الطريق؛ لأن هذا يقذره الناس، ويطؤه الناس بأرجلهم فيسبب اللعنة.



النهي عن التغوط في طريق الناس وظلهم

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال: «اتقوا الملاعن» قالوا: وما الملاعن؟ قال: «التغوط على الطرقات»[1] ويقال: إن الأقذار والعذرة إذا كثرت على الطرقات احتبس القطر.

وفي لفظ: «اتقوا الملاعن الثلاث» قالوا: يا رسول الله وما هي؟ قال: «الذي يتخلى في طريق الناس وظلهم»[2].

الشرح : ليس المراد هنا الأمر باللعن، بل المعنى أن الناس إذا وجدوا من يتخلى - يقضي حاجته - في الطريق أو تحت الشجرة أو في الظل لعنوه.

اتقوا الملاعن الثلاث[3]: اتقوا ما يجلب اللعن ويتسبب في اللعن.

أما قول المؤلف: إن الأقذار والعذرة إذا كثرت على الطرقات احتبس القطر، فهذا لا نعلم له دليلًا.

۞ ۞ ۞

(١) مسلم: الطهارة (٢٦٩)، وأبو داود: الطهارة (٢٥)، وأحمد (٢/ ٣٧٢) .
(٢) أبو داود: الطهارة (٢٦)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٣٢٨) .
(٣) المرجع السابق .

النهي عن التغوط تحت شجرة مثمرة

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى أن يتغوط الرجل تحت شجرة مثمرة، وذلك أن ثمرة ربما سقطت على العذرة أو بقربها فتعافها النفس فضاعت.

الشرح : ورد هذا في حديث ابن عمر أن النبي ﷺ نهى أن يتخلى الرجل تحت شجرة مثمرة[1]؛ لأن الثمرة قد تسقط فتقع على النجاسة، وكذلك من يريد أن يجني من الثمرة إذا وجد النجاسة يتأذى، فلا يجوز للإنسان أن يقضي حاجته تحت الشجرة المثمرة.

۞ ۞ ۞

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الصلاة (٤١٤)؛ وصحيح مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٤٨)؛ وسنن الترمذي: كتاب الطهارة (١٥، ٢١، ٦٤)، وكتاب الصلاة (٢٥٢، ٣٨٣)، وكتاب النكاح (١١٢٤)، وكتاب اللباس (١٧٥٨)، وكتاب الأشربة (١٨٧٩)، وكتاب الأدب (٢٨١٥، ٢٨٤١)؛ وسنن النسائي: كتاب الطهارة (٢٣٨)، وكتاب المساجد (٧٢٥)، وكتاب الافتتاح (٨٩٠)، وكتاب البيوع (٤٥١٧، ٤٦٢٥)؛ وسنن أبي داود: كتاب الطهارة (٨١، ٨٢)، وكتاب البيوع (٣٣٧٧)، وكتاب الحدود (٤٤٢٨)، وكتاب الأدب (٤٨٢٧، ٥٢٦٥، ٥٢٧٣)؛ وسنن ابن ماجه: كتاب التجارات (٢١٩٣)، وكتاب الديات (٢٦٢٥)، وكتاب الزهد (٤١٠٩)؛ ومسند أحمد (٦/٣)؛ وموطأ مالك: كتاب الطهارة (١٠٦)، وكتاب النداء للصلاة (٤٤٧)، وكتاب الاعتكاف (٦٩٥)، وكتاب الحج (٩٦٦)، وكتاب النكاح (١١٣٤)، وكتاب البيوع (١٣٥٧، ١٣٧١)، وكتاب الجامع (١٦٨٨، ١٧٠٤، ١٧١١)؛ وسنن الدارمي: كتاب النكاح (٢١٧٥) .

النهي عن الجماع تحت شجرة مثمرة

قال المؤلف - رحمه الله - : ونهى أن يجامع الرجل تحت شجرة مثمرة.

الشرح : هذا لا أعلم له دليلًا.

❁ ❁ ❁

النهي أن يتمسح الرجل والمرأة بخرقة واحدة

قال المؤلف - رحمه الله - : وأن يتحدث المتغوطان، وأن يتكلم الرجل وهو في الخلاء، أو يتكلم وهو يجامع، أو ينظر إلى فرج امرأته عند الجماع، أو تنظر هي إلى مثل ذلك منه، أو يتمسحا جميعًا بخرقة واحدة.

الشرح : أن يتحدث المتغوطان: ورد النهي عن هذا في الحديث: «إذا تغوط الرجلان فليتوار كل منهما عن صاحبه ولا يتحدثان، فإن الله يمقت على ذلك»[1].

أو يتكلم وهو يجامع زوجته، أو ينظر إلى فرج امرأته عند الجماع، أو تنظر هي إلى مثل ذلك، وهذا يحتاج إلى دليل، فلا أعلم دليلًا ثابتًا في هذا، وهذا الحديث: «إذا جامع أحدكم زوجته فلا ينظر إلى فرجها فإن ذلك يورث العمى» لا يصح.

وأن يتمسحا جميعًا بخرقة واحدة: وهذا القول يحتاج إلى دليل، فلا أعلم لهذا دليلًا، فإذا كان خرقة واحدة أو فوطة واحدة يتمسح بها هو وزوجته فلا أعلم في هذا مانعًا.

❁ ❁ ❁

---

(١) أبو داود: الطهارة (١٥)، وأحمد (٣/ ٣٦) .

النهي عن القيام للقادم إلا الوالد والعالم

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن نهيه ﷺ أن يقوم الرجل للرجل إلا إلى أبيه، أو للرجل العالم، أو إلى الإمام العادل، ونهى أن يحب الرجل أن يُقام إليه.

الشرح : نهى النبي ﷺ أن يقوم الرجل للرجل؛ ففي الحديث: «من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»(١) فإذا قام الرجل ليسلم على الرجل، أو قام للعالم، أو للإمام العادل، أو للوالد فلا بأس.

والقيام له ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يقوم ليسلم عليه، فهذا لا بأس، كان النبي ﷺ إذا دخلت عليه فاطمة قام إليها وصافحها، وإذا دخل عليها قامت إليه وصافحته.

والثانية: أن يقوم للاحترام، إذا دخل الرجل قاموا، وإذا جلس قعدوا، فهذا منهي عنه، ومكروه كراهة شديدة.

الثالثة: أن يقوم على رأسه وهو جالس، هذا منهي عنه قال عليه الصلاة والسلام: «كدتم أن تفعلوا كما تفعل الأعاجم، يقفون على رءوس ملوكهم وهم جلوس»(٢).

❊ ❊ ❊

---

(١) الترمذي: الأدب (٢٧٥٥)، وأبو داود: الأدب (٥٢٢٩) .

(٢) النسائي: السهو (١٢٠٠)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٢٤٠)، وأحمد (٣/ ٣٣٤) .

جزاء من أحب أن يتمثل الناس له قيامًا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال: «من أحب أن يتمثل له الناس قيامًا فليتبوأ مقعده من النار»[(١)].

الشرح : هذا وعيد لمن أحب أن يقوم الناس له.

۞ ۞ ۞

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال: من قام ليقوم الناس لقيامه لم ينظر الله إليه.

الشرح : وهذا الحديث يحتاج إلى ثبوت؛ فلا أعلم صحة هذا الحديث.

۞ ۞ ۞

(١) الترمذي: الأدب (٢٧٥٥)، وأبو داود: الأدب (٥٢٢٩) .

النهي عن تعظيم صاحب الدنيا

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «من عظم صاحب دنيا فكأنما عظم الأصنام».

الشرح : هذا لا أعلم أنه ثابت، ولا أظنه أن يصح.

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «من دخل على صاحب دنيا فتضأضأ له ذهب ثلثا دينه».

الشرح : وهذا كذلك يحتاج إلى دليل، ولا أعلم صحته.



النهي عن النفخ في الطعام والشراب

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن آدابه ﷺ نهيه أن ينفخ الرجل في طعامه أو شرابه[١].

الشرح : هذا الحديث ثابت، فلا ينفخ الإنسان في الطعام والشراب، ولو كان حارًا يصبر أو يديره.

❁ ❁ ❁

(١) أبو داود: الأطعمة (٣٨٥٣) .

إذا سقطت اللقمة من يده فليأخذها وليأكلها

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ﷺ: «من سقطت اللقمة من يده فليأخذها وليأكلها أو ليطعمها غيره، ولا يتركها للشيطان»(١).

الشرح : سبق أن النبي ﷺ قال: «إذا سقطت لقمة أحدكم فليمط ما بها من الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان»(٢).

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم: الأشربة (٢٠٣٣)، وأحمد (٣/ ٣٣٧) .

(٢) مسلم: الأشربة (٢٠٣٣)، وابن ماجه: الأطعمة (٣٢٧٠)، وأحمد (٣/ ٣١٥) .

صفة أكل النبي للتمر

قال المؤلف - رحمه الله - : وكان ﷺ يأكل التمر ويطنو، ومعنى ذلك أن يتناول التمر بباطن يده، ويأخذ النواة بظاهر أصابعه.

الشرح : نهى الرسول - عليه الصلاة والسلام - أن يأكل التمر ويطنو، يعني إذا تناول التمر بباطن يده، ويأخذ النواة بظاهر أصبعه. ذكر في الحاشية عن عبد بن حميد من حديث عبد الله بن المغفل أن النبي ﷺ كان يضع النوى على ظهر أصبعه.

فالنهي أن يأخذ الإنسان التمر بباطن يده، ويطنو، أي: يأخذ النواة بظاهر الإصبع، وهذا يحتاج إلى دليل، ولا أعلم ثبوت هذا. لا أعلم في هذا مانعًا.



على خليفة المسلمين التحلي بهذه الآداب

قال المؤلف - رحمه الله - : فهذه الآداب وما أشبهها مما يطول بذكرها الكتاب، من آدابه وأمره ونهيه واجب على الخليفة.

الشرح : هذه الآداب يجب على خليفة المسلمين وإمامهم أن يتأدب بها، ويقتدي به الناس فيها.



طاعة الخليفة

قال المؤلف - رحمه الله - : واجب على الخليفة استعمالها، والبحث عنها، والاتباع له فيها، والمصير إلى طاعته، والأخذ بسنته.

الشرح : لأنه يجب طاعة الإمام في طاعة الله، وفي الأمور المباحة، أما المعاصي فلا يطاع فيها أحد.



العقول تدعو للعمل بالآداب

قال المؤلف - رحمه الله - : لأن العقول تدل عليها، ونفس العاقل تنازع إليها، وفي ذلك كله أدب ونظافة ووقاية من المكاره.

الشرح : هذه هي فوائد هذه الآداب، فيقول فيها: العقول تدل عليها، ونفس العاقل تنازعه فيها، وفي هذا كله آداب ونظافة ووقاية من المكاره؛ ولهذا ينبغي العمل بهذه الآداب.



ما ذكر من الآداب ليس على سبيل الحصر

قال المؤلف - رحمه الله - : وقد ذكرنا من ذلك ما حضرَنا، وما قرب من ذكره مما لا غنى بالناس من علمه، ولا بد لهم من استعماله، ومما تكثر الحاجة إليه، ولا يعذر من جهله وقصر في طلبه.

الشرح : يقول المؤلف: ذكرنا من هذه الآداب ما حضرنا؛ فهناك من الأمور ما فات علينا.

وأيضًا ذكرنا ما قرب ذكره من الأشياء التي يحتاجها الناس ولا يستغنون عنها، ولا بد أن يعلموها ويستعملوها.

ومما تكثر الحاجة إليه، ولا يعذر من جهلها أو قصر في علمه.

ذكرنا هذه الآداب، فجزاه الله خيرًا، ورحمه الله؛ حيث ألف هذا الكتاب الذي أفاد فيه ونفع فيه المسلمين.

نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما نقول ونسمع، ونسأله - سبحانه وتعالى - أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، ونسأله - سبحانه وتعالى - أن يرزقنا جميعًا العلم النافع والعمل الصالح والثبات على دين الإسلام.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه والتابعين!

❁ ❁ ❁

القسم الرابع
في ذكر البدع والمحدثات

❁ ❁ ❁



النياحة والاستماع إليها

قال المؤلف - رحمه الله - : ونحن الآن ذاكرون بعقب هذا ما ابتدعه الناس وأحدثوه مما لا أصل له في كتاب الله، ولا جاء في أثر، وإن كان الفاعل له غير مباين للدين، ولا خارجًا عن جملة المسلمين فإنه قد أتى بإحداثه ما لم يأذن الله فيه هذا فيه.

فمن ذلك ما حرمه رسول الله ﷺ وغلظ فيه النياحة، والاستماع إليها، وقال: إنها من عمل الجاهلية، وقال: كسب النائحة من السحت.

ولعن النائحة في موضع آخر.

وقال ابن عمر: النياحة حرام واستماعها بدعة.

وقد قال إبراهيم: كسب الغناء والنياحة من السحت.

وأُتِيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنائحة فَتَغْتَعَتْ؛ فبدا شعرها، فقيل له: يا أمير المؤمنين إنه قد بدا شعرها، فقال: أبعدها الله، إنها لا حرمة لها، قيل ولِمَ؟ قال: لأنها تأمر بالجزع، وقد نهى الله عز وجل عنه، وتنهى عن الصبر، وقد أمر الله عز وجل به، وتأخذ الدراهم على دمعتها، وتبكي بشجو غيرها، وتحزن الحي وتؤذي الميت.

وقال ابن عون: أتيت الكوفة فرأيت رجالًا يندبون على الطريق، فسألت عن ذلك، فقيل يندبون الحسين رضي الله عنه؛ فأتيت

إبراهيم فأخبرته بذلك فقال: لا يزال أهل الكوفة في إحداث البدع في كل عام حتى يصير الحق فيهم بدعة.

الشرح : فهذا هو القسم الرابع من أقسام الكتاب، يذكر فيه المؤلف - رحمه الله - البدع والمحدثات في الدِّين، ويذكر فيه طوائف البدع، ورؤساء أهل البدع وأعيانهم، والتحذير منهم، والتحذير من البدع والمبتدعين.

يقول المؤلف: نحن الآن ذاكرون بعقب هذا أي: بعد ما سبق من الكلام ما ابتدعه الناس وأحدثوه مما لا أصل له في كتاب الله.

والبدعة: هي ما ابتدع وأحدث في دين الله مما لا أصل له في كتاب الله ولم يأت في أثر، وبعض العلماء يعرف البدعة بأنها: كل ما خالف الكتاب والسنة، وعلى هذا دخلت المعاصي في التعريف؛ ولهذا ساق المؤلف هنا كثيرًا من المعاصي وسمَّاها بدعة.

وإنْ كان الفاعل له غير مخالف للدين ولا خارجًا من جملة المسلمين؛ فلا نقول: إن صاحب البدعة يخرج من الدين أو يخرج من جملة المسلمين، لكنه عاص إلا إذا كانت هذه البدعة مكفرة.

فإنه قد أتى بإحداث ما لم يأذن الله فيه: وهذه الجملة جواب (إنْ) وفي هذا القول محذوف تقديره: فإنه قد أتى بإحداث ما لم يأذن الله فيه بدعةً، والمعنى: أتى بدعة وحدثًا في الدين.

ثم قال: فمن ذلك - أي من الأمثلة على ذلك - ما حرمه الرسول - عليه الصلاة والسلام - وغلظ فيه؛ فالمحرمات كثيرة، وقد أدخل المؤلف المنهيات والمحرمات في البدع، ومن ذلك: النياحة والاستماع إليها، وقال: إنها من عمل الجاهلية.

والنياحة: هي رفع الصوت بالبكاء على الميت.

ويدخل في النياحة - أيضًا - ندب الميت وَتَعْدَادُ محاسنه، ويدخل فيها

لطم الخد، وشق الثوب، ونتف الشعر، ويدخل في النياحة - كما سيأتي - الاجتماع في بيت الميت، وصنعة الطعام للناس.

فقد بدأ المؤلف بالبدعة الأولى: النياحة، والاستماع إليها، وقال: إنها من عمل الجاهلية، وجاء الوعيد على النائحة في الحديث؛ قال النبي ﷺ: **«النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»** أي أن النائحة إذا لم تتب تسربل بسربال - ثوب - من قطران، ودرع من جرب، ثم تشعل النار في هذا الثوب فيكون أشد اشتعالًا بالجسم.

وفي الحديث الآخر: **«صوتان ملعونان في الدنيا والآخرة: المزمار عند نعمة ورنَّة عند مصيبة»** والرنة: صوت النائحة عند المصيبة، وقال: كسب النائحة من السحت؛ فقد كانوا في الجاهلية يستأجرون من ينوح، وإلى الآن في بعض المجتمعات إذا مات الميت يستأجرون النساء النائحات.

وهذه النائحة تنوح كذبًا؛ فهي تبكي وتصيح لكي تأخذ أجرة فقط، وليس لها شأن بالميت، وكانت المرأة في الجاهلية تُسْعِد صاحبتها بالنوح معها؛ ولهذا لما أخذ النبي ﷺ - كما في صحيح مسلم - على النساء ألا ينحن، قالت امرأة: يا رسول الله، إلا على بني فلان فإنهم أسعدوني وأريد أن أسعدهم[1] - أي: تريد أن تكافئهم، فقد جاءت صاحبتها وبكت عندها فهي تريد أن تبكي عندها - فاستدناها النبي ﷺ وقال: **«كسب النائحة من السحت»**.

فالنياحة - إذن - من عمل الجاهلية، وهي من المحرمات ومن الكبائر؛ لأنه توعد عليه بالوعيد الشديد، وكسب النائحة سحت - أي حرام - .

وفي الحديث: **«أربعة في أمتي من الجاهلية لا يتركونهم: الفخر في**

---

(١) البخاري: الأحكام (٧٢١٥)، ومسلم: الْجَنَائِزِ (٩٣٧)، والنسائي: البيعة (٤١٧٩)، وأحمد (٦/٤٠٧) .

الأحساب، والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم»[١].

ولعن النائحة في موضع آخر، جاء في حديث أبي سعيد: لعن النبي ﷺ النائحة والمستمعة[٢] رواه أبو داود والبزار والطبراني. وقال ابن عمر: «النياحة حرام واستماعها بدعة» وسماها بدعة؛ لأنها معصية.

وقد قال إبراهيم - ولعله النخعي - : كسب الغناء والنياحة من السحت.

وأُتِيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنائحة فتتعتعت - تترد في الكلام، أي: كأنها تلكأت - فبدا شعرها، فقيل له: يا أمير المؤمنين إنه قد بدا شعرها، فقال: أبعدها الله، إنها لا حرمة لها، قيل: ولمَ؟ قال: لأنها تأمر بالجزع، وقد نهى الله عز وجل عنه، وتنهى عن الصبر، وقد أمر الله عز وجل به، وتأخذ الدراهم على دمعتها، وتبكي بشجو غيرها، وتحزن الحي وتؤذي الميت. لأنه جاء في الحديث: «أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه»[٣].

وقال ابن عون: أتيت الكوفة فرأيت رجالًا يندبون على الطريق، فسألت عن ذلك، فقيل يندبون الحسين رضي الله عنه؛ - وقد بدأ بكاء الشيعة والرافضة على الحسين منذ زمن بعيد - فأتيت إبراهيم فأخبرته بذلك فقال: لا يزال أهل الكوفة في إحداث البدع في كل عام حتى يصير الحق فيهم بدعة.



(١) مسلم: الجنائز (٩٣٤)، وأحمد (٥/ ٣٤٢).

(٢) أبو داود: الجنائز (٣١٢٨)، وأحمد (٣/ ٦٥).

(٣) البخاري: الجنائز (١٢٨٨)، ومسلم: الجنائز (٩٢٧)، والترمذي: الجنائز (١٠٠٢)، والنسائي: الجنائز (١٨٥٨)، وأحمد (١/ ٥٤).

استعمال القينات والغناء

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع استعمال القينات، واستعمال الغناء، وقال ابن مسعود: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل.

الشرح : ومن البدع استعمال القينات، والقينات: جمع قينة وهي المغنية، فاستعمال القينات واشتراء المغنيات لكي تغني هذا من البدع؛ لأنه من المعاصي الكبار؛ ففي حديث أنس أن النبي ﷺ قال: «من قعد إلى قينة يستمع منها صب الله في أذنه الآنك يوم القيامة» والآنك: هو الرصاص المذاب.

فالواجب على الإنسان أن يتقي الله عز وجل وألا يستعمل القينات والمغنيات، وأن ينكر عليهن، واستعمال الغناء من المنكرات أيضًا؛ فإنه من لهو الحديث؛ ولهذا فسر ابن مسعود رضي الله عنه لهو الحديث بالغناء؛ فقد جاء عن ابن مسعود أنه سئل عن قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1] فقال: الغناء والله الذي لا إله إلا هو؛ فأقسم رضي الله عنه بأن لهو الحديث هو الغناء؛ فدل على أنه محرم، وقال ابن مسعود رضي الله عنه الغناء: ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل. وهذا رواه أبو داود، والبيهقي ورواه البيهقي موقوفًا عن ابن مسعود لكن بدون: كما ينبت الماء البقل. وقال البيهقي: لا يصح رفعه، وفي رواية: الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع؛ فما دام أنه ينبت النفاق في القلب دل هذا على تحريمه.

---

(١) سورة لقمان آية : ٦ .

النظر في النجوم والاستدلال بها على المغيبات

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع النجوم، والنظر بها والاعتصام، بل هو طرف من الشرك وادعاء لعلم الغيب، وكل ذلك منهي عنه مثل النجوم.

الشرح : من البدع النجوم: أي النظر في النجوم والاستدلال بها على المغيبات، أو الاعتقاد أنها سبب، وفي الحديث: «من يقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[1].

يقول المؤلف: بل هو طرف من الشرك وادعاء لعلم الغيب، وكل ذلك منهي عنه مثل النجوم؛ فادعاء علم الغيب شرك أكبر وخروج من الملة، وكون الإنسان ينظر في النجوم ويعتصم بها، فيعتقد أنها مؤثرة، أو يدعي بعلم الغيب أو أنها سبب، كل هذا من المحرمات الشركية.

والتنجيم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ادعاء أن النجوم فاعلة مختارة، وأنها مؤثرة، وأن الحوادث الأرضية مركبة على تأثير النجوم والروحانيات؛ فهذا شرك أكبر بالله العظيم، أعظم من شرك أهل الجاهلية، وهو الشرك في الربوبية، وهو شرك الصابئة الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام.

القسم الثاني: ألا يدعي أن النجوم مؤثرة، ولكن يدعي بعلم الغيب، فيستدل باستماع النجوم وافتراقها واتصالها وطلوعها وغروبها على علم الغيب،

---

(١) أبو داود: الطب (٣٩٠٥)، وابن ماجه: الأدب (٣٧٢٦)، وأحمد (١/ ٢٢٧) .

وعلى نزول المطر أو على غلاء الأسعار، أو على قيام الدول أو على زوالها، أو على موت عظيم أو ولادة عظيم، وهذا - أيضًا - كفر أكبر وادعاء علم الغيب.

القسم الثالث: أن يستدل بالنجوم على معرفة جهة القبلة ومعرفة فصول السنة، ويستدل بها على معرفة الطرق في السفر في الليل في البر أو في البحر، ومعرفة أوقات البذر وأوقات الزرع وما أشبه ذلك؛ فهذا لا بأس به في أصح قول العلماء، ومع ذلك فقد منعه بعضهم، فقد كره قتادة بن دعامة السدوسي تعلم منازل القمر، ولم يرخص فيه ابن عيينة وذكره حَرْب الكرماني عنهما، ورخص الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه في تعلم المنازل وهو قول الجمهور وهو الصواب، ولكن لا بأس في تعلم المنازل لمعرفة القبلة أو معرفة الطرق، أو معرفة فصول السنة وأوقات البذر والزرع، وهذا يسمى بعلم التسيير، وهذا جائز لا بأس به في أصح قول العلماء، وأما النوعان الأولان يسميان علم التأثير، يعتقد أن النجوم مؤثرة بذاتها، أو يدعي بها علم الغيب فهذا شرك أكبر.



القيافة والتكهن والزجر

قال المؤلف - رحمه الله - : والقيافة والتكهن والزجر والتطيب، وقد قال ﷺ «من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه فقد كفر بما أنزل على قلب محمد ﷺ»(١) وقال: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من الشرك من زاد زاد»(٢) وقال علي بن أبي طالب: أحذركم علم النجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر، فإن المنجم كالساحر، والساحر كالكاهن، والكاهن كافر والكافر في النار.

الشرح : والقيافة والتكهن والزجر من البدع، والقيافة نوعان: قيافة النسب، وقيافة الأثر، أما قيافة النسب فلا بأس بها وهو أن يعرف الإنسان الشبه؛ إذ إن بعض الناس يكون لديهم القدرة على معرفة النسب بالشبه، فيعرف أن هذا من القبيلة الفلانية أو أن هذا ابن لهذا الرجل أو أن هذا الرجل أب لهذا الابن، ومنه قيافة مجزز المدلجي الذي نظر إلى أقدام أسامة بن زيد وزيد بن حارثة - رضي الله عنهما - وقد التحفا قطيفة وغطا رؤوسهما وجسمهما وعريت الأرجل الأربعة - وكان بعض الناس يطعنون في نسب أسامة -؛ فلما مرَّ قال: إن هذه الأرجل بعضها من بعض، فسر النبي ﷺ ودخل على عائشة وتبرق أسارير وجهه، وقال: **«ألم تري أن مجززًا المدلجي**

---

(١) الترمذي: الطهارة (١٣٥)، وأبو داود: الطب (٣٩٠٤)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٦٣٩)، وأحمد (٢/ ٤٢٩)، والدارمي: الطهارة (١١٣٦) .

(٢) أبو داود: الطِّبّ (٣٩٠٥)، وابن ماجه: الأدب (٣٧٢٦)، وأحمد (١/ ٣١١) .

جاء آنفًا وقال إن هذه الأرجل بعضها من بعض» فأقر الرسول ﷺ قيافة النسب.

والثاني: قيافة الأثر التي يدعي بها أصحابها علم الغيب، ينظر في الأثر، أي: موطأ الرِّجل، ويستدل بها ويدعي بها علم الغيب، فهذه من البدع ومن أعمال الجاهلية.

والتكهن: فعل الكهانة، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، أو يخبر عما في الضمير، ويدعي علم الغيب، أو الذي يخط في التراب وفي الرمل ويقال له عراف، أو يضرب بالحصى والودع، وهو الذي ينظر في الكف أو ينظر في الفنجان كل هؤلاء كهان، يدعون علم الغيب، وإذا ادعى أحد علم الغيب فإنه يكون مشركًا ويكون كافرًا، والكاهن هو الذي له رئي من الجن يخبره فيدعي علم الغيب، ويخبر عن مغيبات في المستقبل، وقيل هو الذي يخبر عما في الضمير.

والعراف هو الذي يدعي معرفة الأمور بالمقدمات ويستدل بها على المسروق ومكان الضالة، والمنجم الذي ينظر في النجوم فيدعي علم الغيب.

والرمَّال الذي يخط في الرمل، كل هؤلاء إذا ادعوا علم الغيب فهم كفار لكن بطرق متعددة، فإن كان يدعي العلم بالغيب بالنظر في النجوم سمي منجمًا، وإن كان عن طريق الإخبار عن غيب في المستقبل سمي كاهنًا، وإن كان عن طريق معرفة المسروق ومكان الضال سمي عرافًا، وإن كان عن طريق الضرب بالحصى والخط في الرمل سُمِّي عرافًا، وكلهم يدعون علم الغيب.

والزجر: وهو زجر الطير، وهو العيافة، وهو أن يتشاءم بها أو يتيامن، وكذلك التطير والتشاؤم بالمرئيات أو المسموعات، وأصل التشاؤم بالطيور وهو العيافة، والعيافة زجر الطير، وكان أهل الجاهلية يتطيرون، فإذا أراد أحدهم سفرًا زجر الطير فإذا طار جهة اليمين استبشر وذهب إلى سفره، وإذا طار جهة الشمال تشاءم، وإذا أراد زواجًا - أيضًا - أو تجارة زجر الطير،

وكان الذي يأتي من الأمام يسمى الناطح والنطيح، والذي يأتي من الخلف يسمى القاعد والقعيد، وكان بعض العرب مشهورين بالعيافة وزجر الطير، فإذا كان الإنسان لا يعرف العيافة يأتي إلى واحد من هذه القبيلة ويقول ازجر لي الطير - اعمل لي عيافة - لشهرتهم بهذا، ولهذا يقول الشاعر الجاهلي:

خبيرٌ بنو رهب فلا تك ملغيًا مقالة رهبي إذا الطير مرَّتِ

لا تلغ مقالة بنو رهب إذا زجروا الطير وأخبروك على طريقهم في الجاهلية.

فالقيافة والتكهن وزجر الطير والتطير - وأصله التشاؤم بالطيور - ويشمل التشاؤم بالمرئيات والمسموعات وبالأمكنة والأزمنة؛ فلا يجوز للإنسان أن يتطير ولا أن يتشاءم لا بالطيور ولا بالأماكن ولا بالأسماء ولا بالألفاظ ولا بالبقاع.

وقال ﷺ: «من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه فقد كفر بما أنزل الله على قلب محمد ﷺ»[1] أتى المؤلف - رحمه الله - بهذا اللفظ، وعرف في الحديث: «من أتى عرافًا فسأله عن شيء لا تقبل له صلاة أربعين يومًا»[2].

وفي الحديث الآخر: «من أتى كاهنًا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»[3]، وقال: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[4] ذكر المؤلف الحديث بزيادة (ومن زاد)، ولكن المعروف في الحديث: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما

---

(١) الترمذي: الطهارة (١٣٥)، وأبو داود: الطب (٣٩٠٤)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٦٣٩)، وأحمد (٢/ ٤٢٩)، والدارمي: الطهارة (١١٣٦).

(٢) مسلم: السلام (٢٢٣٠)، وأحمد (٤/ ٦٨).

(٣) الترمذي: الطهارة (١٣٥)، وأبو داود: الطب (٣٩٠٤)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٦٣٩)، وأحمد (٢/ ٤٧٦)، والدارمي: الطهارة (١١٣٦).

(٤) أبو داود: الطب (٣٩٠٥)، وابن ماجه: الأدب (٣٧٢٦)، وأحمد (١/ ٢٢٧).

زاد»[١] يعني كلما اقتبس من النجوم وزاد في علم النجوم فقد زاد في الشرك والعياذ بالله.

وقال علي بن أبي طالب: أحذركم علم النجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر فإن المنجم كالساحر، والساحر كاهن والكاهن كافر، والكافر في النار؛ فهذا فيه التحذير من علم النجوم، واستثنى منها ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر، وهذا هو علم التسيير - كما سبق - .



(١) أبو داود: الطب (٣٩٠٥)، وابن ماجه: الأدب (٣٧٢٦)، وأحمد (١/ ٢٢٧) .

خضب الرجل لحيته ورأسه بالسواد

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع أن يخضب الرجل لحيته ورأسه بالسواد، أو يأخذ من عارضيه، أو يطول شاربه، وقد قيل أول من خضب بالسواد فرعون وقيل إنه خضاب أهل النار، وأمر ﷺ بإعفاء اللحية وإحفاء الشوارب.

الشرح : ومن البدع أن يخضب الرجل لحيته ورأسه بالسواد: فقد جاء في الحديث أن أبا قحافة والد أبي بكر جيء به إلى رسول الله ﷺ ورأسه ولحيته كالثغامة بياضًا، فقال عليه الصلاة والسلام: **«غيروا هذا وجنبوه السواد»**[(١)] وذكر بعض العلماء أن قوله: (وجنبوه السواد) مدرج في الحديث، والصواب أنها ليست مدرجة.

وجاء - أيضًا - في الحديث الوعيد على من يخضب بالسواد، أنه في آخر الزمان يأتي قوم يخضبون كحواصل الطير لا يريحون رائحة الجنة، لكن من العلماء من تكلم في صحة الحديث.

والصواب أن الخضاب بالسواد ممنوع، وللعلماء في هذا قولان؛ كما ذكر ابن القيم - رحمه الله - في زاد المعاد: منهم من أجاز الخضاب بالسواد، ونقل هذا عن بعض السلف مثل الحسن والحسين وأنهم خضبوا بالسواد، والقول الثاني: المنع وهو الصواب، أنه لا يجوز الخضاب بالسواد، ولكن

---

(١) مسلم: كتاب اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ (٢١٠٢)، والنسائي: الزينة (٥٠٧٦)، وأبو داود: الترجل (٤٢٠٤)، وابن ماجه: اللباس (٣٦٢٤)، وأحمد (٣/٣١٦) .

يخضب بالحمرة كالحناء أو بالصفرة أو بالحناء والكتم، يخلط بين الكتم والحناء، فإذا خلطهما صار بين الحمرة والسواد، وصار يضرب إلى الحمرة، وهذا هو الأفضل أن يقوم بالحناء والكتم.

وجاء عن أبي بكر رضي الله عنه (أنه خضب بالحناء والكتم) وكذلك عمر وغيره، فالأفضل أن يكون الخضاب بالحناء والكتم، فيكون اللون بين السواد والحمرة، أما أن يخضب بالسواد الخالص فممنوع وإن كان بعض العلماء قد أجازه، وحديث النبي ﷺ في هذا واضح، قول النبي ﷺ: «**غيروا هذا وجنبوه السواد**»، وكذلك حديث أحمد في الوعيد الشديد على من يخضب بالسواد.

أو يأخذ من عارضيه هذا معصية؛ لأن هذا من اللحية، واللحية ما نبت على الذقن والعارضين.

أو يطول شاربه؛ لأن النبي ﷺ أمر بإحفاء الشارب، وقد سبق في أحاديث الفطرة أن النبي ﷺ وقت لنا في الأخذ من الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة ألا يترك أكثر من أربعين ليلة[1] في حديث أنس: وقتها لنا رسول الله ﷺ ألا يُترك أكثر من أربعين ليلة، فإذا طول شاربه وزاد فهذا من البدع.

قوله: وقد قيل أول من خضب بالسواد فرعون وقيل إنه خضاب أهل النار: هذا القول جاء بصيغة التمريض وليس عليه دليل.

وأمر رسول الله ﷺ بإعفاء اللحية وإحفاء الشوارب، وقد ثبت الأمر بإعفاء اللحى؛ كما رواه البخاري في صحيحه، ليخالف المشركين والمجوس؛ فدل على أن حلق اللحية وإطالة الشارب من التشبه بالمجوس

---

(١) مسلم: الطهارة (٢٥٨)، والترمذي: الأدب (٢٧٥٩)، والنسائي: الطهارة (١٤)، وأبو داود: الترجل (٤٢٠٠)، وابن ماجه: الطهارة وسننها (٢٩٥)، وأحمد (٣/ ١٢٢).

وبالمشركين، وإعفاء اللحية فرض كما نقل ذلك أبو محمد ابن حزم قال: إن إعفاء اللحية فرض واجب، وإحفاء الشوارب كذلك، يجب على الإنسان أن يقص شاربه ولا يتركه أكثر من أربعين ليلة. انتهى.

ويجب على الإنسان أيضًا أن يقص شاربه ولا يتركه أكثر من أربعين ليلة؛ فإذا أخر هذه الأربعة: تقليم الأظافر، نتف الإبط، ... أكثر من أربعين ليلة فأقل الأحوال الكراهة الشديدة....



التزعفر والخضاب بالحناء للرجال

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع أن يتزعفر الرجل أو يخضِّب يده بالحناء.

الشرح : من البدع أن يتزعفر الرجل، أي: يصبغ ثوبه أو بدنه بالزعفران.
وثبت في حديث عبد الله بن عمرو النهي عن لبس المزعفر والمعصفر - أي لبس الثوب المصبوغ بالزعفران أو العصفر - قال: رأى عليٌّ النبي ﷺ ثوبين معصفرين، فقال: **«أمك أمرتك بهذا؟!»** (١) وفي رواية أنه قال: **«هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها»** (٢) دل هذا على أنها من لباس الكفار أو أنها من لباس النساء.

ولا ينبغي للإنسان كذلك أن يتزعفر؛ لأن هذا من خصائص النساء.

والمزعفر: المصبوغ بالزعفران، والمعصفر: المصبوغ بالعصفر الأحمر، يشبه لباس النساء؛ ولهذا نهى النبي ﷺ أن يتزعفر الرجل أو يخضب يده بالحناء؛ لأن هذا فيه تشبهًا بالنساء.

❁ ❁ ❁

(١) مسلم: اللباس والزينة (٢٠٧٧)، والنسائي: الزينة (٥٣١٦)، وأحمد (٢/ ٢٠٧) .
(٢) مسلم: اللباس والزينة (٢٠٧٧)، والنسائي: الزينة (٥٣١٦)، وأحمد (٢/ ١٦٢) .

إسبال الرجل إزاره على عقبيه

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع أن يسبل الرجل إزاره، وهو السراويل علي عقبيه، وقال النبي ﷺ: «لا ينظر الله عز وجل إلى المسبل إزاره من الخيلاء»[1].

الشرح : من البدع أن يسبل الرجل إزاره: هذه من المعاصي.

وهو السراويل على عقبيه، والصواب أن هذا عام ليس خاصًا بالسراويل؛ فلا يجوز للرجل أن يترك ثوبه ينزل تحت الكعبين، سواء كان سروالًا أو بنطلونًا أو ثوبًا.

قال النبي ﷺ: **«لا ينظر الله عز وجل إلى المسبل إزاره من الخيلاء»**[2] واللفظ المعروف: **«لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء»**[3] وفي اللفظ الآخر: **«من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه»**[4] وكل هذا وعيد شديد، وإذا جر الرجل إزاره ولو لغير الخيلاء فهو محرم؛ لحديث البخاري الآخر: **«ما أسفل**

---

(١) مسلم: الإيمان (١٠٦)، والترمذي: البيوع (١٢١١)، والنسائي: الزكاة (٢٥٦٣)، وأبو داود: اللباس (٤٠٨٧)، وابن ماجه: التجارات (٢٢٠٨)، وأحمد (٥/ ١٤٨)، والدارمي: البيوع (٢٦٠٥) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) البخاري: اللباس (٥٧٨٣)، ومسلم: اللباس والزينة (٢٠٨٥)، والترمذي: اللباس (١٧٣٠)، والنسائي: الزينة (٥٣٣٥)، وأبو داود: اللباس (٤٠٨٥)، وابن ماجه: اللباس (٣٥٦٩)، وأحمد (٢/ ٥٥)، ومالك: الجامع (١٦٩٨) .

(٤) البخاري: المناقب (٣٦٦٥)، ومسلم: اللباس والزينة (٢٠٨٥)، والترمذي: اللباس (١٧٣١)، والنسائي: الزينة (٥٣٢٧)، وأبو داود: اللباس (٤٠٨٥)، وابن ماجه: اللباس (٣٥٦٩)، وأحمد (٢/ ٦٠)، ومالك: الجامع (١٦٩٨) .

من الكعبين ففي النار»[١] فجعل الوعيد شديداً لمن يسبل إزاره، وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «ثلاث لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمنَّان بما أعطى»[٢] دل ذلك كله على أن الإسبال من الكبائر سواء كان من أجل الخيلاء أو لغير الخيلاء.

الأفضل أن يكون الثوب إلى نصف الساق، وجاء في الحديث الآخر: «أزرة المؤمن إلى نصف الساق، ولا لوم عليه فيما بينه وبين الكعبين»[٣] أو كما قال النبي ﷺ، ولا حرج في أن ينزل الثوب إلى الكعب، وإذا كان إلى نصف الساق يشق على الإنسان، أو ينتقده بعض الناس فلا بأس أن ينزل إلى قُرب الكعب.

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: اللباس (٥٧٨٧)، والنسائي: الزينة (٥٣٣٠)، وأحمد (٢/ ٤٦١) .

(٢) مسلم: الإيمان (١٠٦)، والترمذي: البيوع (١٢١١)، والنسائي: الزكاة (٢٥٦٣)، وأبو داود: اللباس (٤٠٨٧)، وابن ماجه: التجارات (٢٢٠٨)، وأحمد (٥/ ١٤٨)، والدارمي: البيوع (٢٦٠٥) .

(٣) أبو داود: اللباس (٤٠٩٣)، وابن ماجه: اللباس (٣٥٧٣)، وأحمد (٣/ ٩٧)، ومالك: الجامع (١٦٩٩) .

النظر في كتب العزائم والعمل بها

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع النظر في كتب العزائم والعمل بها وادعاء كلام الجن واستخدامهم وقتل بعضهم.

الشرح : من البدع النظر في كتب العزائم والعمل بها، والعزائم والتعزيم هي الرُّقى الشِّركية التي يستخدم بها الجن؛ فلا يجوز للإنسان أن ينظر في كتب العزائم والطلاسم، والتعازيم والرقى الشركية، أو التي لا يعلم معناها؛ لأنها قد تكون بأسماء الشياطين أو بأسماء الجن فلا يجوز لإنسان أن ينظر في كتب العزائم، ولا أن يعمل بها ولا أن يرقي بها؛ لأنها عزائم شركية، قد تكون رموزًا بأسماء أو بلغة غير مفهومة، فالواجب الحذر.

والرقية الشرعية لا بد فيها من ثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن تكون الرقية بآيات من القرآن، أو بأدعية نبوية، أو بأدعية مباحة.

الشرط الثاني: أن تكون بلسان عربي، بكلام مفهوم.

الشرط الثالث: أن يعتقد أنها سبب، والشفاء بيد الله.

فإذا وجدت هذه الشروط صارت الرقية شرعية، أما هذه التعازيم وهذه العزائم فليست فيها هذه الشروط، وليست في كتاب الله ولا بالأدعية المباحة وإنما هي بعزائم.

وادعاء كلام الجن واستخدامهم وقتل بعضهم - أي بعض الجن - كل هذا من البدع، ولا يجوز للإنسان أن ينظر في كتب العزائم ولا أن يدعي أنه يكلم الجن أو أنه يستخدمهم أو يقتل بعضهم؛ لأن هذا من الشعوذة ومن الكهانة ومن السِّحر.

لأن الساحر والكاهن هو الذي يستخدم الجن ويكون بينه أي: الساحر، وبين الجني عقد أن يشرك بالله ثم يخدمه الجني، فيخبره عن المغيبات، ويعطيه كذا، ويأتيه بكذا، بشرط أن يفي بالشروط، وهو الشرك بالله، أعوذ بالله!!



تعليق التمائم والتعاويذ من غير حاجةٍ

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع تعليق التمائم والتعاويذ من غير حاجةٍ أو علةٍ تحدث بصاحبها.

الشرح : التمائم: جمع تميمة. والتميمة: هو ما يعلق في رقبة الطفل أو في يده، ويراد بها دفع المرض.

وأصل التمائم خرزات تعلقها العرب في رقبة الطفل أو في يده، أو الرجل أو المرأة لدفع العين أو لدفع الجن.

قد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: **«من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلَّق وَدَعَةً فلا ودع الله عليه»** (١) وقال: **«إن الرُّقَى والتمائم والتولة شرك»** (٢).

ذكر شيخنا - رفع الله قدره - أن الترخيص في التميمة من القرآن مروي عن ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص، والذي في كتاب التوحيد وشروحه أن مذهب ابن مسعود المنع مطلقًا، وأما الترخيص في التميمة من القرآن فهو مذهب عائشة وعبد الله بن عمرو بن العاص ورخص بعض العلماء في تعليق التميمة إذا كانت من القرآن، وهو مروي عن ابن مسعود وعبد الله ابن عمرو بن العاص وجماعة، والصواب الذي عليه الجمهور - جمهور الصحابة وجمهور العلماء - المنع من التمائم مطلقًا، سواء كانت من القرآن أو من غير القرآن؛ لأن النصوص عامة ولم تخصص؛ كقوله: **«إن الرُّقَى والتمائم**

---

(١) أحمد (٤/ ١٥٤) .

(٢) أبو داود: الطب (٣٨٨٣)، وابن ماجه: الطب (٣٥٣٠)، وأحمد (١/ ٣٨١) .

والتولة شِرك»[١] ولم يأت ما يخصص التمائم؛ فالتميمة ممنوعة مطلقاً، والنصوص عامة؛ ولأن تعليق التميمة من القرآن وسيلة إلى تعليق التميمة من غير القرآن، كما أن تعليق التميمة من القرآن وسيلة إلى امتهانها، وقضاء الحاجة وهي عليه؛ فالصواب المنع مطلقاً، بخلاف الرُّقى فقد جاء ما يخصصها، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الآخر: «اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا»[٢].

قوله: ومن البدع تعليق التمائم والتعاويذ من غير حاجةٍ أو علةٍ تحدث بصاحبها، والصواب - كما ذكرنا - منع التمائم مطلقاً، سواء بحاجة أو بغير حاجة.



(١) أبو داود: الطب (٣٨٨٣)، وابن ماجه: الطب (٣٥٣٠)، وأحمد (١/ ٣٨١) .
(٢) مسلم: السلام (٢٢٠٠)، وأبو داود: الطب (٣٨٨٦) .

اتباع النساء للجنائز ولطم الخدود فيها

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع اتباع النساء للجنائز، ولطم الخدود فيها، ومشي الرجال حفاةً منسلين بين أيديها.

الشرح : ومن البدع أو من المعاصي اتباع النساء للجنائز، فقد ثبت في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لعن الله زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»[1]؛ فاتباع النساء للجنائز وزيارة القبور ممنوع، والحكمة من ذلك - والله أعلم - أن المرأة ضعيفة لا تتحمل، قد تبكي، وقد يفتتن بها الرجال بصوتها وتختلط بالرجال؛ فلهذا نهى النبي ﷺ النساء عن اتباع الجنائز، ومنعت المرأة من زيارة القبر «لعن الله زائرات القبور»[2] وفي لفظ (زوّارات القبور).

وكذلك لطم الخدود فإن هذا من النياحة - كما سبق -، فلطم الخد وشق الجيب ونتف الشعر كل هذا من النياحة.

قوله: ومشي الرجال حفاة منسلين بين يديها: أي حفاةً مسرعين بين يدي الجنازة.

المشي واتباع الجنازة للرجال سنة مشروعة، لكن المؤلف قال: مشي الرجال حفاةً منسلين يعني مسرعين بين يديها، ولعل المقصود الحفاة، يعتقد

---

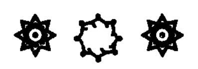
(١) الترمذي: الصلاة (٣٢٠)، والنسائي: الجنائز (٢٠٤٣)، وأبو داود: الجنائز (٣٢٣٦)، وابن ماجه: ما جاء في الجنائز (١٥٧٥)، وأحمد (١/ ٢٢٩) .

(٢) الترمذي: الصلاة (٣٢٠)، والنسائي: الجنائز (٢٠٤٣)، وأبو داود: الجنائز (٣٢٣٦)، وابن ماجه: ما جاء في الجنائز (١٥٧٥)، وأحمد (١/ ٢٢٩) .

أن هذا مشروع، وأنه يمشي خلفها حافيًا مع الإسراع؛ فإن كان هذا هو المقصود فهذا ليس عليه دليل.

والسنة أن يمشي أو يركب؛ فيكون الركبان أمام الجنازة، والمشاة خلفها. قال العلماء: يسن أن يكون الركبان أمامها والمشاة خلفها، والأمر في هذا واسع.

والمقصود أن الرجال يشرع لهم اتباع الجنائز سواء كانوا مشاة أو ركبانًا. أما كونهم يمشون حفاة مسرعين ويعتقدون أن هذا من السنة فهذا ليس عليه دليل.



الصراخ ولطم الخدود وتشقيق الثياب عند استماع الذكر والقرآن

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع: الصراخ، ولطم الخدود، وتشقيق الثياب عند استماع الذكر والقرآن، فهذا مما أحدثه الناس وابتدعوه.

الشرح : من البدع: الصراخ ولطم الخدود، وهذا من النياحة. والنياحة رفع الصوت بالبكاء. وسبق الحديث: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب»[١] ولطم الخد يعني التسخط من قضاء الله وقدره.

وشق الجيب والثوب ونتف الشعر كل هذا من النياحة، ومن المعاصي، فشق الثوب والصراخ ولطم الخد ونتف الشعر كل هذا من النياحة ومن المعاصي.

قول المؤلف: وتشقيق الثياب عند استماع الذكر والقرآن فهذا مما أحدثه الناس وابتدعوه؛ فقد يفعل هذا بعض ضعفاء البصائر من الصوفية؛ فإذا استمع بعضهم القرآن والذكر يُغْمَى عليه حتى يُحمل، وبعضهم يشق ثوبه إذا استمع الذكر، وهذا كله من البدع التي أحدثها الناس وليس لها أصل.

❁ ❁ ❁

---

(١) مسلم: الجنائز (٩٣٤)، .

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال أنس بن مالك: «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فصرخ صارخ من جانب المسجد، فقال النبي ﷺ: «من هذا الذي يلبس علينا ديننا؟ إن كان صادقاً فقد شهر نفسه، وإن كان كاذباً فمحقه الله»

الشرح : هذا الحديث ضعيف؛ ففي سنده يوسف بن عطية وهو متروك، لكن في حديث العرباض الثابت أنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، وقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مُوَدِّع فأوصنا، قال: **«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد»**[1] إلى آخر الحديث.

فهذا الحديث هو المعروف، أما الحديث الذي فيه أنه صرخ صارخ من جانب المسجد، فقال النبي ﷺ: **«مَن هذا الذي يلبس علينا ديننا؟ إن كان صادقاً فقد شهر نفسه وإن كان كاذباً فمحقه الله»** فهو حديث ضعيف جداً، في سنده متروك، لا يصلح للاحتجاج، والمؤلف أراد أن يبين أن الصراخ عند سماع الذكر من البدع.

❁ ❁ ❁

---

(١) الترمذي: العلم (٢٦٧٦)، وابن ماجه: المقدمة (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والدارمي: المقدمة (٩٥) .

قال المؤلف - رحمه الله - : وقال الفضيل بن عياض وعظ موسى بن عمران ﷺ قومه فشق رجل ثوبه، فأوحى الله - تبارك وتعالى - إلى موسى ﷺ قل له إن كان صادقاً فليشق لي عن قلبه.

الشرح: هذا من أخبار بني إسرائيل لا يعول عليه؛ ولهذا قال الذهبي إنه حديث باطل. قول الفضيل: وعظ موسى بن عمران - عليه السلام - قومه فشق رجل ثوبه فأوحى الله - تبارك وتعالى - إلى موسى - عليه السلام - قل له: إن كان صادقاً فليشق لي عن قلبه.

الفضيل بن عياض بينه وبين موسى - عليه السلام - دُهور وأزمنة طويلة تنقطع دونها أعناق المطي، موسى أول أنبياء بني إسرائيل وفضيل بن عياض متأخر؛ ولهذا كان هذا من آثار بني إسرائيل وأخبارهم فلا يعول عليه.



قال المؤلف - رحمه الله - : وقال ابن المبارك: هؤلاء الذين يَصعقون عند استماع الذكر تُقعدهم على الجدران العالية، وتقرأ عليهم وتنظر هل يتردون!

وصنف من الناس يظهرون التقشف اتخذوا الاستماع إلى القصائد والاجتماع على ذلك سنة لهم؛ ليلهوا بذلك أنفسهم ويطربوا قلوبهم، وفيهم من يرقص ويصفق بيديه ويخرق ثيابه، ويقولون في قيلهم: قال الله عز وجل وقالت الحوراء، وقال الولي شيئاً لم يقل الله ولا جاء في أثر ولا سنة، ولم تقله حوراء، ولا قاله ولي، وهذا مبتدع كذب وزور.

وصنف آخر يظهرون الزهد والعبادة، ويُحرِّمون المكاسب والمعيشة، ويرون الإلحاف في المسألة والكدية، يدعون الشوق والمحبة، وسقوط الخوف والرجاء، وهذا مبتدع كله.

والمدعي له مقيت ممقوت عند أهل العلم والمعرفة؛ لأن الله عز وجل قد أباح الكسب والصناعة والتجارة على حكم الكتاب والسنة إلى أن تقوم الساعة، وحرم المسألة والكدية مع الغنى عنهما، وأجمعت العلماء لا خلاف بينهم أن الله عز وجل قد افترض على الخلق الخوف والرجاء، وأنه دعا عباده إليه بالرغبة والرهبة.

ومن البدع المحدثة التي ليس لها أصل في كتاب ولا سنة تشبهوا فيها بأفعال الجاهلية واجتماعهم، والتحالف بينهم على التعاضد والتناصر، وهذا مبتدع مكروه، وكانت الجاهلية تفعله، فأذهبه الله عز وجل بالإسلام ونهى عنه على لسان نبيه ﷺ وقال النبي ﷺ:

«لا حلف في الإسلام، وأيما حلفٌ كان في الجاهلية فما زاده الإسلام إلا تأكيدًا»

الشرح : هذا الأثر من كلام ابن المبارك - رحمه الله - في بيان أفعال الصوفية وأقوالهم، وأنهم أقسام وأنواع، وذكر ابن الجوزي في (تلبيس إبليس) بسنده عن ابن سيرين أن عبد الله بن عمرو مرَّ برجل ساقط من العراق فقال: ما شأنه؟ فقالوا: إذا قرئ عليه القرآن يصيبه هذا، قال: إنا لنخشى الله عز وجل وما نسقط.

يقول عبد الله بن المبارك - رحمه الله - الإمام الزاهد المعروف: هؤلاء الذين يصعقون عند استماع الذكر، فعلهم هذا بدعة ومخالف للسنة، فالصحابة أحسن منهم حالًا وما كانوا يصعقون، كانوا أثبت قلوباً، وأخشى لله من هؤلاء؛ فكان الواحد منهم، كما قال الله عز وجل يوجل قلبه عند ذكر الله ويزداد إيماناً عند تلاوة القرآن كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1].

وما كان يغشى ولا يغمى عليهم، وإنما حصل هذا في المتأخرين في أهل الكوفة في التابعين وغيرهم كما قال شيخ الإسلام - رحمه الله - .

ويفعل هذا بعض الصوفية الذين يصعقون عند سماع الذكر، وبعضهم يصعق عند سماع الأنغام الحسنة والمزمار؛ ولهذا قال ابن المبارك - رحمه الله - : هؤلاء الذين يصعقون عند استماع الذكر جرِّب معهم الآن أقعدهم على جدار عالٍ، واقرأ عليهم القرآن، انظر هل يصعقون أو لا يصعقون!! اجعلهم فوق الجدار، ثم تقرأ عليهم وتنظر هل يترددون، أي: يسقطون إن كانوا صادقين.

---

(١) سورة الأنفال آية : ٢ .

وصنف آخر من الصوفية يظهرون التقشف، اتخذوا الاستماع إلى القصائد، والاجتماع على ذلك سنة لهم؛ ليلهوا بذلك أنفسهم ويطربوا قلوبهم، يرون أن الاستماع للقصائد يتخذونه عبادة ودينًا.

وفيهم من يرقص ويصفق بيديه ويخرق ثيابه إذا سمع الأنغام الحسنة، ويقولون في قيلهم - أي في غنائهم - : قال الله عز وجل وقالت الحوراء، وقال الولي؛ يقولون شيئاً لم يقله الله، ولا جاء في أثر أو في سنة، ولم تقله حوراء ولا قاله ولي، وهذا مبتدع وكذب وزور؛ فهم يتقولون في طربهم وغنائهم على الله - والعياذ بالله - .

وهؤلاء شباب الصحوة وغيرهم الآن تجدهم يسمعون الأناشيد، يقولون: الأناشيد الإسلامية، الأناشيد الإسلامية! من أين جاءت الأناشيد الإسلامية؟ ليس فيه أناشيد، إن كانت القصيدة طيبة، يقرؤها واحد والباقي يستمعون، أما جماعة ينشدون، فهذا ما يفيد الإنسان.

أما من جهة الطرب، فينظر متى يرفعون الصوت ومتى ينزلون الصوت، ولا سيما أنه تطورت الحال في هذه الأناشيد وصارت تلحن كتلحين الغناء، حتى إنك لا تفرق بينها وبين تلحين الغناء، فأصبحت فيها تأوهات، وأحياناً يتأوه الواحد وهو ينشد ويغني، وهكذا استدرجهم الشيطان، فصاروا يفعلون مثل فعل الصوفية وصاروا يطربون ولا يغمى عليهم ليس ببعيد أن يكون أحدهم يصفق، فيطربون ويلهون أنفسهم، فهؤلاء جاءهم الشيطان من هذه الناحية.

وأنا أنصح هؤلاء الشباب ألا يستمعوا لهذه الأناشيد، وليس هناك أناشيد إسلامية، لقد كان الصحابة يقرأ الواحد القرآن وهم يستمعون، ويقرأ الحديث وهم يستمعون، ويقرأ - أيضًا - القصيدة إذا كانت مفيدة بصوت عادي والباقي يستمع فيستفيد إذا كانت معاني القصيدة طيبة ومفيدة، أما أن ينشدون جماعة لم تحصل الفائدة، والمقصود الفائدة والمعاني، وليس المقصود الطرب ولا سيما إذا كانوا يلحنونها بتلك التأوهات.

وصنف آخر من الصوفية يظهرون الزهد والعبادة، ويحرمون المكاسب والمعيشة؛ ينعزل ولا يتكسب ويدعي الزهد والعبادة؛ فتجدهم يعيشون على الصدقات، والله - تعالى - أباح التكسب بالبيع والشراء، أو العمل في حرفة؛ فقد كان النبي ﷺ يرعى الغنم، وكان داود - عليه السلام - حداداً، ونوح - عليه السلام - نجاراً، وقال ﷺ: «وما من نبي إلا رعى الغنم»[(١)].

وكان الصحابة يعملون ويحرثون، ويبيعون ويشترون، والعلماء وغيرهم لا يزالون يبيعون؛ فمكاسب المعيشة مطلوبة، لكن الصوفية يحرمون المكاسب والمعيشة، ويظهرون الزهد ويرون الإلحاف في المسألة، والكدية - شدة الإلحاف - في المسألة والسؤال، والإلحاف في المسألة منهي عنه قال ﷺ: «لا يزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة وما في وجهه مزعة لحم»[(٢)].

«من سأل الناس تكثرًا فإنما يسأل جمرة»، والصوفية يدعون الشوق والمحبة، ويسقطون الخوف والرجاء، وهذا باطل؛ فالمسلم يعبد ربه بالحب والخوف والرجاء؛ ولهذا قال العلماء: من عبد ربه بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري - من الخوارج - ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد، وهؤلاء يدعون أنهم يعبدون الله بالحب وحده ويسقطون الخوف والرجاء.

وهذا مبتدَع كله، والمدعي له مقيت ممقوت عند أهل العلم والمعرفة؛ لأن الله عز وجل قد أباح الكسب والصناعة والتجارة على حكم الكتاب والسنة إلى أن تقوم الساعة - كما سبق -، وحرم المسألة والكِدية - الإلحاف في المسألة مع الغِنى عنها -، فلا يجوز للإنسان أن يسأل والله قد أغناه.

---

(١) البخاري: الإِجَارَةِ (٢٢٦٢)، وابن ماجه: التجارات (٢١٤٩).

(٢) البخاري: الزكاة (١٤٧٥)، ومسلم: الزكاة (١٠٤٠)، والنسائي: الزكاة (٢٥٨٥)، وأحمد (٢/ ٨٨).

وأجمعت العلماء لا خلاف بينهم أن الله عز وجل قد افترض على الخلق الخوف والرجاء كما قال الله - تعالى - عن أنبيائه ورسله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[(١)]، وقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[(٢)].

أما هؤلاء الصوفية فيقولون: ما نعبد الله بالخوف ولا بالرجاء، وإنما بالمحبة، ويؤثر عن رابعة العدوية أنها قالت: ما عبدت الله خوفًا من ناره، ولا طمعًا في جنته فأكون كأسير السوء، ولكن عبدته حبًا لذاته وشوقًا إليه، وهذا باطل وزندقة، ولكن الله يُعبد بالحب والخوف والرجاء.

ولهذا قال المؤلف: لا خلاف بين العلماء أن الله عز وجل افترض على الخلق الخوف والرجاء، وأنه دعا عباده إليه بالرغبة والرهبة - رغبًا ورهبًا - .

ومن البدع المحدثة التي ليس لها أصل في كتاب ولا في سنة التشبه بأفعال الجاهلية في اجتماعاتهم والتحالف بينهم على التعاضد والتناصر، وكانت الجاهلية تفعله فأذهبه الله عز وجل بالإسلام، ونهى عنه على لسان نبيه ﷺ.

وقال النبي ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية فما زاده الإسلام إلا تأكيدًا» والمراد: حلف التوارث، فليس هناك حلف توارث، وإنما المطلوب التعاضد والتناصر والمؤاخاة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[(٣)] وقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل

(١) سورة الأنبياء آية : ٩٠ .
(٢) سورة الإسراء آية : ٥٧ .
(٣) سورة الحجرات آية : ١٠ .

الجسد الواحد»[١] «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»[٢] فالتعاضد والتناصر ونصر المظلوم وإظهار الحق كل هذا مطلوب، أما أحلاف الجاهلية فكلها باطلة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «لا حلف في الإسلام، وأيما حلف كان في الجاهلية فما زاده الإسلام إلا تأكيدًا».

وفق الله الجميع لطاعته.

* * *

(١) البخاري: الأدب (٦٠١١)، ومسلم: البر والصلة والآداب (٢٥٨٦)، وأحمد (٤/ ٢٧٠).

(٢) البخاري: الصلاة (٤٨١)، ومسلم: البر والصلة والآداب (٢٥٨٥)، والترمذي: البر والصلة (١٩٢٨)، والنسائي: الزكاة (٢٥٦٠).

الشهادة لأحد بالولاية وأنه من أهل الجنة

قال المؤلف - رحمه الله - : والشهادة بدعة، والبراءة بدعة، والولاية بدعة، والشهادة: أن يشهد لأحدٍ مِمَّن لم يأتِ فيه خبر أنه من أهل الجنة أو النار، والولاية: أن يتولى قومًا ويتبرأ من آخرين، والبراءة: أن يبرأ من قوم هم على دين الإسلام والسنة.

الشرح : قال المؤلف هنا: والشهادة بدعة، والبراءة بدعة، والولاية بدعة؛ فهذه من البدع، وفسر الشهادة: بأن يشهد لأحدٍ مِمَّن لم يأت فيه خبر أنه من أهل الجنة أو النار؛ فلا يُشهد لأحد بعينه أنه من أهل الجنة إلا من شهدت له النصوص؛ كالعشرة المبشرين بالجنة، والحسن والحسين وثابت بن قيس بن شماس وعكاشة بن محصن وعبد الله بن سلام وغيرهم ممن ثبت له في النصوص.

وكذلك لا يُشهد لأحد بالنار إلا لمن شهدت له النصوص: كأبي لهب وأبي جهل، ومن عُرِف أنه مات على الشرك والكفر، وقامت عليه الحجة، ويشهد للكفار عمومًا - اليهود والنصارى والوثنيين - بالنار، ويشهد للمؤمنين عموماً بالجنة، لكن المُعيَّن من أهل الجنة لا يُشهَد له إلا بدليل. والمعين كذلك من الكفار إلا إذا عُلِمَ أنه مات على الشرك وعلى الكفر، وقامت عليه الحجة.

والولاية: أن يتولى قومًا ويتبرأ من آخرين، والولاء والبراء من أوثق عُرَى الإيمان؛ فيوالي من والاه الله من المؤمنين ولو كانوا بعيدين عنه نسبًا، ويعادي من عاداه الله من الكفار والفاسقين ولو كانوا من الأقربين.

أما أن يتولى قومًا ويتبرأ من آخرين بالهوى والتعصب، أو لأجل الدنيا أو لأجل البدع، أو لأجل مشاركة لهم في البدع؛ فهذا التولي باطل.

والبراءة: أن يبرأ من قوم هم على دين الإسلام والسنة؛ فهذا من البدع، فيقولون: من البدع أن يأخذ السلطان الرجل فيضربه ويعاقبه فيقول: أفعلتَ كذا؟ أصنعتَ كذا؟ حتى يسقطه، أو حتى يقر بشيءٍ قد أنكره؛ فإن هذا يعد من البدع والمعاصي، ويعد من الظلم.



إنشاد الشعر في المساجد

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع التغبير في المساجد.

الشرح : من البدع التغبير في المساجد؛ كإنشاد القصائد واستماع القصائد في المساجد - كما يفعله الصوفية -، سُئل الإمام أحمد - رحمه الله - عن الاستماع للقصائد فقال: أكرهه فهو بدعة ولا يجالسون، وروى عنه أبو الحارث أنه قال: التغبير بدعة، فقيل له: إنه يرقِّق القلب، فقال: هو بدعة. وفي رواية: بدعة محدثة. فالتغبير في المساجد مثل إنشاد القصائد المنكرة، واستماع القصائد الجماعية وما أشبه ذلك، هذا كله من فعل الصوفية

ولا بأس بإنشاد الشعر في المساجد إذا كانت القصيدة من الشعر المفيد والشعر الطيب الذي لا محظور فيه، وقد ثبت أن حسان رضي الله عنه كان ينشد الشعر في المسجد، وقد رآه عمر رضي الله عنه وهو ينشد فلحظه - كأنه ينكر عليه - فقال حسان: قد كنتُ أُنشد - يعني في المسجد - وفيه من هو خير منك، يعني: رسول الله ﷺ فسكت عمر رضي الله عنه.

أما قصائد الغزل أو التشبيب، أو التي تلبس الحق بالباطل، فهذا لا يجوز لا في المسجد ولا في غيره، ومثلها القصائد الجماعية كما يفعل الصوفية.

❊ ❊ ❊

ركوب النساء السروج

قال المؤلف - رحمه الله - : وركوب النساء السروج، وركوب الرجال سروج النمور.

الشرح : ومن البدع ركوب النساء السروج، والسروج: جمع سرج وهو رحل الدابة. وأسرج الدابة أي: وضع عليها السرج. وركوب المرأة في سرج الدابة - في رحل الدابة - فيه تشبه بالرجال؛ لأن المرأة تكون بارزة بادية، والأصل أن تكون المرأة في الهودج على البعير؛ فتكون مختفية عن الرجال، لكن كونها تركب في السرج في رحل الدابة بارزة للناس فإن هذا من البدع والمعاصي؛ لما فيه من التشبه بالرجال.

ولهذا كانت عائشة - رضي الله عنها - تجلس في هودجها وهي في أسفارها، وهناك بعض من وُكِّلوا بحمل الهودج ووضعه على البعير.

وفي بعض الغزوات راحت تقضي حاجتها، ثم أركبوا الهودج يظنون أنها فيه لخفتها، ولم يفقدوها ثم تركها الجيش، وتكلم أهل الإفك حينما تكلموا لما جاء صفوان بن المعطل متأخرًا وأناخ البعير وأركبها.

وركوب الرجال سروج النمور: والنمور جمع نمر أي من جلود النمور، فيجعل الرحل من جلود النمور؛ فهذا منهي عنه لما فيه من الزينة والخيلاء، وهو من زي الأعاجم.

۞ ۞ ۞

اتخاذ آنية الذهب والفضة

قال المؤلف - رحمه الله - : واتخاذ آنية الذهب والفضة.

الشرح : لا يجوز اتخاذ آنية الذهب والفضة؛ لأن النبي ﷺ نهى عن اتخاذ آنية الذهب والفضة، وعن الشرب في أواني الذهب والفضة قال: «**لا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافهما؛ فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة**»[1] أي: للكفرة، وقال - عليه الصلاة والسلام - : «**الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم**»[2].

وليس للمسلم أن يتخذ الذهب في الأواني، ولا في الملاعق ولا في كأس يشرب بها، ولا مُكحلة يكحل بها عينيه، ولا قلم ولا نظارة لا الرجل ولا المرأة، لكن المرأة لا بأس بأن تتحلى وتتجمل بالذهب والفضة والساعة فتستعمل الذهب في التحلي في يديها وفي حلقها أو في أذنيها أو في ساعديها أو في رجليها.

❊ ❊ ❊

---

(١) البخاري: الأطعمة (٥٤٢٦)، ومسلم: اللباس والزينة (٢٠٦٧)، والترمذي: الأشربة (١٨٧٨)، والنسائي: الزينة (٥٣٠١)، وأبو داود: الأشربة (٣٧٢٣)، وابن ماجه: الأشربة (٣٤١٤)، وأحمد (٥/ ٣٩٠)، والدارمي: الأشربة (٢١٣٠) .

(٢) البخاري: الأشربة (٥٦٣٤)، ومسلم: اللباس والزينة (٢٠٦٥)، وابن ماجه: الأشربة (٣٤١٣)، وأحمد (٦/ ٣٠٠)، ومالك: الجامع (١٧١٧)، والدارمي: الأشربة (٢١٢٩) .

لبس الحرير والديباج للرجال

قال المؤلف - رحمه الله - : ولبس الحرير والديباج.

الشرح : ولبس الحرير والديباج محرم على الرجال، وإنما يباح للنساء؛ لأن النبي ﷺ - كما في حديث حذيفة - نهى عن لبس الحرير والديباج والجلوس عليهما. رواه البخاري وابن الجارود، وفي الحديث الآخر: «**أحل الذهب والحرير لإناث أمتي وحرم على ذكورها**»[1] أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

❊ ❊ ❊

(١) الترمذي: اللباس (١٧٢٠)، والنسائي: الزينة (٥١٤٨) .

البناء على القبور وتجصيصها

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع البناء على القبور وتجصيصها، وشد الرحال إلى زيارتها.

الشرح : من البدع ومن وسائل الشرك: البناء على القبور وتجصيصها؛ لحديث جابر: نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يُقعد عليه وأن يبنى عليه[(١)].

فتجصيص القبور والبناء عليها، ووضع القباب وجعل الرياحين والزهور والورود، والكتابة عليها، كل هذا من المحرمات، ومن البدع ومن وسائل الشرك.

وكذلك شد الرحال إلى زيارة القبر؛ أي: السفر، فيسافر الرجل من بلد إلى بلد لزيارة القبر، فإن هذا منهي عنه؛ لقول النبي ﷺ: **«لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»**[(٢)].

لكن إذا كان في البلد فلا بأس أن تزور، فقد سُنَّت زيارة القبور للرجال، أما أن تسافر فلا يجوز حتى ولو إلى قبر النبي ﷺ، لكن تشد الرحل لزيارة مسجد النبي ﷺ فإذا زرت المسجد، وصليت فيه ركعتين، فإنك تسلم على النبي ﷺ وعلى صاحبيه.

---

(١) مسلم: الجنائز (٩٧٠)، والترمذي: الجنائز (١٠٥٢)، والنسائي: الجنائز (٢٠٢٧)، وأبو داود: الجنائز (٣٢٢٥)، وابن ماجه: ما جاء في الجنائز (١٥٦٢)، وأحمد (٣/ ٢٩٥).

(٢) البخاري: الجمعة (١١٨٩)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٤١٠)، وأحمد (٣/ ٤٥).

إعظام الموت

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع إعظام الموت، وتخريق الثياب عند نزوله، وتسويد الأبواب، وجز النواصي، والجلوس على باب الميت بعد الدفن، واتخاذ أهله طعامًا لمن أتاهم، ومبيت الناس عندهم.

الشرح : من البدع إعظام الموت؛ لأن فاعله معترض على قدر الله، ساخط على قضائه، والواجب على المسلم إذا نزلت به مصيبة أن يقول: **«إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجُرني في مصيبتي، واخلفني خيرًا منها»**(١).

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ * أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾(٢).

أما كون المرء يعظم الموت بأن يخرق الثياب عند نزوله، ويسود الأبواب، ويجز النواصي تسخطًا على قضاء الله وقدره، ويجلس على باب الميت بعد الدفن، ويصنع أهله طعامًا لمن أتاهم، ومبيت الناس عندهم؛ فهذا كله من النياحة؛ كما قال جرير بن عبد الله البجلي: كنا نعد الاجتماع عند الميت وصنعة الطعام من النياحة.

---

(١) مسلم: الجنائز (٩١٨)، وأبو داود: الجنائز (٣١١٩)، وأحمد (٦/٣٠٩)، ومالك: الجنائز (٥٥٨) .

(٢) سورة البقرة آية : ١٥٥ - ١٥٧ .

قراءة القرآن والأذان بالألحان

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع قراءة القرآن والأذان بالألحان، وتشبيهها بالغناء، ومن البدع تحلية المصاحف وزخرفة المساجد وتطويل المنابر.

الشرح : من البدع قراءة القرآن والأذان بالألحان؛ فقد جاء في حديث أن من أشراط الساعة أن يتخذ القرآن مزامير؛ فهذا منهي عنه، لكن تحسين الصوت بالقرآن والأذان هذا أمر مطلوب، لكن بدون تلحين.

وثبت في حديث البراء: أن النبي ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون، قال: فما سمعت صوتًا أحسن منه عليه الصلاة والسلام[١] وقال: «حسنوا أصواتكم بالقرآن» أو «حسنوا القرآن بأصواتكم»[٢] .

أما التلحين الذي يشبه الغناء فهو مكروه؛ ولهذا ثبت في صحيح البخاري أن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - قال لمؤذن له: أَذِّنْ أذانًا سمحًا وإلا فاعتزلنا، وسمح: لا تعسف فيه؛ كما يفعله بعض المؤذنين، وبعض من يقلدهم.

وكذلك في قراءة القرآن؛ مثلما يصنع بعض المقرئين الذين يزيدون في

---

(١) البخاري: التوحيد (٧٥٤٦)، ومسلم: الصلاة (٤٦٤)، والترمذي: الصلاة (٣١٠)، والنسائي: الافتتاح (١٠٠٠)، وأبو داود: الصلاة (١٢٢١)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٣٥)، ومالك: النداء للصلاة (١٧٦) .

(٢) النسائي: الافتتاح (١٠١٥)، وأبو داود: الصلاة (١٤٦٨)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٤٢)، وأحمد (٤/ ٢٨٣)، والدارمي: فضائل القرآن (٣٥٠١) .

المدات والسكنات فيحدث التلحين وهذا من بدع قراءة القرآن والأذان، وكما يفعل المقرئون الذين يطولون السكتات حتى تكون السكتة دقيقتين أو ثلاثة ويمد صوته بالآية ثلاث دقائق، لكن لا بأس بتحسين الصوت كما يفعل أئمة الحرم ومن أشبههم.

وقال المؤلف: ومن البدع تحلية المصاحف - أي: بالذهب -، وهذا من الإسراف؛ فتحلية المصاحف بالذهب والفضة كل هذا لا أصل له.



وزخرفة المساجد وتطويل المنابر

قال المؤلف - رحمه الله - : وزخرفة المساجد وتطويل المنابر.

الشرح : وزخرفة المساجد من الأمور المنهي عنها، وهي من أشراط الساعة - (حتى يتباهى الناس في المساجد) -، وقال بعضهم ما معناه أنه قال في بناء المسجد: ابْنِ المسجد - أي بناءً قويًا -، ولا تحمر ولا تصفر، أي اترك الزخرفة الزائدة، فلا ينبغي زخرفة المساجد، وتطويل المنابر إطالة فاحشة، وإنما يكون بقدر الحاجة.



أخذ الأجرة على الأذان والإمامة

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن البدع: أخذ الأجرة على الأذان، والإمامة، وتعليم القرآن، وتغسيل الموتى.

الشرح : أي: من البدع كون المرء يستأجر إمامًا يصلي بالناس، أو مؤذنًا يصلي بالناس، فإن هذا ممنوع؛ لأنه قد أخذ أجرة على القربة، والقُرَب لا يؤخذ عليها أجرة.

فكون الأذان والإمامة والحج عبادة فلا يؤخذ على ذلك كله أجرة؛ ولهذا سئل الإمام أحمد عن رجل يقول: أصلي بكم رمضان بكذا وكذا درهمًا، فقال: أسأل الله العافية ومن يصلي خلف هذا؟!.

أما الرواتب من بيت المال فهذا ليس من الأجرة، فكونه يعطي المؤذن أو الإمام أو رجال الحسبة والهيئة والقضاة والمعلمين والمتعلمين راتبًا من بيت المال؛ فهذه أرزاق من بيت المال.

وكذلك إذا أعطي إعانة ومن غير مشارطة فهذا لا بأس به أيضًا، وإن كان الأفضل كون الإنسان يتبرع، ولكن الأخذ من بيت المال لا بأس به.

ولهذا قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : هناك فرق بين من يحج ليأخذ، ومن أخذ ليحج. فإحداهما ممنوعة والأخرى جائزة؛ فمن أخذ ليحج فهذا لا بأس به، فهو قد أخذ المال ليحج به، ليتوصل به إلى الحج؛ لأن لديه رغبةً وشوقًا إلى المشاعر ولكن ليس لديه استطاعة، فهو يأخذ الدراهم ليتوصل بها إلى الحج، ويقضي الحج عن أخيه المسلم ويستفيد ما زاد من العبادات.

أما من حج ليأخذ فمعناه أنه ما حج إلا ليأخذ الدراهم، وهذا هو الذي قال فيه شيخ الإسلام: يخشى أن يكون داخلًا في قوله - تعالى - : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(١).

فالقاعدة: أن العبادات لا تؤخذ عليها أجرة، لأنها كلها لله.

أما مسألة تعليم القرآن فالصواب أنه لا بأس بأخذ الأجرة عليه؛ لما ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: **«إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله»**(٢) لأن الإنسان ينشغل عن كسبه لأولاده.

أما تغسيل الموتى فلا بأس بأخذ الأجرة عليه إذا لم يوجد من يتبرع، فقد ثبت في حديث عثمان بن أبي العاص أنه قال: يا رسول الله، اجعلني إمام قومي، قال: **«أنت إمامهم، واقْتَدِ بأضعفهم، واتخذ مؤذنًا لا يأخذ على أذانه أجرًا»**(٣).

ولهذا قال الترمذي: العمل على هذا عند أكثر أهل العلم، أنهم كرهوا أن يأخذ على الأذان أجرًا، واستحبوا للمؤذن أن يحتسب في أذانه، ولا شك أن هذا أفضل، لكن إذا أخذ من بيت المال فلا حرج، أو إذا أخذ من الإعانات التي تُعطَى من قِبل المحسنين من دون اشتراط.

❁ ❁ ❁

(١) سورة هود آية : ١٥ - ١٦ .

(٢) البخاري: الطب (٥٧٣٧) .

(٣) النسائي: الأذان (٦٧٢)، وأبو داود: الصلاة (٥٣١)، وأحمد (٤/ ٢١٧) .

البراءة من كل اسم خالف السنة

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن السنة وتمام الإيمان وكماله: البراءة من كل اسم خالف السنة، وخرج عن إجماع الأمة، ومباينة أهله ومجانبة من اعتقده، والتقرب إلى الله عز وجل بمخالفته، وذلك مثل قولهم: الرافضة والشيعة...

الشرح : من السنة ومن الإيمان وكماله أن تتبرأ من الأسماء المحدثة التي تخالف السنة، وتخرج عن إجماع الأمة وتباين أهلها - أي: تبتعد عنهم - وتجانب من اعتقدها، وتتقرب إلى الله عز وجل بمخالفتها، مثل الرافضة والشيعة.

فالشيعة اسم عام لكل من يتشيع لأهل البيت لعلي وأهل بيته ويميل إليهم، فهم طبقات؛ فقد ذكر أهل الفِرق أنهم أكثر من أربع وعشرين طبقة، أعلاهم وأشدهم النصيرية الذين قالوا: إن الله حلَّ في علي، ثم يليهم المُخَطِّئة الذين خطَّئوا جبريل وقالوا: إن جبريل أرسله الله إلى علي فأخطأ، وأوصلها - أي الرسالة - إلى محمد، وهذا كفر.

ثم الرافضة الذين رفضوا زيد بن علي بن الحسين لما ترحم على الشيخين أبي بكر وعمر لما سألوه عنهما، قال: هما وزيري جدي رسول الله فرفضوه، فقال: رفضتموني، رفضتموني؛ فسموا: الرافضة، وكانوا قبل ذلك يسمون الخشبية؛ لأنهم كانوا لا يقاتلون إلا بالخشب، ولن يقاتلوا بالسيف حتى يخرج المهدي - على حد زعمهم -، وهم يعبدون آل البيت ويسبون الصحابة ويكفرونهم، ويزعمون أن القرآن غير محفوظ، وأنه ما بقي إلا الثلث؛ فالواجب على المسلم أن يتبرأ من الرافضة ومن الشيعة.

من فرق أهل البدع الجهمية والمعتزلة والحرورية

قال المؤلف - رحمه الله - : وذلك مثل قولهم: الرافضة والشيعة والجهمية والمرجئة والحرورية والمعتزلة والزيدية والإمامية والمغيرية والإباضية والكيسانية والصفرية، والشُّراة والقدرية والمنانية والأزارقة والحلولية والمنصورية والواقفة، ومن دفع الصفات والرؤية.

الشرح : كل هذه من فرق أهل البدع، الجهمية أتباع جهم بن صفوان الذي ظهر في أوائل المائة الثانية، وقد تتلمذ الجهم على يد الجعد بن درهم؛ فهو أول من ابتدع نفي الصفات في الإسلام، وكان ذلك في أوائل المائة الثانية.

وكان مؤدب مروان الحِمار آخر خلفاء بني أمية والذي أنكر صفتين فقط، أنكر أن الله اتخذ إبراهيم خليلًا، وأن الله كلم موسى تكليمًا، لكن هاتين الصفتين ترجع إلى جميع الصفات؛ لأنه حينما نفى الخِلَّة والمحبَّة قطع الصلة بين الله وبين خلقه.

وكذلك لما أنكر التكليم ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[1] أنكر كلام الله، وأنكر النبوة والرسالة؛ فلهذا قتله خالد بن عبد الله القسري أمير المشرق والعراق بواسط، بفتوى من علماء أهل زمانه، وكانوا من التابعين؛ فأُتي به - وكان يصلي بالناس الجمعة والعيدين - يوم العيد مكتَّفًا ومربوطًا وجعله تحت أصل المنبر، وخطب فقال في آخر الخطبة بعد الصلاة: ضحُّوا تقبل الله

---

(١) سورة النساء آية : ١٦٤ .

ضحاياكم؛ فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم؛ لأنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا، ثم نزل وأخذ السكين وذبحه ذبح الشاة والناس ينظرون، فشكره العلماء وأثنوا عليه، وفي ذلك قال ابن القيم في الكافية الشافية:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد الـ قسري يوم ذبائح القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنة لله درك من أخي قربان

ولا شك أن هذا ضحية يفوق أجرها على الضحايا؛ لأن هذا قطع دابر الشر والفساد، فهذا قطع للفتنة، وقطع للبدع، ولكن مع الأسف أن هذا الرجل قبل أن يقتل تعلم على يديه شخص يقال له: جهم بن صفوان وأخذ عنه عقيدته في الصفات، وتوسع في هذه العقيدة، ونشرها بين الناس، فنسبت عقيدة الصفات إليه فقيل لهم الجهمية، وقيَّد الله للجهم بن صفوان من يقتله وهو سلم بن أحوز أمير خراسان.

وتتصل سلسلة نفي الصفات باليهود وبالمشركين وبالصابئة؛ فالجهم أخذ عن الجعد والجعد أخذ عن أبان بن سمعان وأبان بن سمعان أخذ عن طالوت وطالوت أخذ عن لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ فصارت عقيدة نفي الصفات تتصل باليهود

وكان - أيضًا - في أرض حرّان وفيها صابئة مشركون فصارت عقيدة نفي الصفات تتصل باليهود والصابئة والمشركين والوثنيين - نسأل الله السلامة والعافية - .

والمرجئة: سبق أن ذكرنا أن المرجئة أربع طوائف، ولكن المراد المرجئة الغلاة، وهم أتباع جهم بن صفوان أيضًا.

وهم الذين يقولون: إن الإيمان معرفة الرب بالقلب، والجهل كفر الرب بالقلب، فعلى ذلك الواجبات ليست واجبات، والمحرمات ليست محرمات،

بل يكفي المعرفة، ويقول: هو مؤمن كامل الإيمان إذا عرف ربه.

والحرورية: هم الخوارج، وسموا حرورية نسبة إلى البلدة التي تجمعوا بها في العراق وتسمى حروراء، وعقيدة الخوارج أنهم يكفرون المسلمين بالمعاصي، فإن الإنسان يكفر ويرتد إذا فعل كبيرة أو ذنبًا على معتقدهم.

وقد عاملهم الصحابة معاملة المبتدعة، ومن العلماء من كفرهم، ووردت فيهم النصوص في الصحيحين ما يقرب من عشرة أحاديث، فقال النبي ﷺ: **«يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»**[(١)]. وقد كان الخوارج في النهار شجعان، وفي الليل عباد يتعبدون، ولكن عندهم هذه العقيدة الخبيثة.

والمعتزلة: وهم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد الذين أثبتوا الأسماء لله، وأنكروا الصفات، ويقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه، والعباد خالقون لأفعالهم طاعات ومعاصٍ.

والزيدية: طائفة من الشيعة، وهم أخف طوائف الشيعة، والزيدية ست فرق مبتدعة، يفضلون عليًا على عثمان، لكنهم لا يعتقدون ما اعتقده الرافضة.

والإمامية: هم الرافضة، وسموا الإمامية لأنهم يقولون بإمامة اثني عشر إمامًا - كما سبق أن ذكرناهم -، ووصى عليهم النبي ﷺ ويسمون الاثني عشرية، ويسمون الرافضة ويسمون الجعفرية؛ فكل هذه أسماؤهم.

والمغيرية: وهؤلاء يقال إنهم أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي الذي ادعى الإمامة، وهم طائفة من الشيعة ادعوا الإمامة وسموا المغيرية نسبة إلى المغيرة بن سعيد العجلي.

والإباضية: طائفة من الخوارج ينتسبون إلى عبد الله بن إباض.

والكيسانية: وهي أيضًا طائفة منهم، أصحاب كيسان مولى أمير المؤمنين

---

(١) البخاري: المناقب (٣٦١٠)، ومسلم: الزكاة (١٠٦٤)، والنسائي: الزكاة (٢٥٧٨) .

علي بن أبي طالب رضي الله عنه طائفة من الشيعة وهم يقولون بتناسخ الأرواح، وبالحلول والرجعة - والعياذ بالله - .

وهم طائفة من الغلاة الذين يقولون: علي يرجع لأصحابه، ويقولون بالحلول: إن الله حل في علي، وبالتناسخ فلهم أعمال كفرية.

الصفرية: طائفة من الخوارج، نسبة إلى زياد بن الأصفر. كل هؤلاء يجب على المسلم أن يتبرأ منهم.

الشراة: يقول المحشي: إنه لم يجدها، والشراة لعلهم طائفة من الخوارج يسمون الشراة؛ لأنهم يزعمون أنهم اشتروا أنفسهم وباعوها لله، هم يقولون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾[1].

والقدرية: هم المعتزلة - معتزلة في صفات قدرية - يقولون: إن العباد خالقون لأفعالهم، والمؤمن إذا فعل المعاصي خرج من الإيمان ويدخل في الكفر.

والمنانية: وهي طائفة من طوائف المعتزلة.

والأزارقة: طائفة من الخوارج أصحاب نافع بن الأزرق.

والحلولية: الذين يقولون: إن الله حلّ في علي أو في غيره، فالحلولية الذين يقولون: إن الله حل في بعض مخلوقاته، وهؤلاء كفرة - نسأل الله السلامة والعافية - .

والمنصورية: أصحاب أبي منصور العجلي الذين يقولون: إن الرسل لا تنقطع أبدًا، ويقولون: الجنة رجل أُمرنا بموالاته، والنار رجل أُمرنا ببغضه.

والواقفة: هم الذين توقفوا فقالوا: لا نقول: القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، وهؤلاء كفرهم بعض العلماء.

ومن دفع الصفات والرؤية: أي: من ردَّ الصفات والرؤية، وهذا يشمل المعتزلة والجهمية فكلهم دفعوا الصفات، أي: أنكروا الصفات، وأنكروا رؤية الله في الآخرة، فكل هؤلاء يجب على المسلم أن يتبرأ منهم.

---

(١) سورة التوبة آية : ١١١ .

بعض فرق المبتدعة تخرج من الدين

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن كل قول مبتدع، ورأي مخترع، وهوىً متبع، فهذه كلها وما شاكلها وما تفرع منها أو قاربها أقوال رديئة، ومذاهب سيئة، تُخرج أهلها عن الدين ومن اعتقدها عن جملة المسلمين.

الشرح : يقول: يجب عليك أن تتبرأ من هؤلاء المبتدعة، وتتبرأ من كل قول مبتدع وكل رأي مخترع ليس له أصل في الشرع، وأن تجتنب كل هوى متبع.

ثم قال: فهذه كلها وما شاكلها أي: هذه الفرق التي عدَّها، وما يتفرَّع منها أو قاربها، كلها أقوال رديئة، ومذاهب سيئة لا شك تخرج أهلها من الدين، ومن اعتقدها عن جملة المسلمين، وهذا فيه تفصيل، والصواب أن بعضها يخرج من الدين مثل الجهمية ومثل غلاة القدرية الذين أخرجهم العلماء من الثنتين والسبعين فرقة، وبعضها بدعة لا تخرج من الدين مثل الزيدية فلا يخرجون من الدين.

فقول المؤلف: إنها كلها تخرج من الدين ومن اعتقدها من جملة المسلمين ليس بجيد.



مذاهب وفرق الضلال
يقولون على الله ما لا يعلمون

قال المؤلف - رحمه الله - : ولهذه المقالات والمذاهب رؤساء من أهل الضلال ومتقدمون في الكفر وسوء المقال، يقولون على الله ما لا يعلمون، ويعيبون أهل الحق فيما يأتون، ويتهمون الثقات في النقل، ولا يتهمون آراءهم في التأويل.

قد عقدوا ألوية البدع، وأقاموا سوق الفتنة، وفتحوا باب البلية، يفترون على الله البهتان، ويتقولون في كتابه بالكذب والعدوان، إخوان الشياطين وأعداء المؤمنين وكهف الباغين، وملجأ الحاسدين.

هم شعوب وقبائل وصنوف وطوائف، أنا أذكر طرفا من أسمائهم وشيئا من صفاتهم؛ لأن لهم كتبا قد انتشرت ومقالات قد ظهرت لا يعرفها الغِر من الناس، ولا النشء من الأحداث تخفى معانيها على أكثر من يقرؤها.

ولعل الحدث يقع إليه الكتاب لرجل من أهل هذه المقالات قد ابتدأ الكتاب بحمد الله والثناء عليه، والإطناب بالصلاة على النبي ﷺ ثم أتبع ذلك بدقيق كفره، وخفي اختراعه وشره.

ويظن الحدث الذي لا علم له، والأعجمي والغمر من الناس أن الواضع لذلك الكتاب عالم من العلماء أو فقيه من الفقهاء، ولعله يعتقد في هذه الأمة ما يراه فيها عبدة الأوثان، ومن بارز الله ووالى

الشيطان.

الشرح : وهذا من نصح المؤلف - رحمه الله - يقول: هذه المقالات، وهذه الفرق، وهذه المذاهب التي سمعت لها رؤساء؛ فجهم بن صفوان - مثلًا - رئيس الجهمية، وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء رؤساء المعتزلة، ومعبد الجهني وغيلان الدمشقي هؤلاء من رؤساء القدرية.

يقول: هذه المقالات وهذه المذاهب لها رؤساء من أهل الضلال، ومتقدمون في الكفر وسوء المقال، احذرهم فلهم أقوال كفرية، يقولون على الله ما لا يعلمون، أي: المذاهب الكفرية التي أصحابها كفرة، أما المذاهب التي لا تصل إلى الكفر فليسوا كفرة.

وهذه المذاهب التي وصلت إلى الكفر، يقول: لهم متقدموهم في الكفر وسوء المقال، يقولون على الله ما لا يعلمون، ويعيبون أهل الحق - أهل السنة - فيما يأتون، ويتهمون الثقات في النقل؛ ولذلك ما يقبلون النصوص في السنة، ولا يتهمون آراءهم في التأويل.

قد عقدوا ألوية البدع، وأقاموا سوق الفتنة، وفتحوا باب البلية؛ بسبب إقامتهم للبدع، يفترون على الله البهتان، ويقولون أنهم على الحق ويضللون أهل السنة، ويتقولون في كتاب الله بالكذب والعدوان، فهم إخوان الشياطين وأعداء المؤمنين، وكهف الباغين، وملجأ الحاسدين، وهم شعوب وقبائل وصنوف وطوائف.

ثم قال المؤلف: أنا أذكر طرفًا من أسمائهم، وشيئًا من صفاتهم؛ لأن لهم كتبًا قد انتشرت ومقالات قد ظهرت، أي: أذكر شيئًا من صفاتهم حتى يعرفها الغِرُّ من الناس، والغر هو الذي لم يجرب الأمور فيغتر بهم، ولا يعرف كتبهم، ولا بضلالاتهم ولا بدعهم.

قوله: ولا النشء من الأحداث: والنشء من الأحداث هو الشاب الذي

يكون في مقتبل عمره، والذي بدأ يطلب العلم فيغتر بكتبهم، وتخفى معاني كتبهم على أكثر من يقرؤها.

ولعل الحدث - أي الناشئ من الشباب - يقع إليه الكتاب لرجل من أهل هذا المقالات؛ أي: من البدع، قد ابتدأ الكتاب بحمد الله والثناء عليه والإطناب في الصلاة على النبي ﷺ فيغتر؛ فيظن أن هذا كتاب طيب.

ثم أتبع ذلك بدقيق كفره، وخفي اختراعه وشره؛ فلا تغتر بهذا، وكن على حذر. قوله: فيظن الحدث - أي الناشئ الشاب الصغير الذي لا علم عنده -، والأعجمي والغمر من الناس الذي لم يجرب الأمور يظن أن الواضع لذلك الكتاب عالم من العلماء، أو فقيه من الفقهاء.

ولعل الواحد من رؤساء الضلال والمتقدمين في الكفر وسوء المقال يعتقد في هذه الأمة ما يراه في عبدة الأوثان، أي: يعتقد فيه أهل السنة والجماعة أنهم مشركون وممن بارز الله، ووالى الشيطان.



من رؤساء أهل البدع الجهم بن صفوان

قال المؤلف - رحمه الله - : فمن رؤسائهم المتقدمين في الضلال منهم الجهم بن صفوان الضال، وقد قيل له وهو بالشام: أين تريد؟ فقال: أطلب ربًا أعبده، فتقلد مقالته طوائف من الضُّلَّال، وقد قال ابن شوذب: ترك جهم الصلاة أربعين ليلة على وجه الشك.

الشرح : من رؤساء أهل البدع الجهم بن صفوان، سبق أن ذكرنا أنه تتلمذ على يد الجعد بن درهم أول من قال بنفي الصفات في الإسلام؛ فالجهمية هم الذين ينفون الصفات والأسماء، وقد قيل للجهم وهو بالشام أين تريد؟ قال: أطلب ربًا أعبده فتقلد مقالته طوائف من الضلال.

ويقال: إنه ناظر قومًا من السمنية في الهند لا يؤمنون إلا بالحسية: السمع والبصر والشم واللمس والذوق فقط، فناظروه وقالوا له - للجهم - ربك هذا الذي تعبده هل رأيته بعينك؟ قال: لا، قالوا: هل سمعته بأذنك؟ قال: لا، قالوا: هل حسسته بيديك؟ قال: لا، قالوا: هل شممته بأنفك؟ قال: لا، قالوا: هل ذقته بلسانك؟ قال: لا، قالوا: إذن هو معدوم.

فشك في ربه وترك الصلاة أربعين يومًا، ثم نقش الشيطان في ذهنه أن الله موجود وجودًا ذهنيًا، فأثبت وجود الله في الذهن، وسلب عنه جميع الأسماء والصفات - نعوذ بالله - .

❁ ❁ ❁

من أتباع الجهم بن صفوان

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن أتباعه وأشياعه: بشر المِرِّيسي والمرداد وأبو بكر الأصم وإبراهيم بن إسماعيل ابن علية وابن أبي دؤاد وبرغوث وربالويه والأرمني وجعفر الحذاء وشعيب الحجام وحسن العطار وسهل الحرار وأبو لقمان الكافر في جماعة سواهم من الضُّلال.

الشرح : هؤلاء من أتباع الجهم ومن أشياعه الموالين له: بشر المريسي: وهذا تنسب إليه طائفة يقال لها: المريسية، وهو جهمي، يقولون: إنه معتزلي ولكنه جهمي، فطائفة المريسية جهمية على طريقة الجهم ينكرون الأسماء والصفات.

ومن أتباعه المردار: وهذا يسمى عيسى بن صبيح، ونسبه أبو موسى المردار وأبو بكر الأصم - أيضًا - وهذا من كبار المعتزلة.

وإبراهيم بن إسماعيل ابن علية: يقول المحشي: لم أجد ترجمته، ولعله إبراهيم بن إسماعيل ابن علية من المعتزلة وأبوه إسماعيل ابن علية من المحدثين وابنه معتزلي.

وابن أبي دؤاد: وهذا من أكابر المعتزلة وهو أحد القضاة، وكان رئيس القضاة في زمن المأمون وهو الذي امتحن الإمام أحمد - رحمه الله - .

وبرغوث: هو محمد بن عيسى، ويلقب بالبرغوث، كان على مذهب النجار، وهو معتزلي من المعتزلة.

وربالويه والأرمني: هذه أسماء من رؤساء المبتدعة، وجعفر الحذاء: من

أئمة المعتزلة أيضًا، وشعيب الحجام، وحسن العطار، وسهل الحرار كل هؤلاء من المعتزلة من رؤساء الضلال.

قوله: وأبو لقمان الكافر في جماعة سواهم من الضلال: وصفه المؤلف بالكافر، ولعل لهؤلاء أعمالًا كفرية. وكل هؤلاء يجب على المسلم أن يبتعد عنهم، وعن آرائهم.

❁ ❁ ❁

العلماء يرون هذه الفرق من أئمة الكفر ورؤساء الضلالة

قال المؤلف - رحمه الله - : في جماعة سواهم من الضُّلال، وكل العلماء يقولون فيمن سميناهم أنهم أئمة الكفر ورؤساء الضلالة.

الشرح : يقول: أنا ما استقصيت، بل هناك غيرهم، وهؤلاء وغيرهم عليك أن تجتنبهم؛ فهم أئمة الكفر ورؤساء الضلالة، وكل العلماء يرون أنهم من أئمة الضُّلَّال.



من رؤساء الضلال معبد الجهني وغيلان القدري

قال المؤلف - رحمه الله - : ومن رؤسائهم - أيضًا - وهم أصحاب القدر معبد الجهني وغيلان القدري وثمامة بن أشرس وعمرو ابن عبيد وأبو الهذيل العلاف وإبراهيم النَّظام وبشر بن المعتمر في جماعة سواهم أهل كفر وضلال يعُم.

ومنهم الحسن بن عوقة بن عبد الوهاب الجبائي وأبو العنبس الصيمري، ومن الرافضة المغيرة بن سعيد وعبد الله بن سبأ وهشام الفوطي وأبو الكروس وفضيل النقاشي وأبو مالك الحضرمي وصالح قبة بل هم أكثر من أن يحصوا في كتاب، أو يحووا بخطاب.

الشرح : معبد الجهني: هذا أول من تكلم في القدر بالبصرة، وغيلان الدمشقي، وهما من رؤساء القدرية.

يقول: إنه من أصل نصراني، معاصر للدولة الأموية، والمقصود أنهم من رؤساء القدرية، وثمامة بن الأشرس من المعتزلة أيضًا.

وعمرو بن عبيد: هذا هو مؤسس مذهب الاعتزال هو وواصل بن عطاء.

وأبو الهذيل العلاف: وهذا شيخ المعتزلة في القرن الثالث، وهو الذي شرح مذهب المعتزلة وفرّع المذهب وبناه على الأصول الخمسة، وألف لهم كتابين.

وبنى الكتاب على الأصول التي هي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فهذه أصول الدين عند المعتزلة.

أما أصول الدين عند أهل السنة: فالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر والقدر.

وأصول الرافضة أربعة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة.

وإبراهيم النظام: من المعتزلة - أيضًا - وله أعمال وله أقوال كفرية.

وبشر بن المعتمر - أيضًا - من كبار المعتزلة، يقول المؤلف: في جماعة سواهم أهل كفر وضلال يعم.

ومنهم الحسن بن عبد الوهاب الجبائي: وهذا شيخ من شيوخ المعتزلة وكان أبوه - أيضًا - من شيوخ المعتزلة، وأبو العنبس الصيمري من المعتزلة.

ومن الرافضة المغيرة بن سعيد وعبد الله بن سبأ اليهودي الحميري اليمني دخل في الإسلام نفاقًا في زمن علي رضي الله عنه وادعى أن عليًا مظلوم، طلبه علي لقتله ففر، وهو ينتسب إليه طائفة السبئية الذين عبدوا عليًا.

وهشام الفوطي، وأبو الكروس، وفضيل النقاش، وأبو مالك الحضرمي، وصالح قبة، كل هؤلاء من الشيعة يجب على المسلم أن يبتعد عن آرائهم وبدعهم وضلالهم.

يقول المؤلف: بل هم أكثر من أن يحصوا في كتاب أو يحووا بخطاب؛ فهم كثيرون، ما تستطيع أن تحويهم في كتاب أو خطاب ولا تحصيهم؛ لكثرتهم؛ فابتعد عنهم.



ذكر أئمة البدع ليتجنبهم الحدث ومن لا علم له بهم

قال المؤلف - رحمه الله - : ذكرت طرفًا من أئمتهم ليتجنب الحدث ومن لا علم له ذِكرهم، ومجالسة من يستشهد بأقوالهم، ويناظر بكتبهم، ومن خبائثهم ومن يظهر في كلامه الذب عن السنة والنصرة لها وقوله أخبث القول، ابن كُلَّاب وحسين النجار وأبو بكر الأصم وابن علية أعاذنا الله وإياك من مقالتهم.

الشرح : يقول المؤلف - رحمه الله - : ذكرت لك طرفًا من أئمتهم ليتجنب - بدعهم وضلالاتهم - الحدث - الناشئ الشاب - ومن لا علم له ذكرهم، وليحذر مجالسة من يستشهد بقولهم؛ فإذا رأى من يستشهد بأقوال أهل البدع أو يناظر بكتبهم فإن عليه أن يجتنبهم؛ ولهذا قال الإمام أحمد - رحمه الله - : لا تجالس صاحب كلام وإنْ ذَبَّ عن السنة؛ فإنه لا يئول إلى خير.

فعلى الحدث والناشئ والشاب أن يبتعد عن أهل البدع، وإذا رأى من يستشهد بكلامهم أو يناظر بكتبهم أن يحذرهم.

يقول المؤلف: ومن خُبثائهم - هذا من كلامه - ومن يظهر في كلامه الذب عن السنة، والنصرة لها وكونه أخبث القول ابن كُلاب - وهو عبد الله ابن سعيد بن كُلاب، لقب بابن كُلاب لقوة حجته وعارضته، يقال: عبد الله ابن كعب القطان أثبت الصفات الذاتية وأنكر الصفات الفعلية ثم جاء أبو الحسن الأشعري وأخذ عنه - وحسين النجار - وهذا من الجبرية - وأبو

بكر الأصم - من المعتزلة أيضا -، وابن علية، ولعله إبراهيم بن إسماعيل ابن علية.

ثم يقول المؤلف - رحمه الله - : أعاذنا الله وإياكم من مقالتهم. هذا من نصحه؛ سأل الله لنفسه ولك أيها القارئ والمستمع فقال: أعاذنا الله وإياك من مقالتهم، وعافانا وإياك من شرور مذاهبهم!!



خاتمة

قال المؤلف - رحمه الله - : أعاذنا الله وإياك من مقالتهم، وعافانا وإياك من شرور مذاهبهم، وأحيانا على الإسلام والسنة، وأماتنا على ذلك وحشرنا عليه، ولا بدَّل ما بنا وبك من نِعَمِه وفواضل مننه، ولا أخلانا من حسن عوائده، وجميل فضائله.

وجعلنا وإياك من الحافظين لحدوده، القائمين بحقوقه، ونفعنا وإياك بما علمنا واستعملنا به، عملًا صالحًا متقبلًا مرضيًا.

وحشرنا وإياك في زمرة نبيه وأصحابه، آمين، إنه المؤمل فيما يرجى، والصاحب في الشدة والرخاء، والحمد لله أولًا وآخرًا.

وصلى الله على نبيه باطنًا وظاهرًا. تم كتاب (الشرح والإبانة على أصول السُّنَّة والديانة) والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد النبي الأمي وآله.

الشرح : هذا من نصح المؤلف - رحمه الله -، وقد دعا الله وسأله واستعاذ به من الشرور والفتن والبدع، ومن مقالة هؤلاء المبتدعة، نسأل الله أن يقبل ذلك، وأن يحيينا على الإسلام والسنة، وأن يعيذنا من مقالة أهل البدع، وأن يعافينا من شرورهم.

وأماتنا على ذلك؛ أي: على الإسلام والسنة. اللهم، أمتنا على الإسلام والسنة واحشرنا عليه.

ولا بدَّل ما بنا وبك من نعمه وفواضل مننه. أي: أن نسأل الله أن لا يبدل ما بنا من النعم. ولا أخلانا من حسن عوائدهم وجميل فضائلهم.

وجعلنا وإياك من الحافظين لحدوده: والحافظون لحدوده هم الذين يؤدون فرائض الله، وينتهون عن معاصي الله. القائمين لحقوقه: هم الذين يؤدون حقوق الله. ونفعنا وإياك بما علمنا واستعملنا به عملًا صالحًا متقبلًا مرضيًا، اللهم آمين.

وحشرنا وإياك في زمرة نبيه وأصحابه إنه المؤمل فيما يرجى - سبحانه وتعالى - والصاحب في الشدة والرخاء.

ثم قال: والحمد لله أولًا وآخرًا: افتتح رسالته بالحمد وختمها بالحمد. وصلى الله على نبيه باطنًا وظاهرًا.

تم كتاب الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي الأمي وآله: لو ختم قوله بـ: صلى الله على محمد النبي الأمي وآله وصحبه، والآل يدخل فيهم الصحابة؛ فآله: أتباعه على دينه، لكن لو جمع بينهم، لكان أحسن حتى يصلي على الصحابة مرتين: مرة دخولهم في آله، ومرة بهم. ولو زاد وسلم؛ فقال: صلى الله على محمد النبي الأمي وآله وصحبه وسلم؛ كان أحسن.

وفق الله الجميع لطاعته، ورزق الله الجميع العلم النافع والعمل الصالح، وثبت الله الجميع على الهدى.

ونسأل الله للجميع الثبات على دينه والاستقامة عليه، ونسأل الله العلم النافع والعمل الصالح!!

۞ ۞ ۞

فهرس الموضوعات